



I

قال بعض الثقات من اهل القصص ان الله تعالى اكرم خليله ابرهيم حيث جعل
كل نبيّ من نسله ووهب له اسمعيل من هاجر القبطية المصرية وكان عمر الخليل
ح اذ ذاك ستّاً وثمانين سنةً وولد اسحق من سارة بعد اخيه اسمعيل
باربعة عشر سنة وكان عمر ابيه مائة سنة وامه سارة حين بشرت به
تسعين سنة فاسمعيل اكبر من اسحق وقد اكرمه الله تعالى بانواع كرمه
وهو اول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحشا فانسها وركبها و
واول من تكلم بالعربية الفصيحة قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا
عندهم بمكة من جرهم العمالقة وله واقعات كثيرة فلما حضرته الوفاة
اوصى الى اخيه اسحق وزوج ابنته نسمة الى ابن اخيه العيص بن اسحق
فولدت له الروم ويقال لهم بنو الاصفر لصفرة كانت في العيص ودفن
اسمعيل مع امه هاجر بالحجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعة وثلثين سنةً
وذكر ان اسحق تزوج رفقا بنت شوائل وكانت عاقراً فدعا لها فحملت
فولدت غلامين توأمين اولهما سموه عيص والثاني سموه يعقوب
لخروجه عقب عيص وهو اسرائيل تنتسب اليه بنو اسرائيل وكان اسحق يحب
العيص اكثر من يعقوب و امره بالصيد حتى يدعوا بالنبوة وتفصيله كما في
هذا التفسير فلما سبق يعقوب عيص تواعده بالقتل اذا مات ابوهما
فلما سمعت امهما رفقا ما تواعد به العيص اخاه يعقوب امرت ابنها
يعقوب ان يذهب الى اخيها لابان الذي بارض حران وان يكون عنده حتى
يسكن غضب اخيه عليه وان يتزوج من بناته وقالت لزوجها اسحق ان
يأمره بذلك وان يوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب من عندهم من آخر
ذلك اليوم فادركه المساء في موضع فنام فيه اخذ حجراً فوضعه تحت رأسه
ونام فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً في السماء الى الارض واذا الملئكة
يصعدون فيه وينزلون قال الله تعالى له اني سا ر باركت عليك واكثر

ذريتك واجعل لك هذه الارض ولمن عقبك فلما انتبه من نومه فرح
بما رأى ونذر لله تعالى ان رجع الى اهله سليماً ليبنين لله فيه معبداً وان جميع
ما يرزقه من شيء يكون لله عشره ثم عمد الى ذلك الحجر فجعل عليه دهناً ليعرفه
به وسمى ذلك الموضع بيت ايل اى بيت الله وهو موضع بيت المقدس
اليوم الذي بناه يعقوب في ذلك فلما قدم يعقوب على خاله ارض حران
اذ اله ابنتان اسم الكبير ليا واسم الصغير راحيل فخطب اليه راحيل
وكانت احسنهما واجملهما فاجابه الى ذلك بشرط ان يرعى على غنمه سبع سنين
فلما مضت المدة على حاله لابان صنع طعاماً وجمع الناس ودفع اليه ليلاً
ابنته الكبرى ليا وكانت ضعيفة العينين قبيحة المنظر فلما اصبح يعقوب
اذا هي ليا فقال لخاله لم غدرت لي وانما خطبت اليك راحيل فقال
انه ليس من سنتنا ان تزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت اختها ف
فاعمل سبع سنين اخرى وازوجك راحيل على اختها وكان ذلك سائغاً
في ملتهم ثم نسخ في التورية ووهب لابان لكل واحدة من بنتيه جارية
فوهب ليا جارية اسمها زلفى ووهب لراحيل جارية اسمها بلهى
وجبر الله تعالى ضعف ليا بان وهب لها اولاداً فكانت اول من
ولدت ليعقوب روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا فغارت
عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت جاريتها بلهى فوطئها فحملت
وولدت له غلاما سمته دان وحملت وولدت غلاماً آخر سمته شبالافعدت
عند ذلك ليا فوهبت جاريتها زلفى من يعقوب فولدت له جاذوا
شبه غلامين ثم حملت ليا ايضا فولدت غلاماً خامساً وسمته ايساخر
ثم حملت وولدت غلاما سادساً سمته زابلون ثم حملت وولدت بنتا
سمتها دنيا فصار لها يعقوب ثم دعت الله راحيل وسألته ان يهب
لها غلاما من يعقوب فاجابه الله دعاءها فحملت من يعقوب فولدت له غلاماً

عظيما شريفا جميلا حسنا سمية يوسف وهم في كل هذا مقيمون
بارض حران وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنتين ست سنين اخرى
فصار مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان ان
يذهب بهم الى اهله فقال له خاله انني قد بورك لي بسببك فسلني من مالي
ما شئت فقال اعطني كل حمل من غنمك هذه السنة فاعطاه اكثر منه
فخرج يعقوب باتباعه وخرج معه خاله يشيعه حتى اتوا الى رابية يقال
لها جلعاد فتعاهد خاله على ان لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن
وتودع كل منهما من الآخر وتفارقوا راجعين الى بلادهم فلما اقترب الى
وطنه بعث بريدا الى اخيه العيص يترفق له ويتواضع له فرجعت البريد
واخبرت يعقوب ان العيص قد ركب اليك في اربعمائة راجل فخشي يعقوب
من ذلك فدعا الله تعالى وتضرع وصلى وتذكر وعده في منامه وسأل
ان يكف عنه بأس اخيه عيص واعد لاخيه هدية عظيمة فذهبوا اخوه
عيص قد اقبل في اربعمائة راجل فتقدم امام اهله فلما رأى اخاه العيص
تواضع وقبله وعانقه عيص ورفع عينيه فنظر الى النساء والصبيان
فقال من اين لك هؤلاء فقال وهب الله تعالى لهذا العبد فتواضع
اتباعه وابناؤه ثم عرض عليه هديته والح فقبلها فرجعوا وتبعهم
يعقوب مع اهله وعبيده ومواشيه حتى اتوا الى الموضع الذي رأى
يعقوب فيه رؤيا فامره الله تعالى ببناء بيت وهو البيت المقدس
اليوم الذي جدده بعد ذلك سليمان عم وهو مكان الصخرة التي اعظمها
بوضع الذهب عليها قبل ذلك ثم حملت راحيل فولدت غلاما وهو بنيامين
الا انها جهدت في طلقها جهدا شديدا وماتت عقبه فدفنها يعقوب
في افرات ووضع يعقوب على قبرها حجرا وهي الحجارة المعروفة بقبر راحيل
اليوم وكان اولاد يعقوب المذكور اثني عشر رجلا فمن ليا روبيل وشمعون

ولاوي

ولاوي ويهوذى وساخر وزابلون ومن راحيل ويوسف
وبنيامين ومن امة راحيل دان ونفتالي ومن امة ليا جاد
واشير وجاء يعقوب الى ابيه اسحق فاقام عنده بقرية حبرون
في ارض كنعان حيث كان يسكن ابرهيم ثم مرض اسحق ومات عن مائة
وثمانين سنة ودفنه ابناه عيص ويعقوب مع ابيه ابرهيم الخليل
في المغارة التي اشتراها فبينما يوسف بين يدي يعقوب وهو نائم
اذا انتبه فزعا وقال رأيت كانني مع اخوتي في الغنم فغرست عصاي
في الارض وغرس اخوتي عصيهم وقد صار عصاي اخضر وارتفع في
الهواء وانتشر اغصانه في السماء ثم هبت ريح فاقتلعت عصي اخوتي
من اصولها فالقتها في البحر وثبت عصاي في الارض قائمة فقال يا بني
ليس كل رؤيا لها تأويل فلا يخوفنك ذلك فنظر اخوته
بعضهم الى بعض ثم مضى عليه سنون واستكمل يوسف
اثني عشر سنة فبينما هو نائم في حجر ابيه
اذا انتبه فزعا قال يا ابت انني
رأيت رؤيا وهي ما حكاه الله
تعالى في كلامه المنزل
سنة اثني وثمانين
ومائة والف
في غرة
ذي الحجة



احسن القصص لنعمة الله الغجدوانی

1

قال بعض العلماء ذكر الله تعالى اقاصيص الانبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف في سورة واحدة ولم يكررها فلم يقدر مخالفه على معارضة ما تكرر ولا على ما لم يتكرر وقال وهب ما بعث الله تعالى نبيا بعد يوسف الا وقص عليه قصة يوسف كما قصها على نبينا محمد عليه السلام وقال ان اليهود كانت تكتب سورة يوسف بماء الذهب واقلام من الفضة وكانوا يعلقون بها بسلاسل الذهب الذهب في سبب قربانهم لعظم شانها وحلاوة ذكرها وحسن ما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد ولا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح منها قال الامام النسفي انتظام اول هذه السورة باخر السورة قبلها انه افتتح هذه بقوله الر معناه انا الله ارى من العرش الى الثرى فلي غيب السموات العلى والاراضي السفلى ولست بغافل عما يعمل الورى لانه قال في سورة هود وما ربك بغافل عما تعملون ووجه آخر انه قال في اواخر سورة هود وكلا نقص عليك من انباء الرسل

وقال في اوائل هذه نحن نقص عليك فهذه احدى القصص وقد قصت احسن القصص وانتظام السورتين انهما في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اصابه من الاذى والنوائب وفي تلك السورة ذكر ما لقي الانبياء من الاحاديث وفي هذه السورة ذكر ما لقي يوسف من الاقارب وسبب نزول هذه السورة ما روي عن ابن عباس قال ان قريش بعثوا خمسة رجال الى اخبار المدينة وقالوا اسألوهم عن محمد وعن نبوته وانه خرج من بين اظهرنا ويزعم انه مرسل واسمه محمود وهو فقير يتيم اتى فلما قدموا المدينة اتوا الاحبار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • والصلوة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى اله واصحابه هداة الملة والدين وبعد فلما كان سورة يوسف مشتملة على احسن القصص ومنطوية على اعظم الحصص • اردت ان اجمع ما فيهما من اقوال المفسرين من الثقات • مع الاشارة الى الحصص والنكات جعله الله تعالى ذخر اليوم العرصات • والله المستعان • وعليه التكلان سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية والف وسبعمائة وسبع وسبعون كلمة • وسبعة آلاف ومائة واثنان وستون حرفا روى عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علموا ارقائكم سورة يوسف فانه اي امرء مسلم تعلم سورة يوسف و علمها اهله وما ملك يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة ان لا يحسد مسلما ذكره النسفي وسبب نزولها ان اليهود قالوا الكبراء المشركين ان يعقوب النبي عليه السلام كان كنعانيا متوطنا بكنعان وهو من توابع الشام فسئلوا محمدا باي سبب انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر

فنزلت

2

فنزلت السورة بسبب سؤالهم • وقيل ان اليهود تفاخروا بان لهم قصته يوسف مذكورة في التورية فانزل الله تعالى هذه السورة تطييبا لقلب حبيبه وقلوب امته • وقيل ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تمنوا نزول سورة عليهم لم يكن فيها امر ونهي واحكام وحدود وناسخ ومنسوخ فنزلت هذه السورة وفيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لما يلقاه من اذى الاجانب والاقارب كانه تعالى يقول انا كما جعلنا عاقبة يوسف بعد ما لقيه من اخوته انواع الاذاء سعادة ورفعة جعلنا عاقبتك اعز واشرف فلا تبال و لا تضجر بما فعل بك السفهاء من المشركين • بسم الله الرحمن الرحيم الر صرح في كتب الاصول ان المقطعات في اوائل السور مثل الر ق ن الم من المتشابهات • والمتشابه اسم لما انقطع رجاء معرفة المراد منه وحكمه اعتقاد الحقية قبل يوم القيمة لانه يصير معلوما ومنكشفا في الاخرة لان انزال المتشابه لابتلاء ولا ابتلاء في الاخرة قال فخر الاسلام هذا في حقنا لان المتشابهات كانت معلومة للنبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان انقطاع رجاء معرفته مذهب عامة الصحابة واهل السنة وقال المتأخرون ان الراسخين يعلم تاويل المتشابه لان انزال القران لانتفاع العباد فلو لم يعلمه غير الله لطعن فيه الطاعنون • وقيل لا اختلاف في هذه المسئلة في الحقيقة بين الفريقين لان من قال بان الراسخ في العلم يعلم تاويله اراد به انه يعلمه ظاهرا ومن قال انه لا يعلم اراد به انه لا يعلم حقيقة وانما ذلك الى الله •

وتفصيل هذا البحث في مفصلات الاصول قال بعض المفسرين
ان الر اسم للسورة وانه في محل الرفع على انه مبتداء حذف
خبره او خبر مبتداء محذوف اي الر هذه السورة او هذه السورة
الر اي مسماة بهذا الاسم • وقيل هي ثلثة من اسماء الله الحسنى
الله • لطيف • رحيم • وقيل معناه انا الله بعث جبرئيل الى رسوله
وقيل الالف آلاء الله • واللام لطفه • والراء رحمته • وقيل
اوله اشارة الى انا • ووسطه اشارة الى الجلالة • وآخره اشارة
الى لفظ ارى • فالمعنى انا الله ارى صنيع اخوة يوسف ومعاملتهم
معه وارى ما نزل به من الضر والبلوى من الجب والسجن
وغيرهما ثم جعلته ملك مصر وجمعته مع ابيه المبتلى او انا الله
ارى ما يرى الخلق وما لا يرى بل من العرش الى الثرى وارى
خطوات كل ماش وانفاس كل متنفس واين يذهب كل متحرك
وارى عمل كل عامل وان ارخى الستور واخفى من المخلوق ذكره
النسفي رحمه الله تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى
آيات السورة فان الر على تقدير كونه اسما للسورة كما قيل
يكون آياتها مدلولات تضمنية فيصح ان يشار اليها بقوله
تلك وان يكون تعريف الكتاب للعهد الخارجي والمعهود السورة
المسماة بقوله الر فيكون الر على هذا مبتداء ثانيا وما بعده
خبر الثاني والجملة خبر الاول كانه قيل هذه السورة اياتها ايات
السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب الواضحة معانيها على
ان المبين من ابان بمعنى ظهر ووضح والمراد بظهور الكتاب
بمعنى السورة ظهور كونه معجزا موجبا لتبكيتهم او ظهور معانيه
للعرب لكونه نازلا بلسانهم او المعنى تلك آيات السورة المبينة

لمن تدبرها انها من عند الله لا من كلام البشر او لليهود
ما سألوا او قيل اي تلك الآيات المكتوبة في اللوح الموعودة
لك او تلك الآيات التي اخبرت الانبياء بانزالها عليك او التي
كنتم توعدون بها في التورية هي آيات الكتاب وقيل المبين اي
فيه بيان ما يحتاج اليه الناس في دينهم من الحلال والحرام
والرشد والضلال وبيان الحق والباطل والعدل والجور
انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا كلاما مجموعا بلسان العرب سمي
البعض قرآنا لكونه اسم جنس يطلق على الكل والبعض وفيه
فضيلة للغة العرب لان القرآن انزل بها فيظهر به فضيلة قلب
فيه القرآن ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال
التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له
او حال من الضمير فيه او حال بعد حال لعلكم تعقلون علة لانزاله
بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه
وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاص
كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يمكن الا بالوحي • قال
الامام ابو منصور رحمه الله لا ندري باي لسان كان في
اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه انزله بلسان العرب وهكذا
كل كتاب انزل بلسان المنزل عليهم لعلكم تعقلون ما لكم
وما عليكم ما تأتون وما تذرون او لعلكم تعقلون ان
هذه الانباء التي يخبركم بها محمد من الله تعالى لانها كانت
في كتبهم بغير لسانه فاخبر على معنا ما كان في كتبهم وانما
عرف ذلك بالله تعالى او لعلكم تعقلون بان فيه شرفكم
لانكم تصيرون متبوعين لما يحتاج الناس الى معرفة ما فيه

والناس اتباع لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتاب فيه ذكركم
اى شرفكم • وقال الامام القشيرى قدس سره فى انزال الكتاب عليه
وارسال الرسول اليه تحقيق لاحكام المحبة وتاكيد لاسباب
الوصلة فان من عدم الوصول استانس بالرسول ومن بعد
عن شهود الاحباب تسلى بورود الكتاب وقال بعض اهل الاشارات
جاء كتاب من الله الينا على يد الملك والرسول فآمنا به لكونه نازلا
منه تعالى وجاء كتاب منا الى الله تعالى على يد الملك فنرجو من
فضله ان يغفر لنا من غير نظر الى ما فيه وان كان عصيانا نحن
نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص والقصص
اتباع الخبر بعضه بعضا على سياقه بوجه لا ينقطع معانيه المرتبطة
بعضها عن بعض والمعنى نحن نخبرك هذه القصة على وجه هو
احسن من اقتصاصنا اياها على موسى فى التورية فانه روى ان
اليهود تفاخروا بان الله بين لهم قصة يوسف فى التوريه وهى
غير مذكورة فى القرآن فنزلت هذه السورة على ابدع طريقة واعجب
اسلوب بلغة العرب التى هى افصح من لغة اليهود ليزول افتخارهم
على المسلمين وليكون لفظه وتركيبه اعجازا ببلاغته وكون
معناه مطابقا للواقع او المعنى نقص عليك احسن ما يقص ففى
احسنية وجوه كثيرة من العبر • والحكم • والنكت • والفوائد
التى يصلح للدين والدنيا من سير الملوك • والمماليك • والعلماء •
ومكر النساء • والصبر على اذى الاعداء • وحسن التجاوز عنهم
بعد الاقتدار وغير ذلك • وبعض المفسرين بينوا الاحسنية
وجوها على وجه التفصيل • منها انه يشتمل على عجائب وحكم
لا يبلغ العقل كنههما او كون باطن معناه دالا على صور السلوك

وبيان

وبيان حال السالك او اشتماله على ذكر يوسف عليه السلام
وهو احسن فان الله تعالى خلق الحسن الف جزء فاعطاه تسعمائة
وتسعة وتسعين جزءا واعطى جميع الناس جزءا واحدا او على صبر
جميل او فيه عدم اغترار يوسف بملك مصر حيث قال رب قد آتيتنى
من الملك بخلاف فرعون حيث قال اليس لى ملك مصر او فيه توبة
ابناء يعقوب وقبول توبتهم بخلاف ابن نوح او فيه عدم ميل
يوسف الى الاجنبية او فيه عدم منع يوسف الطعام من اخوته
والاحسان الى المسىء من احسن الخصال الحميدة وقيل لانها مجموعة
فى سورة وسائر القصص متفرقة وقيل لانها نحن نقص وعليك
نقص فالمخبر هو احسن القائلين قولا والمخبر عنه احسن الناس
وجها والذى اخبر اليه احسن الناس قدرا • وقيل لخلوها عن
الامر والنهى اللذين سماعهما يوجب اشتغال القلب لما فيه
من خوف التقصير • وقيل لانها ليست قصة من قصص القرآن
تتضمن من النكت والفوائد ما يتضمن هذه القصة • وقيل
لامتداد الاوقات فيما بين اولها وآخرها • وقال ابن عباس
رض كان بين رؤيا يوسف وحضور ابيه واخوته اليه اربعون
سنة • وقيل ثمانون سنة • وقيل لانها فى ابوين واولاد ليس
فيه اجنبى وعدو وقال محمد بن يحيى الشاعرى هى احسن
القصص لما فيه ثلثة احوال مراعاة طاعة الله فى الرخاء والشدة
وتحسين الاخلاق فى المعاملة واقامة المروة ببذل النعمة
عند القحط والسنة فمراعاة الطاعة عند الشدة والمصيبة
بحدودها وشروطها وصعوبتها وحلاوتها فى صفة ضعف
العبيد من المحجوبات اللطف والتوفيق وتحسين الاخلاق

عند الجفاء والاذية وخصوصا من القرابة من اشرف مقام
الاختصاص بالكرم وبذل الثروة والسعة وقت المحنة و
الحاجة من اعلى منازل العبودية واصفى درجات السخاوة
وقيل سماها احسن القصص لحسن مجاوزة يوسف اخوته
وصبره على اذاهم واعضائه عنهم وقيل لان فيه ذكر الاحباب
وقيل لانها لا يسمعها محزون الا استراح اليه اى سكن اليه
واطمأن به ذكره النسفي وغيره **بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**
الباء متعلقة بقوله نقص وما مصدرية والمراد بهذا القران
هذه السورة اى نقص عليك احسن القصص بايحائنا اليك
هذه السورة **وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** وقد كنت من
قبل القران او الوحى من الغافلين عن القصة لم تخطر ببالك
ولم تقرع سمعك قطعا او وما كنت من قبله الا من الغافلين
فان كلمة ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة ولها
طريقان كما مر وهو تعليل لكونه موحى • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وهذا يدل على ان الايمان بجملة الانبياء والمرسلين
ايمان وان لم يعرف انفسهم واسمائهم وقصصهم والغفلة •
ثلثة انواع • مذمومة ومحمودة • وغير مذمومة ولا محمودة •
فالمذمومة الغفلة عن الله تعالى وعن ذكره وعن الاخرة والمحمودة
هى الغفلة عن الشر وتركه وغير المحمودة والمذمومة ما فى هذه
الاية • وقال الامام القشيرى قدس سره فى قوله بما اوحينا
اليك اى لم تصل الى هذا بكدك وجهدك ولا بطلبك و
جدك بل بعطائنا وجدته لا بعنائك وبتفضلنا لا بتعملك و
بتلطفنا لا بتكلفك وبنا لا بك كذا فى التيسير **إِذْ قَالَ يُوسُفُ**

منصوب باذكر او بدل من احسن القصص بدل الاشتمال ان
جعل مفعولا اى اذكر يا محمد وقت قول يوسف والمراد بذكر
الوقت ذكر ما وقع فى ذلك الوقت من الامور المستغربة والقصائح
المستحسنة لكن فى تعليقه على الوقت مبالغة عظيمة كما لا يخفى
على ذوى البصيرة فى علم المعانى صرح به فى مثل هذا الموضع بعض
المحققين او المعنى نحن نقص عليك وقت قول يوسف وذكر يوسف
فى القران ستا وعشرين مرة فى سورة الانعام واربعا وعشرين
مرة فى هذه السورة ومرة فى حم المؤمن **لِأَبِيهِ** يعقوب بن اسحق
بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابرهيم **روى** انه كان لاسحق ابنان
عيص ويعقوب وكان عيص اكبر من يعقوب قيل انهما كانا
توأمين ولد عيص اولا ويعقوب عقبه ولذا سمى به وعيص
ابو اهل الروم وكان اصفر ولذا سمى اهل الروم ببنى اصفر و
قيل بنو اصفر ملك الروم اولاد الاصفر بن روم بن عيص بن اسحق
ويقال له عيصو بالواو ايضا ولما وصل اسحق الى اخر العمر عمى بصره
وكان اسحق يحب عيص اكثر من يعقوب قال له قرب اجلى ومن
سنة ابى ابرهيم القربان فخذ لى صيدا حتى اجعله قربانا وادعولك
ليجعلك الله خليفتى فى الرسالة ويرثها ابناؤك وسمعت امرأة
اسحاق هذا الكلام فلما ذهب عيص للصيد قالت ليعقوب
وكانت تحبه اكثر من عيص وجاءت بجمل ويعقوب بين يدى
اسحق فسلم يعقوب وقال اسحق من هذا قالت هو ابنك عيص
جاء بما امرته فجعله اسحق قربانا وصلى فنزلت النار واكلت
القربان وكان هذا علامة القبول ودعا اسحاق ليعقوب

بالرسالة ولابنائه ثم جاء عيص بالصيد فقال اسحاق جئت
قبل هذا قال يا ابت الآن جئت قال اسحق لعيص بكثرة المال
والنسل وولد له ابن سماه بالروم قال عثمان بن عبد العزيز
كل ما وصل الى يعقوب من مكر الابناء ومعاملتهم باخيهم
يوسف كان مكافاةً لفعله مع ابيه واخيه يا ابتِ اصله يا ابى
فحذفت الياء وعوضت التاء عنها خاطب يوسف يعقوب
عليهما السلام بالابوة والاضافة الى نفسه للتعظيم والتواضع
وزيادة الهاء فى الاسم على الاب للترقيق والعطف والتحنن
روى ان عمر رضى الله عنه قال انى تعلمت الفتوة من امراءة
كان فى حضنتها شيخ كبير تحمله فقلت من هذا الشيخ قالت
ابى بلغ الى ارذل العمر اذا وضعته على الارض يبكى فاحمله و
اربيه كالصبى قلت لها انك فى تعب عظيم لو مات لاسترحتِ
قالت يا امير المؤمنين هذا الكلام ليس بجيد اذ متى كنت
صغيرة ضعيفة كان يدعو لى بالحيوة وهو صار ضعيفا فلا
ينبغى ان اطلب موته وقد قال تعالى وقل رب ارحمهما كما
ربيانى صغيرا انى رايت فى النوم فهو من الرؤيا لا من الرؤية
اذ لو اجتمع احد عشر كوكبا والشمس والقمر لما خفى على الناس
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين
استيناف بيان حالهم التى راهم عليها فلا تكرير وانما
اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم وقيل كرره توكيدا
لما طال الكلام وقيل معناه انه راهم فى النوم وراهم
يسجدون له فالاول لرؤية اعيانهم والثانى لرؤية فعلهم
وفى سجودهم له وجهان احدهما انه هو السجود المعهودة

على

على الحقيقة وكان تكرمةً له لا عبادة والثانى انه بمعنى
الخضوع له وكانت الكواكب الاحد عشر مثلا لاخوته الاحد
عشر والشمس والقمر مثالين لابيه وخالته وكانت تحت
ابيه وقد ماتت امه واسمها راحيل واسم خالته لايا وهما
بنتا لايان بن ناهر وناهر اخ ابرهيم الخليل ولايان بن
ناهر كان خال يعقوب قال وهب بن منبه كان يوسف راى
قبل هذه الرؤيا وهو ابن سبع سنين فى نومه ان احدى عشرة
عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدائرة واذا
عصا صغيرة تثب عليها حتى اقلعتها وغلبتها فوصف ذلك
لابيه فقال له اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن
اثنتى عشرة سنةً ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن
له فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك على اخوتك
الاية عن جابر بن عبد الله رض ان يهوديا اتى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد اخبرنى عن اسماء الكواكب اللاتى
سجدن ليوسف فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان اخبرتك
لتؤمنن بى قال نعم فاتاه جبرئيل فعلمه اسماءها وهى
الجربان • والطارق • والقابس • والضروح • والفليق • والمصبح
والوثاب • والذيال • والعمودان • والفرع • وذو الكنفات •
راهن يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء فسجدن له
فاخبر والده فقال يا بنى هذا امر متشتت وسيجمعه الله
تعالى بعد فقال اليهودى والله ان الامر كذلك وانها لاسماؤها
فاسلم ومعه رجال من قومه • وقال ابن عباس رضى الله
عنهما الشمس امه • والقمر ابوه • وقال مقاتل الشمس ابوه •

والقمر امه وقال السيدى الشمس ابوه والقمر خالته واسمها
راحيل وكانت امه ماتت واسمها لايا وعن ابن عباس قال
بلغنا ان يوسف كان نائماً فى حجرابيه ذات ليلةٍ فانتبه
مرعوبًا فقال يعقوب حبيبى ما الذى ذعرك قال يا اباه رأيت
رؤيا عجبا قال ماذا رائيت قال رايت كانى على رأس جبل
شامخ وحوله انهار واشجار ورياض فبينا انا كذلك اذ رايت
كواكب نزلن والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وقال الامام
ابو منصور رحمه الله دلت هذه الايات على ان اخوة يوسف
كانوا علماء شبههم بالكواكب وبها يهتدى فدل انهم كانوا
علماء بهم يقتدى وشبه الابوين بالشمس والقمر وبهما جميع
منافع الخلق اذ بهما صلاح جميع الاغذية فى الارض ونضج جميع
الفواكه والانزال ودلت الاية ان الرؤيا قد تخرج على عين ما راى
فقد رأى سجود الكواكب وخرجت الكواكب على الاخوة لى السجود
عليه عينه وهو كرؤية ابراهيم عليه السلام فى المنام ذبح
الولد فخرج الولد على الكبش والذبح عليه عينه ودلت الاية
ايضا على ان اخوة يوسف كانوا علماء حكماء عارفين بتعبير الرؤيا
فان يعقوب قال ليوسف لا تقصص رؤياك على اخوتك الاية
وذلك لعلمهم بالتعبير وقيل رأى يوسف عليه السلام هذه
الرؤيا ليلة القدر ليلة الجمعة فلما قصها على ابيه فهم ابوه منها
ان الله تعالى يصطفيه لرسالة ويفوقه على اخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم عند شعورهم بذلك وقد رأى فى حق يوسف
رؤيا وهى ان عشرة ذئاب اجتمعن عليه يردن اهلاكه فاراد
تدبير دفعه ولذا كان يعقوب **قال يا بنى** تصغير ابن انما صغره

للشفقة لا للتحقير او لصغر سنه **لا تقصص رؤياك على**
اخوتك لا تخبر اخوتك برؤياك وهم روبيل ويهوذا وشمعون
ولاوى امهم لايا امرأة يعقوب ودان واشير وسجر
امهم ذلفاء جارية يعقوب وبغتال وجاذ وزبالون امهم
ذلفاء جارية يعقوب وبنيامين امه راحيل وهى ام يوسف
ايضا مع اخوات وكانت راحيل اخت لايا وهما بنتا لايان
خال يعقوب والجاريتان هاتان كانتا هدية لايان لختنه يعقوب
كذا فى التيسير قال البيضاوى بيض الله وجهه الرؤيا كالرؤية
غير انها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرفى التانيث
كالقربة والقربى وهى اى الرؤيا انطباع الصورة المنحدرة من
افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال
النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير
البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعانى الحاصلة
هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس
المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت الصورة المتخيلة شديدة
المناسبة لذلك المعنى الكلى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه
فان يوسف عم رأى سجود الكواكب والشمس والقمر فاحتاج
الى التعبير فخرج السجود على عين ما رآه لكنه وقع من الاخوة
والاب والخالة لا من الكواكب والشمس والقمر وقال القرطبى
اختلفت العلماء فى حقيقة الرؤيا فقيل هى ادراك من اجزاء
لم يحلها آفة كالنوم المستغرق وغيره ولهذا اكثر ما يكون
الرؤيا فى آخر الليل لقلة غلبة النوم فيخلق الله تعالى للرائى

علمًا ناشيًا منه ويخلق الله الذى يراه ليصح الادراك قال
ابن العربى ولايرى فى المنام الا ما يصح ادراكه فى اليقظة ولذلك
لايرى فى المنام شخصًا قائمًا قاعدًا بحال وانما يرى الجائزات
المعتادة وقيل ان الله ملكا يعرض المرئيات على المحل المدرك
من النائم فيمثل له صورة محسوسة فتارة تكون تلك الصورة
امثلة موافقة لما يقع فى الوجود وتارة تكون لمعانٍ معقولة
غير محسوسة وفى الحالتين تكون مبشرة ومنذرة ومنها
ما يظهر معناه اولًا ومنها ما لا يظهر الا بعد الفكر وقوله لا تقصص
رؤياك دليل على انه لا يقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح ولا
على من لا يحسن التاويل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال الرؤيا جزء من اربعين جزءًا من النبوة والرؤيا معلقة برجل
طائر ما لم يحدث بها صاحبها فاذا احدث بها وقعت فلا تحدثوا
بها الا عاقلًا او محبًا او ناصحًا اخرجه الترمذى رحمه الله قيل
لمالك ايعبر الرؤيا كل احدٍ فقال ابالنبوة تلعب وقال مالك
لا يعبر الرؤيا الا من يحسنها فان رأى خيرا اخبر به وان رأى
مكروهًا فليقل خيرًا او ليصمت قيل فهل يعبرها على الخير وهى
عنده على المكروه لقول من قالت انها على ما تأولت عليه
فقال لا ثم قال الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة
وفى هذه الاية دلالة على ان يحذر المسلم اخاه المسلم ممن
يخاف عليه ولا يكون داخلًا فى معنى الغيبة لان يعقوب
قد حذر يوسف ان يقص رؤياه على اخوته فيكيدوا له كيدا
وفيها ايضا دليل على معرفة يعقوب بتاويل الرؤيا فانه علم
من تاويلها انه سيظهر عليهم ولا يبال بذلك من نفسه

فانّ الرجل

فانّ الرجل يودّ ان يكون ولده خيرا منه والاخ لا يودّ ذلك
ويدل ايضا على ان يعقوب كان احس من بنيه حسد يوسف
وبغضه فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوفًا ان تغل بذلك
صدورهم فيعملوا الحيلة فى هلاكه ومن هنا ومن فعلهم
بيوسف يدل على انهم كانوا غير انبياء وهذا يرده القطع بعصمة
الانبياء عن الحسد الدنيوى وعن عقوق الانبياء وتعريض
مؤمن للهلاك والقصد فى قتله ولا التفات لقول من قال
انهم كانوا انبياء ولا يستحيل فى العقل زلة نبى لان هذه الزلة
جمعت انواعًا من الكبائر قد اجمع المسلمون على عصمتهم منها و
انما اختلفوا فى الصغائر اعلم ان الرؤيا الصادقة قد تكون
منذرة من قبل الله لا يسر رائيها وانما يراه الله المؤمن رحمة
به ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه فان ادرك تاويلها
بنفسه والا سئال عنها ممن له اهلية لذلك وقد رأى
الشافعى وهو بمصر رؤيا لاحمد بن حنبل تدل على محنة فكتب
اليه بذلك ليستعد لذلك روى البخارى عن ابى سلمة قال
لقد كنت ارى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت ابا قتادة يقول
وانا كنت لارى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الرؤيا الحسنة من الله فاذا رأى احدكم
ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتعوذ
بالله من شرها وليتفل ثلثا ولا يحدث بها احدًا فانها لن
تضره قال العلماء فجعل الله الاستعاذة منها مما يرفع اذاها
الا ترى قول قتادة انى كنت لارى الرؤيا هى اثقل على من الجبل
فلما سمعت هذا الحديث كنت لا اعدها شيئا وفى روايت

قال صلى الله عليه وسلم اذا رأى احدكم ما يكرهه فليبصق
عن يساره ثلثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه وفى
روايت قال عليه السلام فاذا رأى احدكم ما يكره فليقم
فليصل قال العلماء هذا كله ليس بمتعارض فعلى الرأى ان يفعل
الجميع والقيام الى الصلوة يشمل الجميع لانه اذا صلى يتضمن فعله
للصلوة جميع تلك الامور لانه اذا قام الى الصلوة تحول عن
جنبه واذا تمضمض نفث وبصق واذا قام الى الصلوة تعوذ
ودعا وتضرع الى الله من ان يكفيه شرها فى حال هى اقرب
الاحوال اجابة وذلك السحر من الليل انتهى كلام القرطبى
واعلم ان العلماء قالوا ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها عن
قريب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب
فيه ان رحمة الله تعالى تقتضى ان لا يحصل الاعلام بوصول
الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والهم اقل و
اما الاعلام بالخير فانه يحصل مقدما على ظهوره بزمان طويل
حتى يكون البهجة الحاصلة بسبب توقع ذلك الخير اكثر واتم
وانما خص يعقوب ع م الاخوة بالذكر لما ان الحسد شايع فى
الاخوة كما وقع بين هابيل وقابيل وبينه وبين عيص وكثيرا ما
تقع العداوة بين الاقرباء ولهذا قالوا اقرب الاقارب اشد
العقارب ووقع فى الخبر اعدى عدوك نفسك التى بين
جنبيك وهو اقرب الناس اليك وفى قوله لا تقصص تنبيه
على ان البلاء يحدث من النطق لا من السكوت ولا يسئل
احد يوم القيمة عن السكوت والبلاء انما جاء على يوسف
من هذه القصة وقال عليه السلام من صمت نجا ومما يدل

عليه

9

عليه ما نقل انه كان لرجل فى زمن سليمان عليه السلام
عندليب فى القفص يترنم بالحان لذيذة يتلذذ به الرجل و
جاء عندليب آخر ذات يوم ووقع على القفص وتكلم يسيرا
ثم طار فسكت عندليب الرجل وترك الترنم فحزن الرجل وجا
به الى سليمان ع م وطلب منه ان يسئل العندليب عن سبب
سكوته فاستنطقه سليمان ع م وقال يا نبى الله انى فى
القفص كان لفراق زوجى وجاء الى ذات يوم فقال يا مسكين
بلاء القفص انما جاء عليك من نطقك فاسكت حتى نجوفسكت
ولما اعلمه سليمان ع م خبره اطلقه عن القفص ولهذا نهى
يعقوب يوسف عن اقتصاص رؤياه فيكيدوا لك كيدا
فيحتالوا لاهلاكك حيلة وذلك لعلمهم بالتعبير نصبه بالفاء
لانه جواب النهى وعلامة نصبه حذف النون يقول ان تاويل
رؤياك ظاهر فلا يؤمن ان يحملهم ذلك على ان يبغوا لك
الغوائل ويخفوا لك الحيل وهذا من الالهامات المجملة فانه
يلوح صورة الغيب من المجردات الروحانية على الوجه الكلى
ويصل اثره الى القلب ولا يتشخص فى النفس مفصلا حتى
يقع العلم به كما هو فيقع فى النفس منه خوف واحتراز ان كان
مكروها وفرح وسرور ان كان مرغوبا ويسمى هذا النوع من
الالهامات انذارات واشارات فخاف عليه من وقوع ما
وقع قبل وقوعه فنهاه عن اخبارهم برؤياه احترازا ويجوز
ان يكون احترازه من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته
وزيادة قدره على اخوته فخاف من حسدهم على ما عرفت و
انما عدى كاد باللام مع انه متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل

تعدّى به تاكيدًا ولذا اكّد بالمصدر وعلل بقوله انّ الشّيطان
للانسان عدوٌ مبين ظاهر العداوة لما فعل آدم وحوّا وقابيل
وهابيل فلا يقصّر جهدًا فى تسويلهم واثارة الحسد بينهم
حتى يحملهم على الكيد قالوا ذكر الله تعالى مكائد الشيطان
فى القران فى ثمانية وستين موضعًا تحذيرًا للعباد اوّلها فازلّهما
الشيطان وآخرها فلا تتّبعوا خطوات الشيطان . قال الامام
ابو منصور رحمه الله بدوّ كل شرّ يكون من الشيطان يقذفه
فى القلوب ويخطر فى الصدور ثم تكون العزيمة على ذلك والفعل
من العبيد وهو ما قال تعالى واما ينزغنّك من الشيطان نزغ الاية
وفى الاية دليل على انّ الرؤيا حقّ وهى من المبشّرات وهى جزء
من ستة واربعين جزءًا من النبوّة كما روى وفيها انّ شفقة
الآباء وافرة وحسد الاخوة ظاهر وفيها انّ عداوة ابليس
لنا قديمة ولله تعالى فى ابقائه لطف عظيم فانه يحمل بعصا
صبنا عليه وذلك مذكور فى قصة كثير من الانبياء مثل فازلّهما
الشيطان وغيره ولمّا زجر يعقوب عن اقتصاص الرؤيا على
الاخوة شرع فى تاويل رؤياه ولذا قال وكذلك اى وكما
اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالّة على شرفٍ وعزٍّ وكمال نفس
يجتبيك ربّك يختارك فيستخلصك ويختصّك بالنبوّة وامور
عظام اذ الرؤيا الصادقة خصوصًا مثل هذه الرؤيا من مقدّمات
النبوّة ويعلم منها انك تصل شرفا من الملك والامور العظام وَ
يعلّمك من تاويل الاحاديث ويلهمك علم ما يؤل اليه عاقبة
ما يراه الناس فى مناماتهم وقيل تاويل الاحاديث العلم بعواقب
الامور بوحيٍ من الله تعالى وقيل هذا كلام مبتدأ خارج عن

التشبيه

التشبيه اذ لا دخل للرؤيا فيه اى وهو يعلّمك من تعبير الرؤيا
لانّها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان
ان كانت كاذبة او من تاويل مشكلات كتب الله تعالى وسنن الانبياء
وكلمات الحكماء ويتمّ نعمته عليك ويكمّل ما ابتداك به من
الانعام والابتداء اخراجه من اصلاب الانبياء والاتمام بالنبوّة
والايحاء وبان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة ومن جملة الاجتباء
واتمام النعمة انه تعالى استانس به فى غيابة الجبّ حين انقطع عن
الاب والوطن والقاه الاخوة فيه وورد فى حق المؤمن وجاهدوا
فى الله حقّ جهاده هو اجتباكم وكذا المؤمن اذا انقطع عن الاهل
والوطن والقاه اخوته فى حفرة القبر تانّس به كان عثمان رضى الله
عنه اذا حضر عند القبر يبكى فقيل له يذكر الجنّة والنّار و
لا تبكى وتبكى من هذا قال عثمان رضى الله عنه انّى سمعت
رسول الله صلى الله وسلّم يقول ان القبر اوّل منازل الاخرة
فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشدّ منه
فعلى العاقل ان يتضرّع اليه تعالى حتى يوفّقه ما كان يونس فى قبره
يسّرنا الله تعالى وعلى آل يعقوب اى اولاد يعقوب ودلّ على
نبوّة اولاده قيل من اين علم يعقوب انّ يوسف وسائر بنيه
يكونون انبياء واجيب امّا كون يوسف نبيّا فانّما علمه بنفس
فانّ مثل هذه الرؤيا من مقدّمات النبوّة ومبشّراتها وقد قال
عليه السلام لم يبق من النبوة الا المبشّرات وهى الرؤيا الصّادقة
وامّا كون سائر بنيه انبياء فانما علمه استدلالا بضوء الكواكب
وقيل كيف ذلك وقد فعلوا ما فعلوا فى حقّ يوسف واجيب بانّ
العصمة انما تعتبر وقت النبوّة لا قبلها كذا ذكر الامام الرّازى

لكن قد سبق آنفا كلام من القرطبي يخالف ما ذكره كما اتمها
النعمة على ابويك من قبل من قبلك او من هذا الوقت ابراهيم
واسحق عطف بيان لابويك اى بالرسالة والوحي وقيل
ويتم نعمته عليك بتخليصك من غوائل اخوتك وسائر الناس
كما جعل لابرهيم الخليل سلاما وبردا وخلاصا من نار نمرود
ولاسحق فداء بذبح عظيم على رواية وهذا كله كان بشارة من
يعقوب ليوسف وقيل كان دعاء له بذلك كله كما قال في اخر
السورة يغفر الله لكم ويقول العرب يديم الله عزك ويطيل بقاءك
ولم يتعرض يعقوب لنفسه هضما لنفسه وتعظيما لهما وعن ابن
عباس رضى الله عنهما انه كان يجعل الجد ابا ويقرء هذه الاية
ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عليم بما يجرى
على يوسف من الابتداء الى الانتهاء وقيل اى بمن يستحق ا
الاجتباء ولكل شئ وفيه تنبيه على ان العاصى ينبغى ان لا يغتر
بفعله المعصية في الخلوات فانه لا يخفى على الله خافية ويقول
يوم القيمة عبدى اتذكر يوم كذا حين ارخيت الستور واخفيت
من المخلوقين وبارزتنى بالمعاصى وكنت اهون الناظرين
اليك فاليوم اذيقك اليم عذابى بعد ما حرمتك من ثوابى
فعلى العاقل ان يحترز من المعاصى في السر والجهر لان الله تعالى
عالم الغيب والشهادة عصمنا الله تعالى عن الذنوب ووفقنا
لطاعته بحرمة نبيه وحبيبه حكيم فيما حكم ليوسف وابيه
واخوته بما حكم بفعل الاشياء على ما ينبغى وقال الامام
ابو منصور رحمه الله قيل تاويل الاحاديث تاويل صحف ابرهيم
وقيل تاويل الاحاديث العلم والكلام وقال تعالى ان ربك عليم

بما يصنع به اخوته او عليم باتمام الانعام حكيم يضع كل
شئ موضعه وقال الامام القشيرى قدس سره قيل الاجتباء
عصمته عن ارتكاب ما راودته امراة العزيز عن نفسه وقيل
من جملة الاجتباء اسباله الستر على فعل اخوته حيث قال وقد
احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر خلاصه من البئر
وقيل من جملة الاجتباء توفيقه لسرعة العفو عن اخوته حيث
قال لا تثريب عليكم اليوم وتاويل الاحاديث هو معرفة قدر
كل احد والوقوف على مقدار كل قائل بما يسمع من نطقه وحدته
بحدة الكياسة وصدق الفراسة واتمام النعمة توفيق الشكر
على النعمة وقيل من اتمام النعمة الصون عن شهود النعمة برؤية
المنعم ومن تمامها صونها عن الزوال والتغيير ومن تمامها رفع
الهمة عن مساكنة النعمة قيل في قوله تعالى حكيم تنبيه على
ان العاصى لو تاب عن المعصية او عمل الحسنة عملا بقول
النبي عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها كما قال تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات والماحى في الحقيقة هو الله
تعالى لنال كرم الله تعالى بمقتضى وعده ورد في الاثر ان الملك
يطوى كتاب معاصى العبد ويرفع قدمه من الارض ويضعه
في السماء الدنيا ثم في السماء الثانية حتى يبلغ السماء السابعة
ويقف في مقابلة العرش ويقول يا رب انت عالم السر ان
العبد الذى وكلتنى عليه فعل انواعا من المعاصى وكتبتها في
هذا الكتاب وهو ياكل نعمتك ويشكر لغيرك وهو عبدك
ويخدم لغيرك ويعصيك ويجعل نعمتك سلاحا لمحاربتك
فلما شكى الملك بهذه الشكاية اجاب الله سبحانه نعم فعل ذلك

ولكن ندم بعده وجاء ندمه الى حضرتي قبلك وعمل الحسنة
فدخل في زمرة عبادي الذين يدرؤن بالحسنة السيئة فقد
غفرت له فكرم الله تعالى واسع لا يزاحمه شئ فعلى العاقل ان
يسعى لمرضاته حتى يصل لطفه بلا عتاب وعقاب لَقَدْ كَانَ
فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ في قصتهم آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ دلالات للذين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصة روى ان
اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا عم لم انتقل يعقوب من
الشام الى مصر فنزلت السورة وكانت آية على صدق نبوته
وقال ابن عباس اتى قوم من اليهود رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوافق اتيانهم ذكر رسول الله قصة يوسف فتعجبوا
منه وقالوا له من اين لك هذا يا محمد فقال علمنيه ربي وعادوا
الى اليهود فقالوا له ان محمدا العربي يذكر قصة يوسف كما
انزلت في التورية فنزلت هذه الآية وهي آيات للسائلين
يعني اليهود وقال مقاتل سألت اليهود رسول الله عليه
السلام عن قصة يوسف فاخبرهم بها فلم يؤمن به غير
جبر عبد عامر الحضرمي وقال الامام ابو منصور الماتريدي
في تأويلات القرآن يحتمل انه آيات للسائلين الى اخر الدهر
ويحتمل انه آيات صدق نبوته لان قصة يوسف كانت في
كتبهم بغير لسانه فجاء بها بلسانه من غير زيادة ولا نقصان
فدل انه الله علمه ذلك وقال الامام القشيري رحمه الله
في قصة آيات لكل ذي محنة حتى يعلم انه كيف يصبر ولكل
ذي نعمة حتى يعلم انه كيف يشكر ويقال في قصته دلالات
كيفية العفو عن الزلة وكيفية الخجلة عند اللقاء لاهل الجفوة

وقيل

اللام في لقد كان يفيد التأكيد في الكلام وبعضهم يقدر القسم فالمعنى والله حقا كان دائما لان كان داخلة في قصة يوسف في اخوته ع ش في قصتهم والمراد بهم هاهنا جميعهم فان بنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودة بما سلف اذ عليهم يدور القصة ابو السعود علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة ابو السعود

قال ابو السعود آيات للسائلين ان يكون من سأل عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته لمن سأل عنها من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا قراءة شئ من الكتب فان اقتصاصها وجمع الآيات المنبئة كافية في الدلالة على نبوته عم

12

وقيل في قصته دلالات لطف الله الجليل لاوليائه بالعصمة
وآيات ان المحبة لا تخلو عن المحنة وقيل في قصته آيات على ان
من صدق في رجائه تخلص يوما من بلائه وقيل آيات اي عجائب
وعبر لا تحصى لاولي الالباب وقيل السؤال انواع والفوائد
كذلك فاذا جالست العلماء فاسئل بلسانك واذا جالست الحكماء
فاسئل بعينك واذا جالست العارفين فاسئل بقلبك وان جالست
المحبين فاسئل بسرك فان لقيت العالم فقدم لسانك واذا
لقيت الحكيم فقدم عينيك واذا لقيت العارف فقدم قلبك
واذا لقيت المحب فقدم سرك وان اطلعت على غيب فقدم
روحك وقال بعض اهل العلم يمكن تمشية الآية في كل
السائلين فكانه قال ان سألك العصاة ما يفعل الله بهم فاقرأ
عليهم قصة يوسف وقل يغفر الله لهم اذا تابوا فقل يعفو
عنهم كما عفا عن اولاد يعقوب وان سألك الممتحنون ما
عاقبة امرهم فقل الفرج كما فرج الله تعالى عن يعقوب ويوسف
وان سألك المحبون كيف يكون حالهم فقل انهم يصلون
الى الحبيب كما وصلت زليخا الى يوسف وان سألك المسجونون
والمهمومون والواقعون في القحط فاجبهم بهذه القصة وان
سألك الذين مات اولادهم فقل سيجمع الله بينكم في دار
الكرامة فتسرون بهم ففي هذه القصة فوائد كثيرة لاولي
الالباب وقيل آيات للسائلين اي لاصحاب النبي صلى عليه
وسلم حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم سمى الله
هذا احسن القصص قال لان المخبر هو احسن القائلين قولا

والمخبر عنه احسن الناس وجهاً فانّ يوسف لم يكن بعده احد
في الحسن مثله فقالت عائشة رضي الله عنها هو احسن ام انت
يا رسول الله اعم قال هو احسن خَلقاً وانا احسن خُلقا فقالت
عائشة رضي الله عنها لم لا تخبر الناس به قال صلى الله عليه
وسلم ان لم اقل انا فقد قال الله تعالى • وانك لعلى خلق عظيم •
فنزل جبرئيل ءم وقال اخبر الناس انّ نورك • ونور يوسف
افترعا في صلب آدم فصار الحسن والجمال ليوسف ءم • والذكر •
والشرف • والنور • والحبور • والضياء • والبهاء • والعفاف •
والكفاف • والهمّة • والرّفعة • والعلم • والحلم • والفضل • والفلاح •
والعزم • والحزم • والبشارة • والسعادة • والحوض • والشفاعة •
والدعوة • والاجابات • والقضيب • والناقة • والتاج • والعمامة •
[اي العصا في الجنة]
والسيف • والهراوة • والبصر • والقناعة • والنسك • والانابة •
[اي العصا في الدنيا]
والرافة • والرحمة • والوقار • والسكينة • والشريعة المرضيّة •
والاحكام الحنفية • والصلوة المكتوبة • والزكوة المفروضة •
والسمع • والطاعة • والصف • والجماعة • والتاذين • •
والاقامة • والتكبير • والتهليل • والتسبيح • والتقديس •
والتحميد • والتمجيد • والحج • والعمرة • والبلد المحرم • والمسجد المعظم
والزمزم • والمقام • والمشعر الحرام • والقران الحكيم • والخلق العظيم
والايات المفصلات • والكلمات المتلوات • والازواج الطاهرات •
والعلوّ في الدرجات • والبراق • والمعراج • والمقام المحمود •
والحوض المورود • والمحضر المشهود • والافق الاعلى • والمقام الادنى
وسلام الله العلى الاعلى • ومشاهدة جماله الجلى الاقصى •

فهذه

فهذه الخصال الجميلة والاحوال السنيّة لم يعطها نبي من الانبيا
الا محمد صلى الله عليه وسلم فيكفي شرفا للعاقل ان يكون امته
اثبتنا الله تعالى فيه ويسّرنا مشاهده جماله آمين وقيل ايات
لمن سئال عن قصتهم ولغير السائلين فاكتفى بذكر السائلين
فانّ كبار اولاد يعقوب بعد ما اتفق على اذلال اصغر اولاده اعنى
يوسف وفعلوا به ما فعلوا قد اصطفاه الله تعالى للنبوّة والملك
وجعلهم خاضعين له وانّ وبال حسدهم له قد انقلب عليهم
وهذا من اجلّ الدلائل على قدرة الله تعا وحكمته وايضا يحصل
لذلك السائل بسبب تلاوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه السّورة عليه وبيانه ما فيها من قصصهم على وجه صحيح
موافق لما في الكتب المتقدمة من غير سماعه من احد ولا قراءة
كتاب دلائل دالّة على صدقه في دعوى النبوة ومن جملة الايات
والعبرات الاصطفاء امر مخصوص بمشية الله تعالى ولا يتعلق
لسعى ساع ولا ارادة مريد ومنها انّ من اراد الله به خيراً لم يكن
لاحد دفعه ومنها انّ من عصمه الله تعالى لم يكن لاحد رميه
بسوء ولا قصد بشرّ ومنها انّ كيد الشيطان واغواءه امرٌ
لا يأمن منه احدٌ حتّى الانبياء فيكونون على حذر منه ومنها
ان اخوة يوسف فعلوا ما فعلوا بابيهم من العقوق والغدر
وبيوسف من القصد بقتله والقائه في غيابة الجبّ وبيعه
بانّه عبد واهانته وتفريقه من ابيهم حتّى بكى ابوهم على فراقه
وابيضّت عيناه من الحزن والبكاء وصار حرضاً اى اذابه الحزن
فلمّا اعترفوا بذنوبهم واعتذروا عند يوسف وقالوا تالله لقد
آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين • قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم

ومنها انهم اعتذروا عند يعقوب وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين وهو مع التاذى الكثير منهم قبل عذرهم وقال
سوف استغفر لكم ربى فالعبد العاصى اذا اعتذر لذنوبه مع
انه تعالى لم يتضرر بها يغفر له ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
مادون ذلك لمن يشاء قيل فى هذا المعنى ان كان عفوك لا يطلبن
ذا ذلك فمن يجود على العاصين بالكرم ومنها انه ينبغى للعبد تمنى
الايمان عند الموت كما قال يوسف توفنى مسلما فانه تمنى الاسلام
لا نفس الموت فان الموت مع الايمان ليس بموت انما الموت لمن مات
وفات الايمان العياذ بالله تعالى ومنها ان اللحوق بالصالحين امر
ممدوح ينبغى ان يطلب كما طلبه يوسف حيث قال والحقنى
بالصالحين ورد فى الخبر ان النبى عليه السلام كان فى المسجد
وجاء جبرئيل مغطا وجهه بعمامة وصلى ركعتين وقال اللهم
اعطنى العافية فى الدنيا والاخرة والايمان عند النزع والامان
فى القيمة ثم ذهب فجاء جبرئيل فقال يا رسول الله هل تعرف من
المصلى قال عليه السلام لا قال جبرئيل هو اخوك الخضر رده
الى حتى اراه قال جبرئيل الان ذهب مسيرة ستة اشهر ومنها
ان يعقوب بكى فى فراق مخلوق حتى ابيضت عيناه فى الدنيا فكيف
يكون حال من كان له فراق من الخالق فى الاخرة والفراق اشد
الشدايد الا ترى لو احرق ثوب لا يظهر منه صوت ولو اخرق
ظهر منه لان فى الخرق فراق اجزائه دون الحرق ومنها ان الفراق
فى الدنيا ينتهى بالموت بخلاف فراق الاخرة فينبغى للاباء ان يعملوا
عملا نافعا لانفسهم واولادهم لئلا يقع الفراق بينهم فى الاخرة الى
غير النهاية ومنها انه ينبغى للاباء الذين مات ابناؤهم ان يخافوا

من

من انهم اذا ماتوا ان لا يصلوا اليهم وهذه الايات وامثا
لها حصص متعلقة بالافاق ولنا حصص متعلقة بالانفس
وهى اقوى من الايات المذكورة واثبتها وهى ان قصة يوسف
تطلع السائلين من طريق الفهم الذى هو الانتقال الذهنى على
احوالهم فى البداية والنهاية ومابينهما وكيفية سلوكهم الى
الله تعالى فتثير شوقهم وارادتهم وتحد بصيرتهم وتقوى
عزيمتهم وذلك ان مثل يوسف مثل القلب المستعد الذى هو
فى غاية الحسن المحبوب المرموق الى ابيه يعقوب وهو العقل
والقلب هو المحسود من اخوته من العلات اى الحواس الخمس
الظاهرة والخمس الباطنة لا بالقوة العاقلة فانها لا تحسد يوسف
القلب ولا تقصده بسوء واما حسد سائر الاخوة اى الحواس
عليه وقصدهم بالسوء فهو انها تجذب بطبايعها الى لذاتها
ومشتهياتها وتمنع استعمال العقل القوة الفكرية فى تحصيل
كمالات القلب من العلوم والاخلاق وتكره ذلك ولا تريد
استعماله اياها فى تحصيل اللذات البدنية ومشتهيات تلك
القوى الحيوانية ولا شك ان العقل نظره الى القلب اكثر وميله
الى تحصيل السعادة العلية من العلوم والفضائل اشد فاوفر
وذلك قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا واخوه
هو القوة العاقلة العملية المتولدة من ام يوسف القلب
التى هى راحيل اى النفس اللوامة التى تزوجها يعقوب العقل
بعد وفاة النفس الامارة وانما قال ليوسف واخوه لان العقل
كما يقتضى تكميل القلب بالعلوم والمعارف يقتضى تكميل هذه
القوة اى القوة العاقلة بانواع الفضائل من الاخلاق الجميلة

والاعمال الشريفة اعلم ان هذه الحصص من المرموزات القرانية
التي عجز العلماء الراسخون من دركها وقد قال رسول الله عليه
وسلم ان للقران بطنا ولبطنه بطنا الى سبعة ابطن وفي رواية
الى سبعين بطنا ولذا ذكر الفضلاء في اثناء تفسير الايات الكريمة
نكات وخصايص على قدر الطاقة البشرية والوقوف والاطلاع
من الثقات ويذكر ان شاء الله تعالى في اثناء بيان ايات هذه
السورة نكت وحصص تقرب من الغين تعميما للنفع ثم اعلم ان
المراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وريالون ويشجر ودينة من بنت خالة يعقوب
ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل
فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع
بين الاختين محرما واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد
وآشر من امتين زلفة وبلهة مات واحد منهم فبقي
اثنى عشر سوى البنات روي ان ابليس تمثل لاخوة يوسف
غير بنيامين بصورة البشر وقال هل تعرفون احدا في الدنيا
اقوى منكم قالوا لا قال فلم تجوزون ان يكون الاصغر احب
الى ابيكم منكم فحدث في قلوبهم عداوة يوسف ولما قص
يوسف عم رؤياه على ابيه وزجره يعقوب عن الاقتصاص على
اخوته سمعت بعض نساء اخوته فاخبرن ازواجهن فاشتد
عداوتهم وظهر الفساد في قلوبهم واراد واصرف حب ابيهم
اليهم كما حكى الله سبحانه وتعالى لحبيبه حيث قال عز وجل
اذ قالوا ليوسف واخوه اللام جواب القسم تقديره والله
ليوسف واخوه لامه وهو بنيامين وتخصيصه بالاضافة

مع

مع انهم اخوته ايضا لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
احب الى ابينا منا ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء يتعصب
بعضنا لبعض احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
تطلق على العشرة الى اربعين واكثر سموا بذلك لان الامور العظيمة
تعصب وتقوى بهم او المعنى نحن جماعة لا يعجزنا الاحتيال عليه
ليخلو لنا وجه ابينا فلما ذا الانخذال لذلك وابونا يوثرهما علينا
في الحب والمنزلة فان قيل ان اخوة يوسف ان كانوا انبياء فكيف
يجوز منهم الحسد القوي وتبعيد الاخ الصالح من الاب المشفق
قلنا ذلك لا يضر نبوتهم عندنا لان المعتبر عصمة الانبياء في
وقت حصول النبوة وما وقع منهم كان قبلها وقد سبق في هذا
البحث تفصيل القرطبي قيل المحبة امر قلبي فكيف عرفوه
واجيب بانه انما عرفوه بآثار يظهر عندهم اما في حق يوسف
فلان يعقوب اصحبه يوم عيد ثلثة ايام قميص ابرهيم الذي
البسه جبرئيل وقد جاءبه من الجنة يوم القي في نار نمرود وشد
وسطه بمنطقة اسحق ووضع في يده خيزرانة جاء بها جبرئيل
يوم ولد اسحق فوقع منهم ما وقع لتخصيصه بها واما في حق
بنيامين فلان يعقوب كان ينظر اليه نظر الشفقة فاستدلوا
على محبته اياهما ان ابانا لفي ضلال مبين خطاء بين في ايثاره
يوسف واخاه علينا وهو تفضيل المفضول وترك التعديل
في المحبة وليس المراد من هذا الضلال الضلال عن الدين ولو
ارادوه لكفروا بل المراد منه الخطاء في تدبير امر الدنيا يقولون
نحن انفع له في امر الدنيا واصلاح امر معاشه ورعي مواشيه
من يوسف فنحن اولى بالمحبة منه فهو مخطئ في صرف محبته

اليه كذا ذكره محي السنة في المعالم وقال النسفي اي خطأ بين
بايثار اثنين على عشرة مع استوائهم في كونهم اولادا له ومع
اقتدار العشرة على الاحتيال على واحد فهذا عدول منه على
طريق الرأي في استصلاح الاولاد لتحاسد الاقارب لمثل هذا
وقال الامام ابو منصور الماتريدي رحمه الله عنه في تاويلات القران
فيه دلالة على انه لا بأس للرجل بان يخص بعض ولده بالعطف
عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا
قال اصحابنا رحمهم الله لا بأس للرجل بان يخص بعض ولده بالهبة
له اذا لم يقصد به الجور على غيره من الاولاد وخصه لمعنى اوجب
ذلك كما فعله ابو بكر رض بعائشة رضها حيث نحلها جداد عشرين
وسقا بالعالية ثم يحتمل تخصيص يعقوب يوسف واخاه بالحب
وجوها احدها ما رأى فيهما من الضعف في انفسهما والعجز في
ابدانهما فازدادت شفقته عليهما لذلك وهذا مما يكون فيما بين
الخلق والثاني انه خصهما بذلك لفضل خصوصية كانت لهما
اما من جهة الدين والعلم او غيره امره الله تعا بذلك والثالث
انه لما بشر يعقوب بنبوة يوسف كان يفضله على سائر اولاده
ويؤثره عليهم لذلك وقال الامام القشيري رحمه الله
لما اعترضوا بقلوبهم على ابيهم في تقديم يوسف عليهم في المحبة
عاقبهم الحق سبحانه بان تركهم حتى بسطوا في ابيهم لسان اللوم
فوصفوه بالضلال وهو من المحال وان كان المراد منه هو الذهاب
في امر يوسف بكل حال ويقال لما حسدوه في تقديم ابيهم يوسف
عليهم لم يرض الحق سبحانه حتى اقامهم بين يدي يوسف
فخروا له سجدا ليعلم ان المحسود لا يسود ويقال اطول الناس

حزنا

16

حزنا واد ومهم غصة من اراد تاخير من قدمه الله او تقديم من
اخره الله تعالى اذا خوة يوسف ارادوا ان يجعلوه في اسفل الجب
فرفعه الله تعالى فوق السرير انتهى وقيل واذا اريد التفسير الانفسي
يراد ان نسبة الحواس اباهم العقل الى الضلال الذي هو البعد عن الصواب
بالنظر الى الامور الدنيوية وذلك لعدم اطلاع الحواس على المنافع
الاخروية **اقتلوا يوسف** من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا
كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون
وقيل دان وقيل روبيل وهو اكبرهم سنا ورضي به الاخرون الا من
قال لا تقتلوا ذكره القاضي **او اطرحوه ارضا** اي القوه الى ارض
غريبة بعيدة عن ارض يعقوب بحيث يخفى عليه موضع يوسف
ويقصرونه اخباره وقوله ارضا اي الى ارض نصب بنزع الخافض
كما في قوله تعالى واختار موسى قومه اي من قومه ذكره النسفي وقيل
اي اذهبوا به مسافرين ارضا منكورة بعيدة من العمران نصب
بتقدير في كالظروف المبهمة لابهامها تنكيرها وقيل في ارض تاكله
السباع قال النسفي في التيسير وقال بعضهم لما قالوا ليوسف و
اخوه احب الى ابينا منا تراأى لهم الشيطان في صورة شيخ و
قال ان يوسف يريد ان يستعبدكم فقالوا ما الرأي فقال اقتلوا
يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فقالوا له لو فعلنا ذلك
كنا عاقين للاب عاصين لله تعالى فقال ثم تتوبون فتكونون قوما
صالحين ثم غاب عنهم فثبتوا على هذا الرأي يقول اقتلوا يوسف
لتنحسم مادة هذا الامر او القوه الى ارض غريبة **يخل لكم وجه ابيكم**
جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم
ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد ذكره القاضي

قوله في حكم المستثنى فلا يرد ان قوله اقتلوا كيف يكون من جملة المحكي بعد قوله قالوا وهو مسند الى جميعهم وقائل لا تقتلوا ليس الجميع سعدي
تنبيه وفي الكلام كناية توجيهه ان اريد بالوجه العضو المخصوص لان اقبال احد على احد بقلبه يستلزم اقبال كل قالبه اليه واقبال كل قالبه يستلزم اقبال وجهه اليه فيتكرر الواسطة اليه فذكر اقبال الوجه واريد اقبال الذات اي اقبال كل قالبه ثم اريد منه اقبال القلب ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما في قوله تعالى ويبقى وجه ربك فيكون الواسطة واحدة ويكون كناية ايمائية ويجوز ان يكون المعنى يفرغ لكم وجه ابيكم على الكناية كما مر فالمعنى يفرغ لكم قلب ابيكم لا يفرغ ذاته او وجهه لكم ذكره الواحدي
او يفرغ لكم وجه ابيكم على الكناية

اعلم ان من جملة الحصص في هذا المقام انّ يعقوب احبّ يوسف
فحسده اخوته حتى قصدوا اهلاكه ولكن الله جعله عزيز مصر
كما انّ الله تعالى احبّ سائر المؤمنين فحسدهم ابليس واراد هلاكهم
ولكنّ الله جعلهم اعزّةً وانّ اخوة يوسف ظنّوا انّ يوسف اذا غاب
انقطع حبّ يعقوب منه وينصرف الى حبّهم ولم يصر كذلك بل
اعمى الله بصره عنهم وزاد حبّه بيوسف وكذا الشيطان يريد
ان يبعد المؤمن بالمعصية وهو يستغفر ولا يغيّر بطاعته قال صلى الله
عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك العُجْب
العُجَب حكى انّ زاهدًا رأى حوريًا في المنام فسألها لمن انت قالت
لك قال ما اجمل وجهك قالت بينا كنت في مجلس علم فبكيت على ذنبك
واخذ ملك قطرةً من دموعك وجاء بها الى فمسحت بها وجهي
فزادني الله تعالى جمالًا وانّ اخوة يوسف اغترّوا بقوّتهم وكثرتهم
وقالوا نحن عصبة ولم يعرفوا انّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
كما ان ابليس اغترّ حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين وانّ يعقوب لمّا غمض بصره عن غير يوسف فتح الله بصره
وابصر يوسف فالمؤمن اذا غمض بصره عن المحرّمات في الدّنيا فتح
الله تعالى بصره وجهه الجميل في الاخرة ذكره بعض الافاضل
وَتَكُونُوا مجزوم بالعطف على محل مِنْ بَعْدِهِ بعد يوسف او الفراغ
من امره او قتله او طرحه او عقوق الاب او عصيان امر الله
قَوْمًا صَالِحِينَ تائبين الى الله تعالى ممّا جنيتم فيغفر لكم او صالحين
مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهّدونه او صالحين في امر دنياكم
فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم ذكره القاضي رحمه الله قال الامام
القشيري قدس سرّه قديمًا قيل من طلب الكلّ فاته الكلّ اراد اخوة

يوسف

او منصوب بكل على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل
قوله تعالى ويعلم الصابرين [illegible] في الحكم وما بعده
للمبالغة في حملهم على القبول فان اغتنام الرام [illegible]
تنفس واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل ذكره ابو السعود
اي بتحصيل الاقبال او الفراغ المذكور مع ان يكونوا
فيما يستقبل فان ان يختص الخطاع بالاستقبال
[illegible]

يوسف ان يكون اقبال يعقوب بالكليّة عليهم والله تعالى يقول
فتولّى عنهم وقيل كان قصدهم ان لا يكون يوسف عند ابيه
فتساوى عندهم اقسام غيبته وقالوا اما القتل واما النفي ولا بأس
بعد ان لا يكون يوسف وقوله وتكونوا من بعده قومًا صالحين لم
تطب نفوسهم بان يذهبوا عن الله بالكليّة فدبّروا الحسن الرُّجْعى قبل
ارتكاب ما دعتهم اليه نفوسهم وهذه صفة اهل العرفان اعلم
ان من جملة الحصص في هذه المقام انّ اخوة يوسف دبّروا التوبة
قبل ارتكاب ما دعتهم انفسهم اليه وهذه صفة اهل العرفان
من اهل الايمان كما ذكره القشيري قدّس سرّه ومنها تحقيق ما
قيل من طلب الكلّ فاته الكلّ اذا اراد اخوة يوسف ان يكون اقبال
يعقوب بالكليّة عليهم والله تعالى يقول فتولّى عنهم كما سيجيء
ومنها ان ابليس يوسوس كلّ من يعمل المعاصي برجاء التوبة
والصّلاح واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقتل يوسف انّ الحواسّ
يقتلون القلب بالتلذّذات البدنيّة قال صلى الله عليه وسلم
لا تميتوا قلوبكم بكثرة الاكل وبطرحه ان يجعل القلب مشغولًا
بامر الدنيا بعيدًا عن تدبير العقل وفكر العاقبة وبخلوّ وجه الاب
استنزالها العقل الى الفكر في باب المعاش وتحصيل اسبابه و
التوجه نحوها ومعنى الكون بعده قومًا صالحين كونها في ترتيب
المعاش وتهيئة اسبابه على حسب المراد ذكره بعض الافاضل
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيًا واكبرهم فيه
وقيل روبيل وكان اكثرهم سنًّا ذكره القاضي لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ
القتل عظيم فلا تفعلوه وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ في قعره سمّي
لغيبوبته عن اعين الناظرين لانّ الغيابة في اصل اللغة الموضع

اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه و
استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم
القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى
واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه
الخ ابو السعود
يعني بدل الطرح في ارض بعيدة من العمران وانما
قال هذا القائل ذلك لكونه اوجه مما ذكروه فانه
فان من التقطه في السيارة يحمله الى موضع بعيد
ويحصل المقصود بلا احتياج الى الحركة بانفسهم
فربما لا يأذن لهم ابوهم وربما يطلع على قصدهم احد
واللام في السيارة للجنس مما فيها وفي البعض
من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه
بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم
بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره ابو السعود
وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه
لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة الجب وغيابات
بالتشديد قاضي

الذى يغيب فيه صاحبه وكلّ ما غيّب شيئا عن الحسّ يكون
فيه فهو غيابة والقبر سمّى بذلك والجبّ البئر الذى ليست بمطوية
سمّيت جبّا لانّها قطعت قطعا ولم يحدث فيها غير القطع من
طىّ وتعريف الجبّ للاشارة الى بئر قد عرفوها فى اسفارهم يَلْتَقِطْهُ
ياخذه الالتقاط تناول الشئ المطروح عن الطريق ومنه
اللقطه بَعْضُ السَّيَّارَةِ بعض الذين يسيرون فى الارض اى
يذهبون الى اطراف العالم ويحصل المقصود وهو خلو وجه الاب
من غير ارتكاب امر عظيم وهو القتل ومن غير تعب سفر لانهما
قال النسفى السيّارة العير وقيل مارّة الطريق يقول القوه فى
اسفل بئر عميقة قليلة الماء على ممرّ السابلة والقوافل يلتقطه
بعضهم فيخلو لكم مكانه من غير ارتكاب القتل ويحصل لكم
المقصود الاخر وهو رميكم اياه الى البلد النائى من غير ان تحتاجوا
الى تكلّف سفر فيه بانفسكم فنصح هذا القائل الى الاخوة بهذا
التدبير وكان مقصده نقض رأيهم فى القتل وجرّهم عنه الى
الرأى الثانى بتسهيل ذلك السبيل عليهم والعاقل اذا وقع الى
شرّين اختار اهونهما ثمّ قوله فى غيابة الجبّ بالتعريف دون
التنكير له معنيان يحتمل انّهم اشاروا الى بئر قد عرفوها فى اسفارهم
ويحتمل ان يكون ذلك كقولك ارم به فى الماء ولا تريد ماء بعينه
انّما تريد به الجنس إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ان عزمتم على فعلكم وهم
كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبياء بعد وقيل لم يكونوا بالغين
وليس بصحيح بدليل انّهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين
وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له قال محمّد بن
اسحق اشتمل فعلهم على جرايم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين

وقلة

وقلّة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك
العهد والكذب مع ابيهم وعفى الله عنهم ذلك كلّها حتى لا ييأس
احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم انّهم عزموا على قتله فعصمهم
الله رحمة بهم ولو فعلوا لهلكوا اجمعين وكلّ ذلك قبل ان نبّاهم الله
تعالى كذا فى المعالم قال النسفى رحمه قال الامام ابو الحسين محمد بن
يحيى البشاغرى رحمه فى كتاب عصمة الانبياء ان الاخوة تستصحب
الشفقة لكن الميل الى حظّ النفس ربّما يغلب على الشفقة فلا يقدر
على استعمالها فيعامل معاملة الاجانب والشفقة على حالها غير
متلاشية لكنّها غير عاملة دليله قول احدهم للاخرين لا تقتلوا
يوسف والقوه فى غيابة الجبّ وهذا كلام من هذا القائل على
نظم الشفقة واجابته له مبنيّة على الشفقة ايضا الا ان مطالبتهم
حظوظهم من ابيهم غلبت عليهم فلا يتركوه من غير اذى ومكروه
الحقوهما به ولم يخرجوا ايضا بالاهلاك على الاستيصال الا ان القاء
فى الجبّ مرجوّ منه الخلاص وقولهم ايضا انّ ابانا لفى ضلال مبين
عنوا به لفى خطا بيّن حيث لا يسوّى بيننا فى المحبّة لنا والاقبال
علينا والتبجّح بنا ولم يعرفوا انّ اقبال يعقوب الى يوسف لم يكن
من جهة الولدية وانّما كان من معرفته بصنع الله تعالى فى شجه
بالتقويم وبما وضع الله فيه من اللطائف فكانت محبّة كان
يكشف له من زيادة الاطلاع على صنع الله فيه وكان لا يلزمه
التسوية بينهم ولهذا قالوا انّ للاب ان يزيد فى الاحسان والبرّ
على بعض الولد دون بعض لزيادة مَنْقَبَةٍ فى الدين اكرمه الله
تعالى بها وان كان الاولاد سواءً فى معانى الدين فعليه ان يسوّى
بينهم فى الاكرام والبرّ فلم يكن يعقوب عليه السلام فى خطاء

بين كما قالوا بنوه الا انهم توهموا انه يكرمه لعين الوالدية
فرأوا انفسهم اولاده فنسبوه الى الخطاء بين ولو عرفوا انه لمعنى
من لطائف الله تعالى فيه يكرمه لم ينسبوه الى الخطاء وفي ذلك
ابانة انهم يستعظمون اقبال ابيهم عليهم ويغتنمون اكرامه اياهم
حيث ماكسبوه ولو كانوا متهاونين بر الوالد غير مغتنمين عطفه
عليهم لم يشتغلوا بتلك المماكسة مع ابيهم الا انهم جهلوا وجه
المعاملة في خلال كلامهم بعضهم مع بعض ومع ابيهم ومع اخيهم
من نحو قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة
ومن نحو قولهم اقتلوا يوسف وقولهم وتكونوا من بعده قوما
صالحين وقولهم مالك لا تأمنا على يوسف ثم ترك المجاهدة
بقتله مغافصة في ذلك كله دليل على صحة ايمانهم اذ لو لم يكن
لهم ايمان لم يكن لهم مانع عن قتله من غير تدسيس واحتيال
وفي ذلك كله دليل على ان بركة بنوة ابيهم واجدادهم كانت
متعدية الى بواطنهم حتى لم يصيروا معاندين عناد المعرضين
عن الحق بواجوه الا انهم لم يكونوا في ذلك الوقت انبياء فلم يكونوا
معصومين عن المحظورات كلها فوقعوا فيما وقعوا الحكمة بالغة
علمها الله تعالى وعلم نفعها متصلا لابيهم وبابيهم وباخيهم و
بالمسلمين فاجرى الله عليهم تلك القصة وعقب تلك اللطائف
والنعم فيهم وفي غيرهم انتهى اعلم ان من جملة الحصص في هذا
المقام اختيار اهون الشرين فان مقصود القائل بهذا التدبير
نقض رأيهم في القتل فينبغي للعاقل ان يختار الاهون وان ينصح
اخاه بالتدريج ولما قاله شفقة والباقون قبلوه دل على
ايمانهم اذ الشفقة من الايمان واذا اريد التفسير الانفسي

يراد

يراد ان بعض الحواس ينظر عاقبة الامور ويخاف من الافتضاح
الكلي ولكن لا يقدر على ان يمنع الاخوة عن جميع المفاسد فيأمر
الحواس الباقية بالالقاء في غيابة الجب اى جذبها القلب الى الجهة
السفلية وقعر الطبيعة البدنية لعله يلتقطه ويخرجه بعض
السالكين اعلم ان اخوة يوسف لما قالوا فيما بينهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا وقال لهم يهوذا او روبيل لا تقتلوه ولا تسافروا بر
المكان بعيد بل القوه في غيابة الجب الى آخر ما قاله اطاعوه و
استأذنوا اباهم اول مرة ولم يأذن لهم فجاؤا الى يوسف اذ
خدعة الصغير اسير ومال الى قولهم وتضرع الى ابيهم فلما الان
جاؤا ثانيا قالوا ليعقوب يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف حال
من الكاف اى لم تخاف عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق
عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزال يعقوب عن رأيه في
حفظه منهم بما وجد نسيم حسدهم ذكره البيضاوي وقال
النسفي رحمه الله قالوا لم تخاف علينا ان نناله بسوء وانا له لناصحون
اى وهو اخونا وشقيقنا ونحن له ناصحون نريد به الخير
ظاهرا وباطنا لا موضع لا تهامك ايانا فيه ونصحهم له في
السفر ان يحوطوه ولا يدعوه يأخذ وجها مخوفا ولا يفردوه عن
انفسهم ولا يكلفوه ما يخاف عليه منه ونحو هذا قال مقاتل
في الكلام تقديم وتأخير قالوا ارسله معنا فقال اني ليحزنني
ان تذهبوا به فح قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وقال في
كتاب عصمة الانبياء كانهم كانوا طالبوه مرارا حتى خاطبوه
بهذا مالك لا تأمنا على يوسف واراد وا بتأكيد هذا الكلام
استرسال ابيهم واستسلامه بارسال يوسف معهم وقال

الامام القشيری قدس سره کلام الحسود لا یسمع ووعظه
لا ینجع وان کان فی معرض النصح فانه یطمع الشهد ویطعم الصاب
ویظهر الشفآء ویضمر الاوصاب ویقال والعجب من قبول یعقوب
ما ضمنوه له من حفظ یوسف وقد تفرس قبله ما قال لیوسف
فیکیدوا لک کیدا ولکن اذا جاء القضاء عمی البصر ویقال من قبل
علی محبوبه حدیث اعدائه لقی ما لقی یعقوب فی یوسف من بلائه
انتهی ومن الخصص فی هذا المقام انهم لما ادعوا الامانة بغیر
صدق هتک الله سترهم وکذا اهل الرؤیاء یوم القیمة اللهم
لا تخزنی یوم یبعثون وان یوسف کان یعرف حسدهم ویخاف
ضررهم ولکن الکریم لا یرد سائله کما قیل فی مثله شعر ولو لم
یکن فی کفه غیر روحه لجاد به فلیتق الله سائله فلم یرد سؤالهم
ورضی بذل الروح وهو واحد ولله الکریم الرحیم رحمة کثیرة
کیف یرد سائله وان فی کلامهم نصحا من وجهین احدهما انه
باضمارهم الاضرار باخیهم کانوا معتقدین للنصح فمن ارتکب
الکبیرة اذا لم یستحلها فهو فی عقد الایمان صحیح فاخوة یوسف
عرفوا النصح فی باطنهم غیر ان غلبة الشهوة فی حظوظهم حملتهم
علی ذلک الفعل فلم یستعملوا النصح المتمکن والثانی انهم
اعتقدوا تغیبه عن ابیه لا لهلاکه وفی ذلک طرف من النصح
وان کلام الحسود لا یسمع ووعظه لا ینجع وان کان فی معرض
النصح وان القضاء اذا جاء عمی البصر فان یعقوب مع احتیاط
فی حفظه وقوله له فیکیدوا لک کیدا اطاعهم واذا ارید التغیر
الانفسی یراد مراودة الحواس للعقل عن القلب بالتسویلات
مع کراهة العقل لذلک وکذا النفس لا تجذب القلب عن

[illegible]

ضبط العقل الا بعد ان یوافقها القلب لما انهم لم یقدروا علی ما
ارادوا الا بعد موافقة یوسف ارسله معنا غدا ابعثه معنا
الی الصحراء غدا یرتع یتسع فی اکل الفواکه ونحوها من الرتعة وهی
الخصب ای یأکل جمیعا ما یکون فیها بکثرة وسعة ویلعب وذلک
فی اللعب المباح الذی قد یفعله الکبار مع الصغار وخصوصا
اذا کانوا اخوة لا یحتشم بعضهم من بعض ویجوز ان یکون اللعب
هو ما ذکر بعده من الاستباق فی قولهم ذهبنا نستبق ای نرمی
بالقسی والسهام وقیل نتسابق بالاقدام وکل ذلک مباح فی
الشرع قال النبی صلی الله علیه وسلم لیس من اللهو الا ثلثة ملاعبة
الرجل اهله ورمیه عن قوسه وتادیبه فرسه وقال صلی الله علیه
وسلم سیکون فتوح فلا یعجزن احدکم ان یلهو بقوسه او سهمه وکان
رسول الله صلی الله علیه وسلم یسابق عائشة رض علی الاقدام کذا
فی التیسیر وانا له لحافظون ای فی حین لعبه من ان یناله سوء
او یتعثر او یطوف یوسف بحیث یخاف علیه من الوحوش والهوام قال
الامام القشیری قدس سره اطمعوا یعقوب فی تمکینهم یوسف مما
فیه تفرج یوسف وراحته من اللعب فطابت نفسه باذهابهم
ایاه من عنده وان کان یشق علیه فراقه لکن المحب یوثر راحة
محبوبه علی مشقة نفسه ولما رکن یعقوب الی قولهم وانا له لحافظون
اتی من قبلهم حتی قالوا وترکنا یوسف عند متاعنا فاکله الذئب
کذلک یکون من سلم حبیبه الی اعدائه غص بحسی بلائه وقال
فی کتاب عصمة الانبیاء ما معنی اجابة یعقوب لبنیه الی
ارسال یوسف معهم وقد سمع انهم للرتع واللعب یدعونه و
یحملونه وهو نبی مرسل هلا تحرز عن اجابتهم قلنا انه صلی الله

عليه وسلم عاملهم بالعشرة فيما لم يكن محرمًا على يوسف في حال
صِباه والرتع واللعب اللذان كانوا يدعونه اليهما لم يكونا معصية
وان كانا مكروهين او لغوين والنجباء الاجلة في معاملة الناس
ومجاملتهم كانوا لا يختارون من الاعمال الا افضلها ومن الامور
الا اكملها لكنهم اذا استقبلهم ممن دونهم لغوًا واصابة بمكروه
عاملوهم على قدر احتمالهم فلم يكن من النجباء الاصفياء مذمومًا
لجميل مرادهم في تحسين اخلاقهم استجلابًا منهم للذين عاملوهم
الى الحق والهدى فان قال قائل ان يحيى عليه السلام فيما يروى عنه
عرف ذلك حتى دفع الاجابة للصبيان الى اللعب حتى مدحه الله تعالى
فقال واتيناه الحكم صبيًا وهو ابن اربع سنين حيث قال لهم ماللعب
خُلقتُ فهلا عرف يوسف ذلك حتى كان يدفعهم قلنا انه عرف
انه للعب لم يخلق ولكن لم يدفع كلامهم تعظيما للاخوة الذين كانوا
اكبر سنًا منه ولم يظهر الاجابة بالكلام ولا بالعمل رتعًا ولعبًا فما
بأس به من حسن عشرته وقال الامام ابو منصور رحمه خاف
يعقوب على يوسف الضيعة من جهة الجوع بتركهم حفظ اوقات
الاكل فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع اي نأكل وخاف عليه ان يكلفوه
امرًا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم ونلعب
لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة وخاف عليه الضيعة بتركهم
حفظه فامنوه عن ذلك بقولهم وانا له لحافظون حتى استنقذوه
من يديه وقيل مالك لا تأمنا هذا عتاب منهم لابيهم ومثله في
القرآن وما لكم لا تؤمنون بالله وهذا عتاب الله مع عباده وقال
نوح ما لكم لا ترجون لله وقارًا وهذا عتابه مع امته وقال ومالنا
الا نتوكل على الله وهذا عتاب الصالحين مع انفسهم وقالوا قولهم

ارسله

ارسله معنا غدًا نرتع ونلعب وانا له لحافظون تكلموا بثماني
كلمات وفيها ثمانية انواع من الخطأ قالوا ارسله وهذا امر وامر
الابن اباه خطأ وقالوا معنا وهذا منهم رؤية انفسهم وهي خطاء
وقالوا غدًا وهذا طول امل وهو خطاء وقالوا نرتع وهذا حديث
الاكل وحظ النفس وهذا من المتورعين خطأ وقالوا ونلعب وهو
من الانبياء خطاء وقالوا وانا وعظموا انفسهم وهذا من الكبر
خطاء وقالوا لحافظون رأوا الحفظ من انفسهم وهذا من الله فالاضافة
الى العبد خطاء واطلقوا هذا الوعد ولم يقولوا ان شاء الله وهو
خطاء لكن ستر عليهم ابوهم مع علمه بخطاءهم شفقةً عليهم كذا
في التيسير ومن الخصص ان يوسف عليه السلام لما اعتمد على
حفظ الاخوة وقع في البئر بسببهم فينبغي للعاقل ان يعتمد على الله تعالى
في كل الامور لا على عصمة الغير ولا على طاعته حكى ان جنيد البغدادي
قدس سره قال ان الله تعالى يقول يوم القيمة من قابلنا باعماله
قابلناه بعدلنا ومن قابلنا بافلاسه قابلناه بفضلنا بيت
جارجيز آورده ام يارب بدرگاه تو نديت نيستى وعجز وتقصير
وگناه آورده ام ومنها ان يوسف ذهب ليلعب ويعقوب
رضي به فابتليا واذا اريد التفسير الانفسي يراد ان مراودة الحواس
للعقل عن القلب وعكسه انما يكون بالتلذذات الجسمانية والشهوات
النفسانية والزخارف الفانية وميل القلب الى وساوس النفس
بسبب طمع العشرة واللهو فمن لعب في الظاهر اصابه البلاء
العظيم فكيف يكون حال من يلعب في الباطن قال يعقوب
اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
فان قيل كيف جاز وقوع قوله تعالى ان تذهبوا به فاعلا وهو

اى ذهابكم بيوسف ويحزن الم القلب
بفراق المحبوب واللام لام الابتداء للتاكيد
حال بها عيون
قال يعقوب في الجواب معتذرا لشيئين
عيون

مستقبل لقوله ليحزننى وهو حال اذ يلزم تحقق الفعل قبل
تحقق فاعله قلنا ان الفاعل فى الحقيقة هو المضاف المقدر اى
تصور ذهابكم به الحزن انما يكون على الموجود ولذا عرفوه بانه
الم القلب لفوات المحبوب ومن الخصص ان يحزن المؤمن على
فوات ما هو محبوب له حكى ان حكيما قال من هم وحزن فى غير
ثلثة امور فانه لم يعرف الحزن ولا السرور احدها هم الايمان انه
يختم عمره به ام لا والثانى هم امر الله تعالى انه يتم ام لا والثالث هم
الخصماء انه ينجو منهم ام لا ومنها ان يعمل بموجب حزنه فان
يعقوب لو عمل بموجبه ما رضى بذهابهم بيوسف ومنها ان يستمر
على حزنه حتى حصل له الامن والسرور قال ابرهيم التيمى من كان
آمنا ولا يكون محزونا يخاف ان لا يكون من اهل الجنة لان اهل
الجنة قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين وروى ان الحسن البصرى
ما روى الا كانه رجع من دفن امه واذا اريد التفسير الانفسى يراد
ان العقل يحزنه ان يذهب الحواس بالقلب الى هواهن فانه اختل
البدن كله كما قال عليه السلام ان فى الجسد لمضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب
وَاَخَافُ اَنْ يَاْكُلَهُ الذِّئْبُ لان الارض كانت مذأبة فخاف ان
يشتغلوا عنه بما يشتغل مثلهم فيغفلوا عنه فيعدو عليه
ذئب فيأكله وقال مقاتل وانما قال يعقوب ذلك لانه راى
فى المنام ان ذئبا انتزع يوسف من يده وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وهذا لا يحتمل لان رؤيا الانبياء حق وصدق فلا يحتمل
ان راى ذلك ثم يقول واخاف ان يأكله الذئب او يدعه يذهب
معهم لكنه خاف عليه اكل الذئب على ما يخاف على الصبيان

حزن الم القلب لفوت المحبوب وخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته وهو اصلية ليوسف والثانى الى ما يتوقع من ورود اكل الذئب ابو السعود

فى المفاوز اذ الخوف على الصبيان منها والضياع عليهم يكون
بالذئب اكثر من وجه آخر لانه جائز ان يفترسه سبع عند
اشتغالهم بعمل وقال الامام القشيرى قدس سره يقول انى
ليحزننى ان تذهبوا به لانى لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لى
بفرقته هذا اذا كانت الحالة السلامة فكيف ومع هذا اخاف ان
يأكله الذئب وفى الخبر انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولما خاف
يعقوب على ولده الذئب امتحن بحديث الذئب كذا فى التيسير
ومن الخصص ان يحترز العاقل عن موضع كان فيه مهلكات و
يخاف ان يذهب به الاخوان السوء الى موضع يأكله الذئب الذى
اسمه جهنم فانها يؤتى بها يوم القيمة بالسلاسل وتحجم الى الناس
لتأكلهم ومنها ان يعقوب ذكر العذر لابنائه بقوله واخاف ان
يأكله الذئب وكانوا لا يعلمون ان الذئب يأكل الناس الى ان قاله
ولذا قالوا اكله الذئب وكذلك ذكر الله تعالى العذر لعباده
بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم كما ذهب اليه بعض
المفسرين حتى يعتذروا بان كرمك غرنا يا ربنا ومنها ان الانسان
يسلط عليه ما يخافه ويذكره فان يعقوب لما خاف على ولده و
كانه تطير بالذئب امتحن به وفى الحديث انه كان يحب الفال
ويكره الطيرة واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان العقل يخاف
من القوة الغضبية فانها اذا ظهرت حجبت القلب عن الافعال
الخاصة وانها اقوى واشد اضرارا به وابطالا لفعله وهو المعنى
من الاكل وَاَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ لاشتغالكم بالرتع واللعب وقلة
اهتمامكم بحفظه ومن الخصص ان سبب الغفلة عن امر الآخرة
الاشتغال بالرتع واللعب فينبغى للعاقل ان يحترز عنهما

والاشتغال بهما ومنها ان منشاء البطلان فى الايمان والعمل
قلة الاهتمام بحفظهما ومنها ان يعقوب لقن الحجة لابنائه فانهم
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فكانهم
اعتذروا بالغفلة ولهذا قال بعض الصحابة لا ينبغى للعاقل ان
يلقن الخصم الحجة واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان الحواس
تشتغل بالملاهى فتغفل عن حفظ القلب فياكله القوة الشهوانية
والتلذذات النفسانية ويبعد عن تعقله قالوا اخوة يوسف
لئن اكله الذئب اللام موطئة للقسم اى والله لئن اكل يوسف
الذئب ونحن عصبة الواو حالية اى والحال نحن جماعة عشرة
انا اذا لخاسرون جواب القسم اى انا اذا الخاسرون نخسر اخانا
او العاجزون مغبونون او مستحقون ان يدعى علينا بالخسار
قيل حق فى حق اخوة يوسف ما وصفوا به انفسهم من الخسران
فان من باع اخا مثل يوسف بمثل ذلك الثمن البخس يحق ان يقال
خسرت صفقتك وفى كتاب عصمة الانبياء فان قالوا كيف
يجوز من النبى المرسل الاشتغال بعادات الناس فى كلامهم من
نحو قوله انى ليحزننى ان تذهبوا به الى الخ واسرار الانبياء كانت
لله تعالى غير مبقى فيها غير ذكره فكيف كان يحزنه امر يوسف
قلنا هذا اظهار منه الشفقة على الولد والوالدان ماموران
بالشفقة على الاولاد والشفقة عليهم لا تزيل حق الحق عن اسرارهم
لان الشفقة قائمة برحمة الله تعالى ورحمته صفته لا تبعده
عن الحق سرا وعلنا قال الله تعالى لنبيه فبما رحمة من الله لنت لهم
والا كان باطنه مصفى عن شوائب الشك وروائب الميل
الى الاسباب دليله قوله وما اغنى عنكم من الله من شئ

لهما تكون ضعفاء عجزا وحيث اكل بعضنا الذهاب
ونحن حاضرون فبل اعتذر اليهم يعقوب بعذرين
فاجابوا عن احدهما دون الآخر لانه هو الذى يغيظهم
لا غير فبعد قولهم هذا رضى بذهابه معهم وقيل انه
ان يرسله معهم حتى اتوا يوسف فقالوا له اطلب
من ابيك ليبعثك معنا فطلب منه فرضى بذلك
واوصاهم ان يحسنوا اليه ويتعاهدوه ويردوه
الى طلب الرجوع
عيون

ان الحكم

ان الحكم الا لله عليه توكلت اخبارا بان ما يخاطبهم على قدر
احتمال عقولهم على ما جرت به العادات فيما بين الناس من
استعمال الاسباب لابلاء العذر وتسكين الخواطر من لعل وعسى
وقال بعض الحكماء البلاء موكل بالمنطق وان بلاء يعقوب من ذلك
قال انى ليحزننى فحزن وقال واخاف ان ياكله الذئب فقالوا
فاكله الذئب وقال وانتم عنه غافلون فجعلوا ذلك عذرا
لانفسهم فقالوا وتركنا يوسف عند متاعنا وكان يجتهد به
بذكر هذه الكلمات فى حفظ الولد وحث الاخوة على ذلك فتكلم
بما صار تلقينا لهم ماذا يفعلون فقد كانوا لا يدرون
ماذا يصنعون به وماذا يقولون له فتلقنوا من كلماته عذرهم
وتعلموا باشاراته غدرهم وعن ابن عباس رض انه قال لما قال
يعقوب واخاف ان ياكله الذئب قالوا ما سمعنا بذئب ياكل
انسانا فمن اين تقول هذا قال رايت منذ ليال كانى على
قلة جبل ويوسف فى بطن الوادى وقد احاطت به عشرة
ذئاب يريدون قتله فاردت النزول لانقذه فلم اجد الى
ذلك سبيلا فبينما انا كذلك انشقت الارض وسقط
يوسف فيها فهالنى ذلك واستيقظت فاذا يوسف فى حجرى
فقلت الحمد لله قال ابن عباس رض فالجبل حال يعقوب
والذئاب اخوة يوسف وانشقاق الارض وقوعه فى غيابة
الجب فقيل لابن عباس وهل كان يعلم يعقوب تاويل الرؤيا
قال نعم قالوا له فلم ارسله معهم فقال اما سمعتم اذا جاء القدر
عمى البصر كذا ذكره النسفى فى التيسير روى ان ابليس اتاهم فقال
وهو فى صورة الشيخ وكانوا يريدون ذلك فى الشتاء ليس هنا

وقت الخروج به الى الصحراء فامكثوا حتى الربيع فقولوا للاب
طاب الزمان وتزينت الصحراء ويوسف فى البيت لا يرى ما نرى
فأذن له يخرج معنا فيتفرج فلما جاء الربيع جاؤا الى يوسف وكلموه
حتى رغبوه فى ذلك وقالوا اذا سئلنا ابانا ان يأذن لك فاجهد
انت معنا فى الاستيذان ففعلوا فتضرع يوسف اباه فى ذلك
فاضطر فاذن له ليلا ان يخرج معهم غدا وكان طول الليل يبكى
خوفا من فراقه وتلك الليلة صارت بالنسبة الى يوسف طويلة
لاشتياقه بالرتع واللعب وبالنسبة الى يعقوب قصيرة لخوف فراق
حبيبه فلما اصبح رجله وطيبه وبنفيس الثياب جمله وان القميص
الذى البسه جبرئل الخليل عليهما السلام وقت الالقاء فى النار
جعله فى القصب وعقده فى عضده او جمله فى تميمة وعلق فى عنقه
ووضع قرصين وزيتونا فى زنبيل ولبنا وماء فى كوز وسلمه الى شمعون
وقال اذا جاء يوسف اطعمه واذا عطش اسقه فانه لا يصبر على الجوع
والعطش وفرح يوسف بذهابه معهم ولكن ظهر خلافه وبكى
يعقوب للفراق سنه يوما ولا يعرف ان مدة الفرقة تمتد ولبس
يعقوب لباسه فخرج معهم يشيع يوسف فلما خرج من درب كنعان
الى شجرة كان عندها وداع المسافرين ولذا سمى تلك شجرة الوداع
عانق يوسف وودعه وبكى وقال لاخوته لا تلومونى فانى اتوسم
فيه آثار ابى وجدى واوصى يوسف بوصايا قال لا تنس الله بكل
حال واذا وقعت فى بلية فاستعن بالله تعالى واكثر من قول
حسبى الله ونعم الوكيل فان جدك ابرهيم عليه السلام حين القى
فى النار قال ذلك ولا تنسنى فانى لا انساك ولا تضحك حتى ترانى
فانى لا اضحك حتى اراك وعاهد اخوة يوسف ان يطعموه ويسقوه

عند الحاجة ويحملوه ولا يتعبوه فقبلوا منه ذلك ومن الخصر
ان يعقوب قبل اقوالهم لكونها فى نفسها حسنة كما روى ان
والى بلخ ابو ابرهيم كان قاعدا واسمعيل السامانى واقفا على رأسه
وكان يرفع قصعة فقطر منها قطرة على ثوبه فامر بضرب عنقه فلما
علم اسمعيل ذلك اخذ القصعة وصبها بجملتها على رأس الامير فقيل له
ويحك هو امر بضرب عنقك بسبب قطرة فلم تخف حتى صببت
ما فى القصعة كلها قال اسمعيل علمت انه اراد قتلى بقطرة وانا قلت
ان الناس يذمونه ويقولون انه قتل واحدا من اصحابه بالاجرم
فصببت القصعة ليكون له عند الناس عذرا انه اساء الادب فقتله
فاكون انا المعيوب لا الامير فعفا عنه الامير وامر باعطائه فقال
يا قبيح الافعال وحسن القول عفوت عنك قبح فعلك بحسن قولك
وكذلك يكون حال المؤمن مع الله تعالى يوم القيمة يقول الله تعالى
يا قبيح الفعل وحسن القول عفوت قبح فعلك بحسن قولك وهو
قول لا اله الا الله ومنها ان بعض الناس يزعم ان القرار فيه قصير
بخوف العذاب كما قال الله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
ومنها ان الله تعالى يلبس عباده المؤمنين المحبوبين الحلل كما البس
يعقوب يوسف ومنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشفع لامته يوم القيمة ويقول انهم لا يصبرون على الجوع والعطش
وحر هذا اليوم ومنها ان اهل الرؤيا يفرح بعملهم ويظهر خلافه
غدا كما قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ومنها
ان من الناس من يخاف ويبكى من الموت وهو الم زمانه قليل
ولا يعرف زوال الايمان العياذ بالله تعالى عصمنا الله من سوء الخاتمة
واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان الحواس يزعمن انهن يغلبن

القوة الغضبية ولكن لا يعرفن ان الغضب يزيل العقل فكيف
لا يزيل الحواس **فلما ذهبوا به** في الآية محذوف وهو فاذن له و
ارسله معهم وعاهد اخوته ان يطعموه ويسقوه عند الخارج ويحملوه
ولا يتعبوه فقبلوا منه ذلك واحتمله روبيل على عاتقه ورجع يعقوب
فغابوا عنه فلما بعدوا عنه القاه روبيل عن عاتقه وقال امش
كما يمشي فمشى واعيا وقعد وقال عطشت فاسقوني فلم يسقوه
وروى ان شمعون صب الماء اقناطا له وفي الخبر ان شمعون بقي عطشان
اربعين سنة كلما شرب الماء ازداد عطشا مكافاة لفعله بيوسف
وعجز عن المشي فاكرهوه ولما امتنع لطمه بعضهم وعنفوا عليه
وقالوا اين رؤياك الكواكب والشمس والقمر ساجدين لك استعن
بهم واستهم واستحملهم واخذوا يوذونه ويضربونه ويجرونه
على الارض حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث بالآخر
ويقبل ارجلهم ويردونه ويقول كل واحد منهم ابعد عني يا ابن راحيل
ويضربه قيل فاخذه روبيل فجلد به الارض ووثب على صدره
واراد قتله فقال مهلا يا اخي لا تقتلني فقال له قل رؤياك تخلصك
من ايدينا ولوى عنقه ليكسرها فنادى يا يهوذا وكان ارفقهم به
اتق الله وحل بيني وبين من يريد قتلي فاخذته رقة ورحمة فقال
يهوذا أليس قد اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه قالوا بلى قال فانا
ادلكم على ما هو خير لكم من القتل القوه في الجب قالوا نفعل ذكره
النسفي رحمه الله **وأجمعوا** وعزموا واتفقوا على **أن يجعلوه** ان يلقوا
يوسف **في غيابة الجب** والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض اردن
او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل فعلوا ما فعلوا من الاذى ذكره القاضي رحمه الله

ومن الحصص

ومن الحصص ان الذهاب عن نظر المربي الناصح الّقي النفس الى
التهلكة فان يوسف لما غاب عن نظر يعقوب ابتلى **ومنها**
ان النصيحة سهل والمشكل قبولها فان يعقوب عاهد ابنائه ولم
يعملوا بموجبه **ومنها** ان من الاخوان من يظهر الخير لغرض ويكتم
البغض في وقت ثم يظهر ما يكتمه في وقت واذا اريد التفسير
الانفسي يراد ان القلب اذا انقطع عن العقل وقرن بالحواس
يجرونه الى المهالك وكادوا ان يقتلنه بارتكاب المحرمات ويجعلنه
في غيابة الجب الطبيعة **روى** انهم اتوا به الى رأس الجب وارادوا
ان يلقوه فيه فتعلق بهم وبشفير الجب فاوثقوا يديه كيلا يتعلق
بشيء وتعلق قميصه بصخرة فخلعوا القميصه ليلطخوه بالدم ويحتالونه
على ابيهم وتركوه عريانا وربطوا وسطه بالحبل فقال لهم يا اخوياه ردوا
علي قميصي استتر به في الجب ويكون كفنا لي بعد مماتي فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر حتى يلبسوك ويونسوك في
الجب فلما بلغ نصفها قطع شمعون الحبل فقال الله تعالى لجبريل وهو
في السدرة المنتهى ادرك عبدي يوسف فادركه قبل ان يصل
الى قعر الجب وجر حجرا منه فجعله كسرير واجلسه عليه وورد
في الخبر ان جبريل قال وقعت في تعب عظيم في ثلثة مواضع احدها
ان ابرهيم عليه السلام لما القي من المنجنيق قال الله تعالى ادرك
خليلي ابرهيم وثانيهما ان يوسف ع م لما القي في الجب وثالثها ان
فرعون لما امتحن موسى بالجواهر والنار في كل واحد منها كنت
تحت العرش ولما القي في البئر قالت هوام البئر بعضها لبعض
لا تخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبياء نزل بساحتكن
فانجحرن الا الافعى فانها قصدت يوسف فصاح بها جبرئيل

بحث ما قرأه يوسف عند القائه الجب
روي ان يوسف ع م لما القي في الجب قال يا شاهد
غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب
اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وروي اجعل لي فرجا
مما انا فيه فما بات فيه قال الحسن القي يوسف ع م في
الجب وهو ابن اثني عشر سنة ولقي اباه بعد ثمانين
سنة وقيل كان يوسف ابن سبع عشرة سنة
شيخ زاده

مطلب الدعاء في الشدة

قيل بعث الله اليه جبريل يونسه ويبشره بخروجه ويخبره بما اوحى اليه ربه في البئر وقال له اذا اخذت شيئا فقل يا سميع يا صريخ المستصرخين ويا غياث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما قالها حفته الملائكة فاستانسهم وقيل خرج من ساعته عيون

وقال القرطبي قال الضحاك نزل جبريل ع م وهو في الجب فقال له الا اعلمك كلمات اذا قلتهن عجل الله خروجك من هذا الجب فقال نعم فقال له قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل كسير ويا شاهد كل نجوى ويا حاضر كل ملاء ويا مفرج كل كربة ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد آتني الفرج والرجاء واقذف رجاءك في قلبي حتى لا ارجو سواك فرددها يوسف في ليلة مرارا فاخرجه الله في صبيحة يومه ذلك من الجب عيون

فصمت وبقي السم في نسلها قيل ان الحية اذا لسعت بني آدم وطلي عليه بالدواء وذكر عليه اسم جبرئيل هرب السم من هينه وعلم جبرئيل يوسف هذا الدعاء اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب ويا موسن كل وحيد يا الله لا اله الا انت سبحانك اسئلك ان تجعل لي فرجا ومخرجا وان تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني وترحمني يا ارحم الراحمين.

ثم رجع جبرئيل قيل لما القي يوسف في الجب اضاء له وعذب ماؤه فبعث الله اليه ملكا فحل قيده وكان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك عند ابرهيم ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه فلما القي في البئر عريانا جاءه الملك فاخرجه منه وكساه اياه وجعل يونسه في النهار ولما غربت الشمس جاء يهوذا الى رأس الجب ونادى يا يوسف احي انت ام ميت فقال يوسف من انت فقال يهوذا وكيف حالك قال كيف يكون حال من ثكل امه وفقد اباه وجفاه اخوانه واغترب من وطنه وهو جايع عطشان مهموم عريان ليس من الاحياء فوق الارض ولا من الاموات تحت الارض فبكى يهوذا وارتفع بكاؤه وقال له يوسف ان لكل ميت وصية ووصيتي اليك ان لا تنظر الى شاب الا ذكرت شبابي ولا الى يتيم الا ذكرت يتمي ولا الى غريب الا ذكرت غربتي ولا تخبراني بما فعل اخوتي بي فبكى يهوذا بكاء شديدا

فسمع

26

اي الى يوسف في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى في صغرهما عيون

قال ابن الشيخ ان طائفة عظيمة من المحققين قالوا المراد بالوحي المذكور في قوله تعالى واوحينا اليه وحي النبوة والرسالة وقيل المراد به عيون

واوحينا عند ذلك تبشيرا له بانه يؤول امره واوحينا اليه لوحشته وانبائه سالة ابو السعود

فسمع الاخوة بكاءه فاتوه وقالوا له اتبكي عليه وسد وا رأس الجب بصخرة عظيمة فشكى يوسف وصاح صيحة بكى لها ملائكة السماء وقالوا يا ربنا ارحمه فبعث الله جبرئيل ومعه اطعمة واشربة من الجنة ونور الجب وآنسه وطيب قلبه بالبشارات وقال له يا بني الله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ثم ان الله تعالى اكرم يوسف بالوحي حيث قال واوحينا اليه ارسلنا اليه بالنبوة قال الحسن اعطاه الله تعالى النبوة وهو في الجب وكان ابن سبع عشر سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام قال الامام القشيري قدس سره من انقطع عنه ملاطفة ابيه جاءه الوحي من الله تعالى وهكذا سنة جل جلاله لا يفتح على نفوس اولياءه بابا من البلاء الا فتح على قلوبهم ابواب الصفاء وفنون لطائف الولاء شعر الدهر لا يبقى على حاله كذلك حال العبد في العسر اما ترى يوسف في جبه ومن المحصل ان البلاء سبب الولاء ورفعة الانبياء والاولياء ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال حكيم يجرب المؤمن بالبلاء كما يجرب الذهب بالنار روي ان يعقوب ع م رأى في الكتاب المنزل اسماء الانبياء كما في سورة الانعام وكلا هدينا نوحا هدينا من قبل الاية قال رب ما ذكرت اسمي في كتابك قال الله هؤلاء الانبياء جربوا بالبلاء فصبروا ثم ان الله تعالى جربه بفراق يوسف حتى يتم فضله ولذا قال فصبر جميل وانه تعالى امر نبينا صلى الله عليه وسلم بالصبر فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فالله سبحانه اكرم يوسف في الجب بانواع الاطعمة من الجنة بسبب

صيره فكذا حال المؤمن فى القبر يؤتى بطعام الجنة ويأمن
عن العذاب وآنس به جبرئيل بل الرب الجليل ومنها انه كان
اخوة يوسف يظنون انهم القوه فى البئر وهم القوه فى الجنة وكذا
يظن الاحياء انهم وضعوا الميت فى القبر ولا يعرفون انهم وضعوه
فى الجنة اللهم ارزقنا بنعمها ومنها ان الله تعالى نادى لملئكته
يا ملئكتى اسكتوا واسكنوا فانى اريد ان اعطيه ملكا عظيما و
لا يستحق له حتى يرى هذا التعب الشديد وانه اذا لم يرهذا
الذى لا يعرف قدر ذلك العز وكذا حال المؤمن اذا ابتلى بالمرض
وسكرات الموت ونزع الروح وظلمة القبر وسؤال المنكر ونكير
واهوال القيمة بطولها فالملئكة ترحمه والله تعالى يقول ان هذه
المحن تكون كفارات لذنوبه وبواعث لدرجاته وانى اريد ان اعطيه
جنة ونعيما وملكا مقيما ومنها ما ال يوسف فى تلك الحالة من
لحب اللعب على بساط مولاه صار الجب مأواه ومنها ان قعر الجب
وان كان موضعا اسفل لكنه الامن والخلوة روى ان زاهدا يسكن
فى الخلوة فقيل له كيف تسكن وحيدا قال انا جليس رب العالمين
فانى اذا اردت ان اسمع كلامه اقراء القران واذا اردت ان اسمعه
كلامى اصلى وادعو ومنها انهم قطعوا الحبل لكن الله تعالى لم يقطع
حبل عنايته وكذا المؤمن فانه يقيد بحبل الطاعة عملا بقوله
الله تعالى واعتصموا بحبل الله اما الاخوان السوء وشياطين الجن
فيقطعونه ولكن الله تعالى لا يقطع حبل عنايته بل تتنزل عليهم
الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون
نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة كما قيل ليوسف ع م
فى الوحى لتنبئنهم هذه بشارة مؤكده تاكيد اليمين اى لتخبرن

اخوتك

اخوتك بامرهم اى بما فعلوا بك بعد اليوم وهو قوله هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه وهو توبيخ وهو بشارة له بمصير امره الى
ذلك وهم لا يشعرون انك يوسف فى وقت اخبارك اياهم بامرهم
هذا وهو قولهم حين دخلوا بمصر ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
هل علمتم ما فعلتم بيوسف وعدم شعورهم بانك يوسف لعلو
شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات
وكبرياء سلطانك
بشره الله تعالى بما يؤل اليه امره ايناسا له وتطيبا لقلبه وقيل
وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون
ذلك والفائدة فى اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فربما ازداد
حسدهم قال الامام ابو منصور رحمه الله ويشبه ان يكون قوله
واوحينا اليه اى الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وذلك قوله
اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه علم انه حى بذلك الوحى
وعلى ذلك قوله انى لاجد ريح يوسف وقوله الم اقل لكم انى اعلم
من الله ما لا تعلمون اعلم ان يوسف لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم
بيوسف خجلوا خجلا شديدا بين قومهم واهل مصر ومن الخصص
انه كيف يكون خجل العاصى بين الانبياء وسائر الناس والملئكة
يوم تبلى السرائر ويقول الرب اتذكر يوم كذا وليلة كذا او تعرف
ذنب كذا ومنها ان اخوة يوسف نكسوا رؤسهم عنده فقس عليه
مضمون قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
ومنها ان اخوة يوسف ودواح لو انشقت الارض وغابوا فيها
وكذا الاشقياء يوم القيمة كما قال تعالى يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ومنها ان يوسف فى الجب
ثبت وسكن تنشيطا بالوحى والدعاء الذى لقنه جبرئيل وكذا

قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ان ياذن الله له فى ان يظهر لهم ... عن ابيه واخوته ...
يوسف ولعل الحكمة فى ذلك انه تعالى قضى على يعقوب
لسبب فراق قرة فؤاده وقرة عينه فيكثر رجوعه اليه
تعالى وينقطع عن غيره فينال ما وعد الصابرين من
الاجر بغير حساب انى يوصل اليه تلك الهموم الشديدة الحاصلة
منه

المؤمن فى القبر كما قال تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى
الحيوة الدنيا وفى الاخرة ومنها ان يوسف فى الجب تنعم بنعيم الجنة
وكذا المؤمن فى القبر فانه روضة من رياض الجنة ومنها ان يد يوسف
وقعت على حجر فصارت مجروحة واتى جبرئيل بشمامه من الجنة
فطلا به يده وبرئت فى الحال ووضع جبرئيل بقيته فى رأس جبل
قاف فاذا جاء النسيم منه يستريح المرضى ويفرح المغموم وكذا المؤمن
اذا جاء النسيم من الله تعالى يستريح فانه قال فروح وريحان وجنة
نعيم واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان الحواس اذا القين القلب فى
جب الطبيعة وهو اذا صبر يوحى اليه وحيا روحانيا بانك بالصبر
تنال درجة عند الله تعالى وتنبئتهن بما فعلوه بك وتلزمهن ان
رأيهن فاسد ومن قعد فى خلوة وصبر على محنة رزقه الله تعالى
ورفعه لان الله تعالى كريم ارحم الراحمين لا يرد من جاء الى بابه روى
انه اجتمع على رجل من الديون ثلثمائة درهم فكلما اجتهد الى
باب المخلوقين لم يجد فرجا وقرع باب الرب الكريم فقال الهى ان
من عبادك من له مال ولا سخاوة له ومنهم من له سخاوة ولا
مال له وانت الملك لك السخاء ولك الخزائن فجئت بابك سائلا
وعليك متوكلا فسجد فى بعض الخرابات ليلة من الليالى وسأل
الله تعالى ذلك فرأى عبد الله بن المبارك فى المنام فقيل له زن
ثلثمائة درهم واحملها الى الذى عندنا فانتبه ابن المبارك فقال
لا حول ولا قوة الا بالله ان هذا من الشيطان حتى رأى مثل
ذلك فى نصف الليل فلما كان آخر الليل دعا الرجل فرأى ابن المبارك
كذلك فعلم انه ليس من الشيطان فاخذ ثلثمائة درهم وجاء
الخراب فوقف على رأس الساجد فوضع ابن المبارك الكيس وقال

اذا احتجت الى المال فأت دار ابن المبارك فقال ذلك الرجل يا ابن
المبارك اى عيب ظهر لى من هذا الباب حتى اتركه واقصد بابك
ولو اتيت فى جوف الليل بابك ما فتحت لى بابك ولا واسيتنى بمالك
اعلم ان اخوة يوسف لما القوه فى الجب تفكروا وقالوا ما نقول
لابينا واتفقوا على ان يقولوا انه اكله الذئب ثم انهم اخذوا سخلة
او جديا فذبحوه ثم لطخوا القميص بدمه وزل عنهم ان يمزقوه ثم
اقبلوا على ابيهم وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً آخر النهار فان العشاء
آخر النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اى ابطؤا حتى
جاؤه فى ذلك الوقت ليقدموا على المبالغة فى الاعتذار يَبْكُونَ
فى معنى الحال اى متباكين يعنى يظهرون الحزن على يوسف عم
ويحتمل انهم بكوا حقيقة لانهم ندموا على ما فعلوا روى انه لما
سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف وقيل لما ابطؤا
على يعقوب كانت له جارية يقال لها صفراء قال لها خذى بيدى
انطلقى نستقبل يوسف فخرجا من كنعان وصعدا تلا ونظرا
فلما اظلم الليل قال لها صيحى با ولادى فقالت يا اولاد يعقوب
هذا ابوكم ينتظركم فسمعوا بذلك فرقوا ثيابهم قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا
ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ نتسابق فى العدو بالارجل اينا اسرع عدوا
او الجمال او الرمى اينا اصوب سهما وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا اى رحلنا
فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ فبكى يعقوب باعلى صوته فخر مغشيا عليه ثم افاق
وقال اين القميص فاخذه وهو صحيح فقال لبنيه هل كان يوسف فى
هذا القميص قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يمزق هذا فخجلوا فقال
لهم كذبتم قيل اخوة يوسف كذبوا على الذئب فبقى هذا الكذب

قال الامام القرطبى رحمه انما جاؤوا عشاء ليكونوا اقدر على
الاعتذار فى الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء
فى العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج فى الاعتذار
قال السدى لما قالوا اكله الذئب خر مغشيا عليه فافاضوا
عليه الماء فلم يتحرك ونادوه فلم يجب ووضع يهوذا يده
على مخارج نفس يعقوب فلم يحس بنفس ولم يتحرك له عرق
فقال لهم يهوذا ويل لنا من ديان يوم الدين ضيعنا
اخانا وقتلنا ابانا الاكرم فلم يفق يعقوب الا ببرد السحر
فافاق ورأسه فى حجر روبيل فقال يا روبيل الم [illegible]
الم اعهد اليك عهدا فقال يا ابت كف عن بكائك [illegible]
فكف يعقوب بكاءه فقال انا ذهبنا

عقيب ذلك من غير مضى زمان يعتاد التفقد والتعهد
وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا فى مقام مؤمن
فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك
الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوه وبعيدوا عنه فكانهم
قالوا انا لم نقصر فى محافظته ولم نغفل عن مراقبته
بل تركناه فى مأمننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان
السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته
وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة
قصيرة فكان ما كان
ابو السعود

فی رعاة الغنم فانهم یاکلون الغنم ویحیلون علی الذئب فلما کذبهم
ابوهم قالوا وما انت بمؤمن لنا ای بمصدق فی مقالتنا ولو
کنا صادقین عند الناس لانتهم بتضییع اخینا وذلک لسوء ظنک
بنا واتهامک لنا فیه روی انه قال ای ذئب اکله فاخذوا ذئبا
فاحضروه فقالوا هذا الذئب فقال للذئب لم اکلت ولدی فتکلم
الذئب فقال انا لا اذ ورحول غنمک فکیف ناکل ولدک قال
فهل هو فی الاحیاء قال نعم قال این هو قال سل جبرئیل قال انه
لا یخبرنی قال واذا لم یخبرک هو فکیف اخبرک وقال لاولاده اسمعتم
قالوا نصدق ذئبا ونکذبنا ونحن عشرة وجاؤا علی قمیصه حال
من قوله بدم وتقدیمها علی المجرور اختلافی وقیل ظرف ای فوق
قمیصه فیه ضعف اذ لا یساعده المعنی لان العامل جاؤا
ولیس الفوق ظرفا له بدم کذب ای ذی کذب بمعنی مکذوب
فیه ای اخرجوا له قمیص یوسف ملطوخا بدم کذبوا فیه
ویجوز ان یکون وصفا بالمصدر للمبالغة روی انه القاه
علی وجهه وبکی حتی خضب وجهه بدم قمیصه وقال ردا
لقولهم اکله الذئب ما رایت کالیوم ذئبا احلم من هذا اکل ابنی
یوسف ولم یمزق علیه قمیصه ذکره القاضی رحمه الله ولاجل
استدلاله لسلامة القمیص علی کذبهم قال ابطالا لقولهم
واضرابا ای لیس کذلک بل سولت لکم انفسکم امرا ای سهلت
لکم وهونت وزینت لکم امرا عظیما فیعقوب لم یصدقهم
فیما جاؤا به من الدم وما اخبروا به من اکل الذئب وقال لهم
لیس الامر علی ما تذکرون بل زینت لکم انفسکم امرا ففعلتموه
وامرا کنایة عن تضییعهم یوسف او اهلاکهم اياه ولما لم یکن

ذلک

ذلک بینا عند یعقوب کنی فقال بل سولت لکم انفسکم امرا
ای اردتم ان یخلو وجهی لکم فغیبتم یوسف عنی ثم توجه الی
الوادی وهو یقول یا ولدی وقرة عینی وثمرة فوادی فی ای جب
طرحوک فی ای بحر غرقوک بای سیف قتلوک بای ارض دفنوک
فبکا لبکائه الملئکة فجاء جبرئیل وقالت قد بکت ببکائک فقال
فصبر جمیل ای فامری صبر جمیل او فصبر جمیل اجمل او فلی صبر
جمیل او فمنی او فعلی وفی الحدیث الصبر الجمیل الذی لا شکوی
فیه الی الخلق والله المستعان علی ما تصفون ای اطلب منه
العون علی احتمال ما تصفونه من هلاک یوسف عم او
استعین الله علی کشف ما التبس علی من امرکم انظر الی صبره
لم یوذهم بضرب وشتم ولم یدع علیهم ولم یشک الی الخلق
بل قال فصبر ثم قال جمیل وعن الشعبی قال قصة یوسف کلها
فی قمیصه لما القاه اخوته فی الجب نزعوا عنه قمیصه وعمدوا
الی سخلة فذبحوها ولطخوا قمیصه بدمها ثم جاؤا به الی ابیهم
فنظر یعقوب الی القمیص وهو صحیح فقال لبنیه انه کان لحلیما
حتی اکل ابنی ولم یخرق قمیصه ولما شهد شاهد قال ان کان
قمیصه قد من قبل فصدقت الایات ولما اتی یعقوب بقمیصه
فالقی علی وجهه ارتد بصیرا فان قیل ان یعقوب عم وعد
بالصبر الجمیل فلم خالفه حیث قال یا اسفی علی یوسف قلنا قد فعل
الصبر الجمیل فی الحال والصبر عند حدوث المصیبة اتم ولذا
قال صلی الله علیه وسلم الصبر عند الصدمة الاولی فاذن لم
یخالف وعده بالصبر الجمیل اذ لم یجزع للحال وجزعه بعد
ذلک لا یدری لماذا کان فلا یزول به الصبر علی ان الجزع

لا يزيل الصبر قال صلى الله عليه وسلم وقت وفاة ابنه ابرهيم القلب يجزع وفي روايت القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب او لانّ جزعه كان لفوات اللطائف التى كان اختص بها يوسف فكانت تؤثر في سرّ يوسف والعبد فيما يفوته من نحو هذا اذا جزع بما يضرّه ويذوب جسمه كان ممدوحا على انّ جزعه ان جعل على فوات يوسف انما يحمل على الشفقة فلم يكن جزعه كجزع الغافلين لفقد الولد بحق الميل رغبةً في حظوظهم وانّ شكواه ليس الى الخلق قال الامام ابو منصور رحمه في الاية دلائل احدهما انّ من ارتكب الصغيرة يخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرًا ومن ارتكب الكبيرة لم يخرج من الايمان لانّ اخوة يوسف همّوا بقتل يوسف او طرحه في الجبّ والتغييب عن وجه ابيه واخلائه عنه وذلك لا يخلو منهم امّا ان يكون صغيرةً فقد استغفروا عليها بقولهم يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا ودلّ انهم انّما استغفروا لما خاف العذاب عليها فان كانت كبيرةً فلم يخرجوا عن الايمان حيث صاروا انبياء من بعدُ وصاروا قومًا صالحين دلّ ما ذكرنا على نقض قول المعتزلة في صاحب الصغيرة انّه لا يعذّب عليه وصاحب الكبيرة انّه يخرج من الايمان و نقض قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب كبيرةً او صغيرةً صار كافرًا مشركًا وفيه نقض قول من يقول انّ من كذب متعمّدًا او وَعد فاخلف او ائتمن فخان يصير منافقا لانّ اخوة يوسف اوتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا وحدّثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذئب وما اكله وهو كذبٌ و اؤتمنوا فخانوا حيث القوه في الجبّ ووعدوا انهم يحفظونه

وفي المحصص ما ذكره الامام الرازي رحمه الله حيث قال وقوله فصبر جميل يدل على ان الصبر على قسمين منه ما يكون جميلا ومنه ما يكون غير جميل فالصبر الجميل من وجوه احدها هو ان يعرف ان منزل ذلك البلاء هو الله تعالى ثم يعلم انه تعالى مالك الملك ولا اعتراض على المالك في ان يتصرف في ملك نفسه فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعا من اظهار الشكاية الوجه الثاني ان يعلم ان منزل هذا البلاء حكيم لا يجهل عالم لا يغفل عليم لا ينسى رحيم لا يطغى واذا كان كذلك فكان كل ما صدر عنه حكمة وصوابا فعند ذلك يسكت ولا يعترض الوجه الثالث ان ينكشف له ان هذا البلاء من الحق فاستغراقه في شهود نور المبلي يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء ولذلك قيل المحبة التامة لا تزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء لانها لو ازدادت بالوفاء لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض فهذا هو الصبر الجميل واما اذا كان الصبر لا لاجل الرضا بالقضاء بل كان لسائر الاغراض فلذلك الصبر لا يكون جميلا والضابط في جميع الاحوال والاقوال والاعتقادات انه كلما كان لطلب العبودية [illegible] الله كان حسنا والا فلا [illegible] المقصود [illegible] الباعث [illegible] عليه طلب العبودية [illegible] مع انه لا يظهر منه [illegible] وانه [illegible] ولما ذكر يعقوب قوله فصبر جميل قال والله المستعان على ما تصفون والمعنى ان اقدامه على الصبر لا يحصل الا بمعونة الله تعالى لان الدواعي النفسانية تدعوه الى اظهار الجزع وهي قوية والدواعي الروحانية تدعوه الى الصبر والرضاء فكانه وقعت المحاربة بين الصفين فما لم يحصل اعانة الله تعالى لم يحصل الغلبة فقوله فصبر جميل يجري مجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان على ما تصفون يجري مجرى قوله تعالى واياك نستعين انتهى كلام الرازي نسأل الله تعالى بحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الوصول الى الحقيقة

فلم

فلم يحفظوه فان قيل روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من علامات النفاق اذا حدّث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد اخلف فكيف يوفّق بين الاية والحديث اذ هو لا يحتمل النسخ لانّه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان يكون هذا في قوم خاصّ اؤتمنوا ما اودع في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فغيّروه ووعدوا ان يبيّنوه فاخلفوا وكتموه وحدّثوا انهم بيّنوه فكذبوا او يصير منافقًا بما ذكر اذا كان ذلك في امر الدين واما في غيره فانّه لا يصير به منافقًا ولا يكون ذلك من اعلام المنافق والله اعلم وقال في قوله فصبرٌ جميل فصبرٌ اى كفّ النفس عن الجزع جميل لامكافاة فيه فانهم بما فعلوا كانوا مستوجبين ذلك ذكره النسفي في التيسير اعلم انّ من الحصص حصول المطلوب للطالب فانّ اخوة يوسف طلبوا فراقه من ابيه وجدّوا فوصلوا الى مطلبهم كما قال صلى الله عليه وسلم من طلب وجدّ وجد ومنها ان البكاء اذا كان على وجه الكذب لا يفيد فان يعقوب لم يصدّق اخوة يوسف ببكائهم بخلاف البكاء على وجه الصدق كما ورد في الخبر لو انّ عبدًا بكى من خشية الله في امّة لرحم الله تعالى تلك الامّة ببكاء ذلك العبد روى عن كعب الاحبار انه قال لان ابكى من خشية الله تعالى حتّى يسيل الدمع على وجنتي احبّ الىّ من ان اتصدّق بوزن نفسي ذهبًا وما من باكٍ يبكي من خشية الله حتى يسيل قطرة من دموعه على الارض فتمسّه النار حتى يرجع قطر السماء وليس براجع يعني كما ان القطر اذا نزل من السماء لا يرجع اليها ابدًا فكذلك الذى بكى في الدنيا من خشية الله لا تمسّه النار ابدًا

ومنها انّ البكاء ينبغي ان يكون في موقعه حتى يظهر نفعه
فبكاء اهل النار لا يفيد في الاخرة ولذا يقولون بعد البكاء
الشديد في الزمان المديد سواء علينا اجزعنا امصبرنا ما لنا من
محيص ومنها ان البلاء لحصول البكاء محمود فان يعقوب بكى
لفراق يوسف حتى بكى لبكائه ملئكة السماء قال ابو علي الدقاق
ما لم تكن قبضة لم تكن دمعة فان الثوب المبتل ما لم يعصر لم
يخرج منه الماء فمثل الدمع كماء الورد في الورق واللين لا يخرج
بلا سبب ومنها ان يعقوب لم يسلب عن اخوة يوسف
اسم البنوّة مع عصيانهم حيث قال لهم ما لكم يا بني كما انّ
الله تعالى لا يسلب اسم العبوديّة عن العصاة اذ قال قل يا
عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ومنها
انّ يعقوب لم يقبل قولهم تركنا يوسف عند متاعنا فاكله
الذئب فالله تعالى كيف يقبل العذر الباطل يوم القيمة ومنها
انّ اخوة يوسف نسبوا ذنبهم الى الذئب والله تعالى من كمال
لطفه نسب ذنب آدم وحوّاء الى الشيطان حيث قال فازلّهما
الشيطان عنها فاخرجهما ممّا كانا فيه ومنها انّ الله تع من
محض كرمه وصف الدم بالكذب لا اخوة يوسف وتعلّم منه
يوسف حيث اسند الخبث الى الشّيطان اذ قال من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي ومنها انّ الله تعالى لم يغضب عليهم
عاجلا لكون فعلهم بجهالة بل اخّره ومهّلهم حتى تابوا كما
قال في حق العصاة انّما التوبة على الله للذين يعملون السّوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب ومنها انّ يعقوب اذا رأى
الدّم يئس واذا رأى صحّة القميص رجا فينبغي للعاصي اذا

رأى

رأى قميص ايمانه ملطوخا بدم العصيان خاف واذا رأى صحّة
ايمانه رجا ومنها انّ البليّة اذا وصلت الى العبد فلينظر انّ لها
سببا من جانبه روى انّ جبرئيل قال يا يعقوب هل تعرف سبب
هذا البلاء قال لا قال انك ادّعيت حبّ يوسف ورضيت ان
يغيب عن عينك والمحبّ كيف يرضى فراق حبيبه روى عن ذي
النون المصري انّه قال رأيت جاريةً في الطريق اي طريق مكّة
وبيدها عكّازة فدنوت منها فقلت يا جارية كلّ بكائك مشغول
فقالت كلّ بكائك مبذول ولكن ورائي احسن منّي فالتفتّ اليه
فلم ارَ احدًا فقالت اليك عنّي يا بطّال لو كان بكائك مشغولا لما
التفتّ الى غيري فخلّ يدي انّي لمّا رأيتك من بعيد قلت عارف
فلمّا دنوت منّي قلت عاشق فالآن لست بعارف ولا عاشق ثمّ
دلّت وقالت شعر تعصي الاله وانت تظهر حبّه هذا لعمري
في الفعال بديع لو كان حبّك صادقًا لاطعته انّ المحبّ لمن يحبّ
مطيع بيت دعوى عشق كردني آسانست ازواد ليل وبرها
نست ومنها انّ ترك الوفاء بين الاخوة شينٌ عظيم فانّه روي
انّ الذئب الذي جاء به اخوة يوسف الى ابيهم قال يا نبيّ الله انّي
لست من ديارك بل كنت من ارض مصر وكانت امّي ارضعت
جرو كلبٍ وهو ذهب الى ديارك جئت لِأَزُورَه لكونه اخًا لي من
الرضاع قال يعقوب متوجّهًا الى ابنائه انّ العداوة بين الكلب
والذئب شديدة وهو يزوره لاخوّة من جهة الرضاع عجبًا
للاخوة من جهة النسب لا يقومون بحقّ الاخوة ومنها انّ نقض
العهد اشدّ اذ روي انّ يعقوب لمّا لم يصدّق ابناءه في قولهم
اكله الذئب قالوا فيما بينهم نخرج يوسف من الجبّ ونقتله و

اعلم ان الله تعالى غفور لا يؤاخذ العبد على ما فعله بل يعفو
بكمال كرمه كما ذكر الامام الرازي في شرح الاسماء ورد
في الخبر ان رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت
ثم اذا بلغ نصف الطريق التفت ثم اذا بلغ ثلثي الطريق
التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسئله لم التفت ثلث
مرات فيقول لما بلغت ثلث الطريق ذكرت قولك
وربك الغفور ذو الرحمة فالتفت رجاء المغفرة
والرحمة فلما بلغت نصف الطريق ذكرت قولك
ومن يغفر الذنوب الا الله فقوي رجائي فالتفت
فلما بلغت ثلثي الطريق ذكرت قولك قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
فازددت رجاء وطمعا في مغفرتك ورحمتك
فيقول الله عز وجل قد غفرت لك وقوله تعالى
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما فيه اشارة الى قبول توبة المشايخ الذين
اسرفوا في عمرهم وشبابهم في الزلات والخطيئات
ثم تابوا قبل الممات في اواخر عمرهم لان كلمة ثم للتراخي
وفيه لطيفة اخرى وهي انك عصيته فعلام اطعته
فلا ترضى بذلك ولطيفة اخرى وهي انك طلبت
المغفرة فوجدت الله تعالى قال عز من قائل ثم يستغفر الله
يجد الله وليس العجب من البشارة اذا طلبوا الماء
فوجدوا مثل يوسف عم انما العجب من عاص طلب
المغفرة فوجد الله تعالى وقيل ان رجلا كان يقول
الهي ابطأت ثلث مرات فهتف به هاتف لم ينطق
انما ابطأ من مات ولم يتب

وثانى به كانه افترسه الذئب حتى يصدقنا قال يهوذا انكم
عهدتم ان لا تقتلوه فاذا نقضتم العهد فانى اخبر اباكم واقتل كل
واحد منكم ومنها ان من ارتكب المعصية على عزم التوبة لا يسلب
الله تعالى عنه النسبة فان اخوة يوسف لما كانوا على عزم ان تكونوا
قوما صالحين لم يقل ليعقوب انهم ليسوا من ليسوا من اهلك
بل قال فى حقهم وجاؤا اباهم ولما كان كنعان بن نوح على غير عزم
قال الله تعالى لنوح عم انه ليس من اهلك فحال المؤمن العاصى
حال ابناء يعقوب وحال الكافر كحال كنعان ومنها ان الذئب
فى حال الشباب لا يمنع التقرب من الله تعالى فان اخوة يوسف
ارتكبوا المعصية اولا وبعدها صاروا انبياء كما مر واذا اريد
التفسير الانفسى يراد بالاخوة الحواس وبيوسف القلب وبيعقوب
العقل وبالجب جب الطبيعة وبتبعيده عنه وبالذئب القوة
الغضبية وبالمجئ عشاء اغفال الحواس العقل وبالبكاء تغليطهن
اياه بالبكاء وبالدم الكذب ظهور اثر القوة الغضبية فى بعض
افعال القلب وبالتسويل عدم قبول العقل ووساوس الحواس
وبالصبر الصبر على المجاهدة والله المستعان على وساوسهن قال
وهب كان يوسف فى الجب ثلثة ايام واخوته بالقرب منه
يحرسونه وجاءت سيارة فى اليوم الرابع كما قال الله تعالى
وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ اى قافلة كانوا يسيرون من قبل مدين الى
مصر وهم بعد ثلثة ايام عنوة ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فاخطاء والطريق وكان
الجب فى قفرة بعيدة ولم يكن على الطريق وانما كان بئر الرعاة
يسقون اغنامهم فنزلوا قريبا منه فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ الذى
يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى او ارسل

قوله وجاءت سيارة شروع فى بيان ما جرى على يوسف فى الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجئ وليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصرى فى مدين بل الى مكانه يوسف وفى اشارة على المرور او الاتيان او لحوقها ايماء الى كونه عم فى الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر
القفر مفازة لا نبات ولا ماء فيها
قيل كان ماء البئر ملحا فعذب حين القى فيه يوسف عم
من العرب قيل هو مالك بن ذعر بن نويب بن عنقاء بن مديان بن ابرهيم من اهل مدين ابن اخى شعيب ذكره النسفى

كل قوم

كل قوم ساقيهم ليسقى لهم الماء فجاء مالك بن ذعر الى الجب
الذى فيه يوسف وقيل كان مالك بن ذعر بشير السيارة
فَأَدْلَى دَلْوَهُ فارخى وارسل دلوه فى الجب ليملاءها فتدلى و
تعلق بها يوسف فلما مد الوارد الولد ثقلت فنظر فاذا هو غلام
احسن ما يكون من الغلام قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ نادى
البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك
وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقيل كان
لمالك غلامان بشير وبشرى فادلى بشير دلوه فتعلق بها يوسف
فقعد فيها وامسك الحبل بيده فطلع فى الدلو تيكلم بغير كلام
السيارة ولم يروا مثله حسنا وجمالا ونضرة وكمالا فلما
نظر الى يوسف قال لاصحابه يا بشرى او لصاحبه يا بشرى
وهو اسمه قيل كان مالك بن ذعر يسكن بمصر فرائى فى منامه
فى حال صغره حضر بارض كنعان فنزلت الشمس من السماء
فدخلت فى كمه ثم اخرجها واقامها بين يديه فاتت سحابة
بيضاء تنثر عليها الدر وهو يجمعه ويحفظه فى صندوق له
فعبر المعبر انك تصيب عبدا وليس بعبد وتصيب غنى بسببه
ويبقى الغناء فى اولادك وكان يختلف ارض كنعان فى كل سنة
مرتين طمعا فى ان يرى ووصل اليه بعد خمسين عاما يسر الله
تعالى كل حوايجنا وروى ان تراب الجب بكى لفراق يوسف فلما
خرج يوسف تلالاء نور وجهه كان الشمس خرجت من
السحاب وَأَسَرُّوهُ اى اخفى الوارد واصحابه يوسف من
سائر الرفقة او اخفوا امره اذ قالوا فيما بينهم ان قالوا لكم
ما هذا الغلام فان قلنا التقطناه من الجب شاركونا وان

اى طالب الماء الى البئر ليستقى لهم من مائها عيونا

كانه تعليل على طريق الاستيناف بغير تعالى فهذا اوانك فان هذا غلام منطبع البدر القمر وقطعة الشمس ذكر بعض الفضلاء بقاله نورت ذلك الجمال من جده سارة وكانت واعطيت سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وامه ثلثى الحسن
معالم التنزيل
فاتاه جبريل عليه السلام الجب يوسف بالتعلق بالدلو فتعلق بالحبل ودخل فى الدلو واتى ابن الشيخ
تنكيره للتعظيم اى غلام فائق حسن

قال الامام القشيرى قدس سره لما اراد الله خلاص يوسف فى الجب ازعج خواطر السيارة فى قصد السفر واعدمهم الماء حتى احتاجوا الى الاستقاء ليصل يوسف الى الخلاص منه وقد قيل رب تشويش يقع فى العالم والمقصود منه سكون واحد وقد قيل رب ساع لقاعد

قلنا اشتريناه بالثمن سئالونا الشركة فيه قالوجه ان نخفى امره
فقالوا السائر الرفقة دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعاً للتجارة فلما رأى
اخوة يوسف نوره عرفوا انه قد خرج وقيل الضمير لاخوة يوسف
وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذٍ
فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا مالكاً واصحابه وكتموا انه
اخوهم فقالوا هل لكم ان تشتروا منا هذا الغلام قالوا ومملوك
هو قالوا نعم قالوا حاشا الله ما هذا بمملوك ولا موسوم بالعبودية
قالوا ولد فى حجورنا ونشأ وربيناه بايدينا فاحبه ابونا وآثره و
نعمه فادركنا ما يدرك الناس من الغيرة والحسد وليس
بمملوك لابينا ولكن ابن امة لامنا وقد وهبته لنا واذنت لنا
فى بيعه وابق منا منذ ثلث ليالٍ والقى نفسه فى هذا البئر فلما
سمعت السيارة مقالتهم وراءوا احوالهم وحسن هيئتهم
صدقوهم وقيل تكلموا اليوسف بالعبرانية فقالوا انا قلنا لابينا
اكله الذئب وصدقنا وان لم تقر بالعبودية فنقتلك بالعذاب
الاليم قال يوسف يا اخوتى اذا بعتم اخاكم ما تجيبوا الله تعالى
يوم القيمة فلطمه شمعون وهدده وقال يهوذا اطع يا يوسف
عسى الله ان يعطيك خيراً فسكت يوسف وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
لم يخف عليه اسرارهم وصنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم
حيث جعل الله تعالى ما دبروه لابطال حكم ما رآه يوسف فى المنام
سببا لوصوله الى مصر ولتتابع ما جرى عليه من الاحوال الى ان صار
عزيز مصر وحصل تأويل ما رآه فى المنام فالحق سبحانه حكيم
عليم اذا اراد شيأ هيأ اسبابه فهو غالب على امره يفعل ما يشاء

وفى العيون قال يوسف لهم ارجعونى الى ابى وانا ضامن لكم رضاه وانا لا اذكر لكم فعلكم هذا ابدا فابوا عنه

قوله والله عليم بما يعملون او المتقطون من اسراره بضاعة اى ولو شاء لغيره ولعجل ليوسف خلاصه لكنه امضى فيه سابق حكمه على وفق علمه وارادته حيث جعل لكل اجل كتابا فامهلهم حتى بلغ الكتاب اجله فيتضح ذكر النفى وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا فى ذلك من حيل ابو السعود

ويحكم

33

ويحكم ما يريد قال ابو القاسم الحكيم كنت اذهب فى بعض
قرى سمرقند وقتاً من الاوقات فرأيت حمالاً واقفاً فى ظل شجرة يصلى
صلوة حسنة فتعجبت منه وصبرت الى فراغه فلما سلم رفع يديه
فناجى مناجاه حسنة فزاد تعجبى منه فقلت الغالب من الحمالين
قلة المعرفة فقلت له هذه الصلوة التى صليتها ما احسن ما
اديتها والمناجاة التى ناجيت ما الطف ما سألت فلما تعبد الله
الخوف النيران ام طلب الجنان فقال له لو لم تكن جنة ولا نار
اليس العارفون كانوا يعبدون الله تعالى لانه مستحق للعبادة
واهلها فقلت هل تعرف الله تعالى فقال بلى اعرفه معرفة ظاهر و
معرفة باطن فقلت له كيف عرفته ظاهراً فقال لانى طفت
الدنيا ورايت الصناع واهل الحرف بالايدى نقشوا من فضة
وذهب ونحاس وخشب وطين وآجر وصوروا صوراً حسنة
وما رأيت احداً منهم صير نقشه آكلاً وشارباً وذاهباً و
جائياً ومتحركاً وساكناً وسميعاً وبصيراً ورأيت الله تعالى صورنى
من قطرة ماءٍ مهين وصيرنى بهذه الصفة التى تراها فعرفته
معرفة ظاهر بهذا وعرفته معرفة باطن لانى دبرت تدبيراً ورأيت
رأياً وعزمت عزيمة ففسخ عزيمتى فعرفت ان فوقى مدبراً يجرى
تقديره ويبطل تدبيرى ومن الحصص ان اخوان السوء اذا القوا
اخاهم فى جب الشهوة يخرجه السالكون بدلو الموعظة ولذا قيل
ينبغى للعاصى ان يكون بقرب من الصالحين حتى يوقظوه من
نوم الغفلة ومنها انه ينبغى ان يبكى المرء لفراق القرين الصالح
كما بكى التراب لفراق يوسف روى عن يحيى بن معاذ انه قال
ان على جسد العارف ثوبين يتفاخران يقول الثوب الذى يلى

بلى جسده انا اكرم عليه منك لانى الى بدنه وانت لا تلى بدنه
ويقول الثوب الذى هو اعلى انا اكرم عليه منك لانه يرانى
بعينه ولا يراك وكلاهما يفتخران بالعارف ومنها ان نور المؤمن
ونور طاعته يصعد الى العرش بل الى ربه كما قال تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب ومنها ان الملئكة فى السماء يعرفون فى الليل
من نور البيت ان فيه عبادة كما عرف اخوة يوسف خروجه
بنوره ومنها ان اخفاء العمل اولى لئلا يقل نفعه بشركة الغير
واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان السيارة للقوة الفكرية
المتوجهة الى مصر الاخوة تخرج يوسف القلب عن جب الشهوة
بدلو التوبة وتعده بشارة وتخفيه من الرفقة للاخلاص
لان الله تعالى عليم بما يعملون اعلم ان يوسف لما اقر بالرق
قال مالك بن ذعر بكم هذا العبد قال اخوته ان اشتريته بعيوبه
قالوا سارق كذاب يرى الرؤيا الكاذبة قال قد رضيت و
يوسف ثم ينظر اليه واليهم ويقول فى نفسه ما اظن انه يقوم
بثمنى لانهم يطلبون اموالا كثيرة فقال مالك بن ذعر اشتريت
باثمانى متاعا ولم يبق عندى الا دراهم قليلة غير جيدة
قالوا انك تعرف انه عبد حسن الوجه الا انه آبق نريد ان
نبيعه حتى تذهب به الى بلد آخر فاشتره بما تقدر على ان
تجعله ثمنه ونشترط على ان لا تلبسه الا المسح ولا تطعمه
الا قوته وخبز الشعير وتضع الحديد فى عنقه ولا تطلقه
حتى تدخله مصر ولا تركبه الا على بعير وكاء خذ هذا والعجب
من الاخوة يوسف انهم جاروا عليه وتجاوزوا عن الحسد
فى الجود والاحسان اولى وشروه فى مرجع ضمير الفاعل

الوجهان المذكوران فى ضمير اسروه فعلى تقدير رجوع الضمير
الى الوارد واصحابه يكون المعنى اشتروه من اخوته وعلى تقدير رجوعه
الى الاخوة يكون المعنى باعوه فان الشراء بالمد والقصر من الاضداد
قال الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه بثمن بخس مصدر
بمعنى المفعول اى مبخوس بمعنى منقوص لزيفه او نقصان فى القيمة
او بمعنى قليل اذ قال عكرمة البخس اربعون درهما او حراما لان ثمن
الحر حرام وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل بثمن بخس اى باعوه
بثمن لا يباع مثله بمثله دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم
كانوا يزنون ما يبلغ الاوقية وهى اربعون درهما ويعدون مادونها
قيل كانت عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وقال بعضهم باعوه
بعشرة دراهم لان الاسم الدراهم يقع بين الثلثة الى العشرة فاصاب
كل واحد من الاخوة درهما قيل لم ياخذ يهوذا شيئا من ثمن يوسف
وروى ان يوسف رأى وجهه ذات يوم فى المرآة او الماء وقال
لو كنت عبدا لا يقدر احد على ثمنى فارخصه الله تعالى وقال عكرمة
لم يبعه اخوته ولكن الذى وردوا الماء وجدوه فى البئر فاخرجوه
فباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وهو قول المعتزلة وقال عامة
المفسرين ان اخوته باعوه وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين
الزهد ضد الرغبة والمعنى وكانوا فى شان يوسف عليه السلام من الراغبين
عنه اى المعرضين والضمير وكانوا ان كان للاخوة فظاهر اعراضهم
فى عينه وان كان للوارد واصحابه وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم
التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل
فى بيعه وان كانوا مبايعين على ما هو عليه عامة المفسرين فلانهم
اعتقدوا انه آبق لان الاخوة وصفوه بالاباق هذا مع الجمال

الظاهر وفيه اشارة الى ان الجمال الظاهر لا خطر له عند الله تعالى
وانما الجمال الباطن وقيل كانوا اى اخوة يوسف فى ثمنه من
الزاهدين اى غير محتاجين اليه وقيل اى المشترون لما خافوا ذهاب
الثمن ان كان مسروقا كانوا فيه من الزاهدين واعلم ان قوله
فيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى
الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين كقوله تعالى
وان احد من المشركين استجارك لان متعلق الصلة لا يتقدم
على الموصول روى ان مالك بن ذعر طلب منهم الشرى فكتب
روبيل بسم اله ابرهيم هذا ما اشترى ابو ذلامة مالك بن ذعر
الخزاعى مملوكا من ال يعقوب بعشرين درهما نصفها عشرة
دراهم واعطاهم عهده وميثاقه الذى اتخذ على انبياء ورسله
امانة فى ذمته بان لا يلبسه الا المسح ولا يطعمه الا قوته ولا يركبه
الا على بعير وكاء ولا يطلقه حتى يدخله مصر وقبض آل يعقوب
الثمن واخذ مالك العبد واشهدا بذلك على انفسهم العير من التجارة
ولما عزمت السيارة الرحيل بكى يوسف قال مالك ما يبكيك
قال فراق القوم الذين باعونى بك فاذن لى ان ازورهم نتعجب منه
مالك قال يوسف لى اخ من الابوين اريد ان ارسل اليه سلاما
بهم وكان مالك سلط عليه غلاما اسود فاذن له وارسل معه
الغلام الاسود واخذ الغلام سلسلة يوسف التى فى عنقه و
راح الى اخوته وكان عادتهم ان واحدا منهم يحرسهم فى الليل
وكان النوبة ليهوذا فى تلك الليلة فلما سمع يهوذا صوت السلسلة
توجه فقال من هذا قال انا يوسف جئت للوداع وعانقه وبكى
وراح يهوذا معه وايقظ اخوته فقال ان يوسف جاء للوداع وعانق

يوسف كل واحد منهم وبكى وقال يرحمكم الله تعالى وان لم ترحمونى
انظروا الى كرم يوسف وحسن خلقه كيف احسن الى من يوذيه قيل
قال مالك ما اكرمك يا مملوك حيث تتقرب اليهم وهم فعلوا بك
ما فعلوا قال يوسف كل احد يفعل ما يليق بكرمه وصفته قيل للاحنف
ممن تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغك من خلقه
فقال بينا هو جالس فى داره اذ جاء خادم بسفود عليه شواء فسقط
من يده فوقع على ابن له فمات فدهش الغلام فقال لا لومة
عليك انت حر لوجه الله ومن الحصص ان يوسف اقر مرة بالرق
صار عزيز مصر فقس عليه حال من اقر بالتوحيد مرة فانه يخلص
نفسه من الكفر عن يحيى بن معاذ قال فى مجلسه لا اله الا الله
كلمة التوحيد والايمان وراس الطاعة والاحسان وبها يخرج
المرء من الكفر والطغيان ويدخل فى نور التوحيد والايمان والعرفان
وبها يصير العبد وليا بعد ما كان عدوا ويكون عزيزا بعد ما كان
ذليلا وطاهرا بعد ما كان نجسا وقريبا بعد ما كان بعيدا وحيا
بعد ما كان ميتا روى ان اباح رحمه كان جالسا مجلس عمر بن ذر
الواعظ فلما كان عند الدعاء قال اللهم غفرت لسحرة فرعون
ذنوبهم بتوحيد ساعة فاغفر لمن زخ عمره على توحيدك ذنبه
فى ساعة فقام ابوح وقال القصص بعدك حرام وقال يحيى بن
معاذ ان كان فى توحيد طرفة عين محو ذنب الف سنة فكيف
توحيد السنين ومنها ان هضم النفس اولى ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من وضع نفسه رفعه الله ومن رفع نفسه
وضعه الله تعالى سئل ابن عطاء عن اقرب شئ الى مقت الله
فقال رؤية النفس اراد بها ان يرى الرجل لنفسه قدرا وعزة بل

بل ينبغي ان يحقر نفسه ومنها ان يوسف كان حسنًا بحيث
لا قيمة له وقد شروه بثمن بخس كما قال الامام القشيرى رحمه
ليس العجب ممن يبيع يوسف بثمن بخس العجب ممن يجد مثل
يوسف بثمن بخس والحرمان لا غاية له والبخت لا نهاية له و
مثله ان الجنة لا قيمة لها وقد تباع بثمن قليل كما ورد فى الخبر
لا اله الا الله سبيل النجاة وثمن الجنة روى ان فاسقًا كان يدمن
الخمر فقام من مجلس فسقه وفى يده تفاح وذهب فى الطريق
ولقى يتيمًا فاعطاه فلما مات رآه بعض الصالحين فى المنام
انه فى الجنة فسأله بما نلت الجنة قال بتفاح اعطيته يتيمًا
ومنها ان يوسف بعد ما انتظر فى الجب ثلثة ايام وصبر على
تعب وصل الى نعمة جليلة وكذا المؤمن يجلس فى الرحم والمهد
وهذه يصبر على خلاف النفس يبلغ درجة الصديقين قال
ابرهيم بن ادهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجاوز و
يقطع ست عقبات اولها ان يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة
والثانى ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث ان يغلق
باب النوم ويفتح باب السهر والرابع ان يغلق باب الراحة ويفتح
باب الجهد والخامس ان يغلق باب الغناء ويفتح باب الفقر
والسادس ان يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد ومنها
ان مالكا البس يوسف مسحًا ثم البسه الله تعالى ثيابًا فاخرة
وكذا المؤمن يلبس كفنا ثم يلبس سندسًا واستبرقًا كما قال
تعالى ولباسهم فيها حرير ومنها ان العزيز عند الله تعالى الجمال
القلبى لا الصورى لقوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى
صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم ومنها ما ذكر

الامام القشيرى قدس سره ليس العجب ممن يبيع يوسف بثمن بخس
العجب ممن يبيع وقته الذى هو اعز من الكبريت الاحمر بعرض
حقير من الدنيا شعر ما مضى فات والمؤمل غيب فلك الساعة التى
انت فيها فعلى العاقل ان يغتنم الساعة التى هو فيها ولا يصرفها
الى الهواء قيل الصوفى ابن الوقت بيت صوفى ابن الوقت باشد
اى رفيق نيست فردا كفتن از شرط طريق روى ان مكحول الشامى
رحمه الله كان يعظ الشباب اعملوا فى زمان شبابكم ولا تؤخروا
العمل حتى لا تقولوا كما اقول وقت العمل زمان الشباب قد مضى وفات
ومنها ان بيع يوسف اخوته ليس بأعجب من بيعك نفسك بشهوة
بل ادنى من ذلك وهو الطمع فى الشهوة وباع يوسف اخوته للعداوة
وانت تبيع نفسك مع محبتك اياها ومنها ان العوام لا يعرفون
قيمة الصالحين وهم عند اهل الله بل عند الله اعزة كما ان السيارة
لم يعرفوا قيمته فزهدوا بشرائه بثمن بخس والذين وقفوا على جماله
وشئ من حاله غالوا بمصر فى ثمنه حتى اشتروه بزنة دراهم ودنانير
والامتعة مرات وفى معناه انشد القائل شعر ان كنت عندك
يا مولاى مطرحًا فعند غيرك محمول على الحدق واذا اريد التفسير
الانفسى يراد ان يوسف القلب يشتريه القوة الفكرية بثمن بخس
وهو الدنيا فمن تركها وصل الى يوسف المحبوب اعلم ان السيارة
لما ارتحلت وذهب مالك بن ذعر بيوسف على بعير ومروا
بمقابر آل يعقوب القى يوسف نفسه من البعير وسقط على قبر امه
وبكى وقال يا اماه انظرى الى ابنك يوسف فانه فى مسح وسلسلة
وقد باعوه اخوته ولما نظر الغلام الاسود الى البعير ولم ير يوسف
عليه رجع ووجده على قبر يبكى قال صدق بايعوك انك عبد آبق

حدقة العين سوادها الاعظم
وجمع حدق

فلطمه لطمةً شديدةً حتى سال الدم من فيه وضربه برجله على
ظهره واخذ السلسلة وجرّه على وجهه فغشى على يوسف فلمّا
افاق قال يوسف والله ما ابقت لكنكم مررتم بي على قبر امى فلم اتمالك
نفسى فرميتها على قبرها ورفع رأسه الى السماء فقال يا اله يعقوب
اسرائيل الله واسمعيل ذبيح الله وابرهيم خليل الله فنزل جبرئيل
بامر الجليل وقال السلام عليك يا يوسف قال يوسف وعليك السلام
يا حبيبى جبرئيل فقال جبرئيل يا يوسف اخفض صوتك فقد ابكيت
ملئكة السماء وان شئت هلاك السيارة اقلب الارض عليهم
قال يوسف لا تعجل يا جبرئيل فان الله تعالى حليم كريم ولكن خوّفهم
فعند ذلك ظهرت غمامة سوداء وظهر الرعد والبرق والصاعقة
وامطرت عليهم بردًا كل واحد مثل بيضة حتى ايقنوا بالهلاك
فالحصّة منه ان البكاء والدعاء سبب الرحمة وان لطف الله تعالى
حاصل لاوليائه وان يوسف كريم كما قال عليه السلام الكريم بن
الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقالت
السيارت فيما بينهم اينا اذنب ذنبًا حتى غضب الله علينا
فاخبر الغلام الاسود ما وقع منه فتضرعوا بين يدى يوسف
وقالوا ان شئت نقتل الغلام قال لست من اهل بيت تنتقم
الجانى بل نعفو عنه والحصّة منه ان الكريم يعفو عن الجانى كما
ورد فى الخبر ان الله تعالى قال انا العوّاد الى الغفران كما ان العبد
عوّاد الى العصيان فان قيل ما الحكمة فى ان اخوة يوسف فعلوا
ما فعلوا بيوسف ولم يجئ عليهم غضب من الله تعالى وجاء
عند فعل الغلام الاسود قلنا لانهم اقرباء يوسف وهو
شفيع لهم بخلاف الغلام الاسود فان قيل ما الحكمة فى

وقوع

37

وقوع تلك المحن على يوسف قلنا ليعرف حال الذين وقع عليهم
المحن والغربة ويعرف قدر السلامة والعزة على ان البلاء والولاء
توأمان والحصّة منه ان المؤمن لا يخلو عن بلية وان المحبة
قرينة المحنة وروى ان يوسف كان يسلم كل صباح على مالك
بن ذعر فى الطريق ولم يسلم عليه ثلثة ايام فاستخبر قيل انه
مرض منذ ثلثة ايام وقال مالك يا يوسف ما سبب مرضك
قال يا مولاى امرضنى على والمنخ ورجل البعير ومشيه الثقيل
فقال مالك يا يوسف قد اشترط بايعوك على هذا الوجه فاصبر
حتى ادخل المصر فان الشرط ينتهى به والصبر مفتاح الفرج
والحصّة منه ان الوفاء بالعهد والشرط مما يجب رعايته
والصابر على البلية يصل الى البغية روى عن على بن احمد الهاشمى
ان داود عم ناجى ربه فقال ما جزاء من عرفك وسلم
نفسه اليك قال جزاؤه ان اجعل البلوى قيده ونفسى صيده
قال وهب فانطلقت السيارة حتى وردوا بمصر ونزل مالك
به فى خيمة بقرب من نيل مصر فقال مالك اغتسل به واغتسل
يوسف والبسه مالك ثيابًا فاخرة وتاجًا مرصعًا واركبه فرسًا
جوادًا والحصّة منه ان المؤمن اذا وصل الى مصر الاخرة ينتهى
المحنة ويلبس حلة وتاجًا ويركب براقا وكذا اذا اخرج من النار
يغتسل بماء عين البقاء ونهر الرحمة ويبرأ عن الاسقام والجروح
فلما دخل يوسف مصر تعجب اهل مصر من حسنه فانه لم يكن
بعده احد مثله فى الحسن قالت عائشة رضى عنها يا رسول الله
يوسف احسن ام انت قال عليه السلام هو احسن خلقا وانا
احسن خلقا فقالت عائشة رضى الله عنها لم لا تخبر الناس

قال ان لم اقل انا فقد قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
واليوم الذى دخل يوسف فيه كان يوم ذو غيم فظن اهله وقت
دخوله ان الشمس خرجت من السحاب وينظرون اليه والحصة
منه ان المؤمن اذا دخل الجنة ينظر اليه الملئكة وهو ينظر الى
ربه كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيزداد
نوره فيتعجب الملئكة من نوره ولما كان الجمال الجميل مع يوسف
رغب فيه الناس ولم يضره مفارقة الاوطان والاب والاخوان
ولبس الثوب الخشن وسائر المحن والحصة منه ان المؤمن
اذا كان معه جمال الايمان لا يضره مفارقة الاوطان والاخوان
ولبس الكفن وركوب النفس تعب سفر الاخرة روى ان رجلا
قال فى وقت النزع لا بأس لا بأس فمات فرآه بعض الصالحين
فى المنام واستنطقه من ذلك الكلام قال قال لى ابليس فارقت
الاوطان ويتمت الاولاد وعطلت الاعمال وتركت الاعمال
اجبته لا بأس لا بأس فان الايمان معى فلما رأى اهل مصر
يوسف قالوا اهو ملك او جن او انس قال مالك انه انس وهو
عبدى اريد ان ابيعه قالوا عين ثمنه قال من اراد ان يشتريه
فليحضر غدًا فى باب ريان فان يوسف يعرض على البيع وكان
ملك مصر يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف و
مات فى حياته وقيل كان فرعون موسى وهو غير بعيد لانه
عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى فى سورة حم المؤمن
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد
فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء
فشاع خبر يوسف فى تلك الليل بكل بيت مصر فلما اتى مالك

به مزينا بباب ريان وحضر اهل مصر طالبين نادى المنادى
من يشترى الغلام الحبيب اللبيب الصبيح المليح ليس له مثل
فى الدنيا فلما سمع يوسف كلام المنادى تواضع وقال لا تقل
هكذا وقل من يشترى الغلام الغريب المطرود المجهور الضعيف
المظلوم والحصة ان من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه
فان يوسف لما اغتر بحسنه بيع بثمن بخس ولما هضم نفسه
بيع بثمن غال وقال وهب باعه مالك بعد مالك بعد ما عرضه
فى بيع من يزيد على الطالبين ثلثة ايام فزاد الناس بعضهم على
بعض حتى بلغ بحيث لا يقدر احد عليه وبكى يوسف بكاءً شديدًا
قال مالك ما يبكيك يا يوسف قال ما كان لى قيمة عند اخوتى
وصرت غاليا عند الاباعد ولا اعرف كم قيمتى عند الله تعالى
والحصة منه ان تحمل المحنة والذلت اولا يجعل العبد شريفا
عزيزًا ثانيًا وان البكاء من خشية الله تعالى محمود ولذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى عينين هطالتين
وقال عليه السلام ما من قطرة احب الى الله من قطرة
دمع من خشية الله او قطرة دم هريقت فى سبيل الله وروى
انه اشتراه العزيز الذى كان على خزائن مصر اسمه قطفير واطفير
وكان مؤمنًا معلنًا بايمانه وكان شرط على الملك ان لا يصده
عن دينه ولا يدعوه الى غيره ليعمل له وكان رجلاً صالحًا
وكان يوسف يومئذ ابن ثلث عشرة سنة او ابن سبع
عشرة سنة او ابن ثمانى عشرة سنة او ابن تسع عشرة سنة
ولبث فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو
ابن ثلثين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين قيل

ان زليخا كانت بنت طيموس ملك المغرب ورأت يوسف فى منامها
وكان بلدها من مصر على مسيرة ستة اشهر فنحل جسمها من محبة
يوسف وكانت بنت تسع سنين فحكت حالها المعبر فقال لها اذا
رايته فاسئليه عن حاله ومكانه فرأته فسألته اين احدك
قال بمصر فاتى ملكه وكان عند ابن زليخا سبعة وعشرون
رسولا من الملوك يطلبونها للتزوج سوى رسول ملك مصر
فقالت يا ابت لا اريد سوى ملك مصر فارسل ابوها رسولا
الى قطفير ان لى بنتا لا تريد سواك فان رغبت فيها اعطيكها
فكتب اليه قطفير ولا نريد سواها فزينها ابوها وارسل معها
الف جارية والف عبد والف جمل والف بغل واربعين حمل
دينار واربعين حمل ديباج فلما دخلت مصر ودخل عليها
قطفير غشى عليها وقالت هذا ليس الذى رأيته فى المنام
فهتف هاتف اصبرى عسى ان تظفرى له فسكتت فافتتن
قطفير بحسنها فلما كان يوم البيع ووقعت عين زليخا عليه
تحيرت وقالت لجاريتها هذا هو الذى رأيته فى المنام فاشتراه
قطفير بالاموال الكثيرة واختلف فيما اشتراه العزيز قال
مقاتل بعشرين دينارا ونعلين وحلة وقال الكلبى بعشرين
درهما وقيل بوزنه فضة وقيل بوزنه ذهبا والاشهر انه
بيع بوزنه مرة فضة ومرة ذهبا ومرة مسكا ومرة لؤلؤا و
مرة حلة ومرة حريرا ومرة عمامة وكان وزنه اربعمائة رطل
وطلب يوسف مالك كتاب الشراء الذى كتبه اخوه روبيل
ودفعه اليه وروى ان العزيز لما احضر هذه الاشياء
لمالك قال له يوسف لا تاخذ هذه الاشياء ثمنا عنى فانى

حروبين تشبه فقال مالك لم لم تخبرنى بذلك فقال كان لا يمكن
فاتى العزيز وقال لا يصلح لمثلى وانا تاجر من تجار ولايتك
والمستظل بظل دولتك ان اربح عليك وانى اشتريته بدراهم
معدودة فلا آخذ منك الا هذا القدر ولولا انك لا يرضى
بامتنانى عليك لم آخذ منك شيئا فاحسن الى هذا فانه اهل
الاحسان ثم جاء الى يوسف وقال قد عملت بقولك وبيننا
حقوق الاكل والشرب فاقض حاجتى قال وما حاجتك قال
انا رجل لا ولد لى فادع الله تعالى ان يرزقنى اولادا فنظر يوسف
الى جبرئيل عم مقبلا يقول ادع الله للتاجر فقال ما اقول قال
قل يا من يعز ويذل يا من يضع ويرفع يا من يعطى ويمنع يا من
هو على كل شئ قدير ارزق الشيخ اولادا ذكورا قال ابن عباس
رض فاستجيب له دعوته وكان لمالك اثنتى عشرة جارية
فرجع اليهن وباشرهن فحملت كل جارية وولدت ذكرين
فاجتمع له اربعة وعشرون ابنا ومن الحصص انه يجب على المؤمن
ان يجتنب من المال الحرام ولذا قيل اترك الدنيا فان فى طلبها
ذهاب الدين ومنها ان لا ينسى اهل الاحسان ويدل الغير
على احسانه اذ الدال على الخير كفاعله ومنها انه يطلب الدعاء
ممن يرجى استجابة دعائه قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ومنها انه ينبغى ان يتعلم
الداعى كيفية الدعاء فانه مكالمة من الله تعالى وهى مقام
كبير شريف وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ اى لما اشترى
العزيز يوسف حمله الى بيته وقال لِامْرَأَتِهِ راعيل او زليخا
قيل الفصيح ضم الزاء وفتح اللام لكن المشهور فتح الزاء و

اى كائنا من اهل مصر لا من اهل القافلة فهذا هو
الشراء الناسخ فى مصر واثنى
قيل اسمها هو الاول والثانى لقبها واللام متعلقة
مدة اقامته فينا فى المطعم والمشرب والملبس والمقام
نعرف الوزفيه الكفاية والامانة ويمارس اخبار عيوبهم
بالامور فلما يوجدان فيه ثم ترقى الى الاعلى
من النفع فى المهمات بعقوله او نتخذه الخ وانى

واكسر اللام أَكْرِمِي مَثْوَاهُ اجعلي مقامه عندنا كريمًا حسنًا
وانزليه منزلة من يكرم والمعنى احسني مقعده قيل ثم اقبلت
على يوسف والبسته قميصًا ملكيًا عليه الف حبة من اللؤلؤ و
اعطته منطقة ملكية عليها من الياقوت والزبرجد ما يعلم
قيمتها الا الله تعالى وعممته بعمامة ملكية فقال لها يوسف كيف
يجوز للعبد ان يكون له مثل هذا اللباس والسيد في ثياب دونه
فقالت انت السيد وهو العبد وانا الجارية اليس قال اكرمي مثواه
ولو قدرت على اكثر من هذا لفعلت عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا في ضياعنا و
اموالنا بالاعانة لنا عليها ونستظهر به في مصالحنا ويكفينا
بعض اشتغالنا فيرتقي ارتفاق العبيد أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا اي نتبناه
وكان عقيمًا لما تفرس فيه من الرشد روى عن عبد الله بن مسعود
رض قال افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامرأته اكرمي مثواه
عسى ان ينفعنا وبنت شعيب التي قالت استاجره ان خير من
استاجرت القوي الامين وابو بكر رض حين تفرس من عمر وولاه
من بعده ومن الحصر ان العزيز وان تفرس في رشد يوسف ولكن
اخطاء حيث فوض امره الى المخلوق لا الخالق والله خير حافظا ومنها
انه اخطاء في تفويض امره الى المرءة فكذا كل من اعتمد على مخلوق
ناقص العقل ومنها انه قال لامرأته اكرمي مثواه فوجب عليها
ان تسكنه في قلبها وتحبه اشد الحب فان المثوى الذي اكرامه
هو القلب ومنها انه طمع من المخلوق حيث قال عسى ان ينفعنا
فتضرر ومنها انه امر امرأته بقوله اكرمي وطمع من يوسف
حيث قال او نتخذه ولدا والمرأة عصت ويوسف راعى حق
الابوة والبنوة حيث لم يفعل السوء بامراة الاب فلا ينبغي

اي اكرميه اشد الاكرام فاكرام المثوى كناية يستعملونها في السلاطين يقولون الى المجلس العالي وفي الكناية فائدتان جعل المثوى حسنا مرضيا كريما واكرام المثوى انما ينفع بعد جميع ما يحتاج اليه من الاطعمة والاشربة والاكسية جميلا حسنا مرضيا فكانه وصاها بجعل مقامه وشرابه وطعامه و لباسه حسنا مرضيا كريما فالفائدة الاولى اكرام ذاته ففيه مبالغة وتصوير حسن للاكرام عسى واثبت على التصحيح ثم علل امرها باكرام بقوله فيما يحتاج اليه في كفاية امورنا او يبعه بالربح ان اراد بيعه عيون اي كان العزيز لا يولد له ولد ولذا قال او نتخذه ولدا

للعاقل

للعاقل ان يغفل عن عصيان النساء بل ينبغي ان يكون على احتياط
منهن ولا يخاف من ضرر العاقل اذ عداوة العاقل خير من صداقة
الجاهل واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالعزيز الروح الذي هو من
مصر القدس وهو اشترى يوسف القلب من مالك بن ذعر اي من
القوة الفكرية وسلم اليها ثمنه الكثير وهو المعاني والمعارف الفائضة
عليها منه عند استنارتها بنوره وقربتها منه والمراد بامرأة العزيز
التي اوصى اليها بقوله اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا هي النفس اللوامة
التي استنارت بنور الروح ووصل اثره اليها ولم يتمكن في ذلك
والمراد بالمثوى الصدر فان القلب اذا تجرد فيه ينفع الروح والنفس
ويكون كالولد الصالح وقال الامام القشيري قدس سره لما نودي
على يوسف في مصر ببيعه لم يرض الله تعالى حتى اصابتهم الضرورة
حتى باعوا من يوسف جميع املاكهم ثم باعوا انفسهم منه في
اخر امرهم طلبا للطعام فصاروا باجمعهم عبدا له فيوم بيوم
ثم انه لما ملكهم من عليهم فاعتقهم كما يجيء تفصيله والحصة
منه ان مع العسر يسرا وشعر اذا ضاقت بك البلوى ففكر في
الم نشرح فعسر بين يسرين اذا فكرته فافرح وان الكريم
اذا قد رعفى كان يحيى بن معاذ يقول الهي كيف افرح وقد عصيتك
وكيف لا افرح وقد عرفتك وكيف ادعوك وانا خاطئ وكيف
لا ادعوك وانت كريم اعلم ان زليخا كانت تخدم يوسف كالامة
لسيدها وتظهر كانها تريد امتثال امر العزيز والحصة منه
ان اهل الريا يعمل لنفسه ويظهر انه يعمل لله العزيز قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي من اشير اليه بالاصابع
الا من عصمه الله وكان يوسف يسكن على حصير في زاوية بيت

ويقرأ صحف ابرهيم ولا يلتفت الى الدار وصاحبتها والحصّة
منه ان العاقل ينبغي بالقليل من الدنيا ويشتغل بطاعة المولى
ولا يلتفت الى غير الله تعالى قيل لبعض العارفين مالك اعتزلت
عن الناس فقال اخذت بثلث ايات من كتاب الله تعالى احدها
قوله تعالى وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا رادّ لفضله فلما علمت انّ النفع والضرّ بيد الله وليسا
بيد العباد أيست من العباد والآية الثانية قوله تعالى وما من
دابّة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انّ الرازق هو الله تعالى فلم
اشتغل بغيره والثالثة قوله تعالى فاذكرونى اذكركم فلما علمت
انّ العبد ما دام فى ذكر الربّ بين الآدميّين يذكره الربّ بين
الملئكة المقرّبين اشتغلت بذكره تعالى وكان يوسف يبكى ولا
يتنعّم بنعيم العزيز واخبرته زليخا بذلك امرَه العزيز ان يركب ويخرج
الى الصحراء حتى ينشرح قلبه فركب يوسف ورأى اعرابيًّا جاء من
درب كنعان فسأل الخبر عن يعقوب فقال فقد ابن له وقد
انحنى من فراقه واعرض عن سائر ابنائه وكلّما سكت الاعرابى
استخبره يوسف لانه من مُنِعَ من النظر يسلّى بالاثر وكذا الذى
يحبّ الله يستأنس بذكره وَكَذَلِكَ اى وكما خلّصناه من كيد
اخوته او انجيناه من الجبّ او عطفنا عليه العزيز او مكّنّا محبّته
فى قلبه او مكّنّاه فى منزله مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْاَرْضِ اى جعلناه
متصرّفًا فى ارض مصر وهى اربعون فرسخًا فى اربعين فرسخًا
ومن الحصص انّ يوسف معزّز فى الديار المصريّة ويعقوب
محزون فى ديار كنعان كما انّ الولد الميت معزّز فى الجنان عند
الملك المنّان والاب باكٍ فى الدنيا وبيت الاحزان ومنها انّ اخوته

اخرجوه

اخرجوه من ارض كنعان مكّنه الله تعالى فى ارض مصر و
كذا المؤمن اذا خرج من الدنيا يصير عزيزًا تحت الثرا وفى الدار
العقبى ومنها انّ يوسف ابتلى بانواع البلاء جعله الله تعالى عزيزًا
مكينًا وكذا المؤمن اذا صبر على الفقر والفناء يصير مكرّمًا عند الله
تعالى واذا اريد التفسير الانفسىّ يراد بيوسف القلب لما عرفت
مرارًا وبتمكين الله تعالى اياه فى الارض اقداره بعد التزكية والتنوير
بنور الروح على مقاومة النفس والقوى وتسليطه على ارض البدن
باستعمال الآلة فى تحصل الكمالات وسياستها بالرياضات
وَلِنُعَلِّمَهُ عطف على مضمر تقديره لنتصرّف فيه بالعدل ولنعلّمه
مِنْ تَاْوِيلِ الْاَحَادِيثِ اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان
يقيم العدل ويدبّر امور النّاس وليعلم معانى كتب الله واحكامها
فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة لها ليستعدّ
ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحلّ كما فعل لسنيه ومن الحصص
انّه تعالى كما منّ على يوسف بتمكينه فى الارض وتعليم العلم منّ
على المؤمنين بقوله وليمكّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وقال
ورضيت لكم الاسلام دينا وقال وعلّم الانسان ما لم يعلم وقال
يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرًا كثيرًا
ومنها انّ التمكّن فى الارض وتعلّم العلم امران خطيران انّما يحصلان
بتمكين الله تعالى وتعليمه ولذا اسندهما الى نفسه ومنها انّ
تنفيذ الاحكام وتدبير الحوادث انّما يكونان بعد العلم ولذا قيل
العلم امام والعمل تابعه ومنها انّ القدرة فى الارض وحصول
العلم متقاربان وصاحبهما متقارنان روى عن صالح المرىّ
قدّس سرّه انه دخل على امير المؤمنين فاجلسه على وسادته

فقال صالح قال الحسن ان العلم يزيد الشريف شرفاً ويبلغ
بالعبد منازل الاحرار والاثمن صالح المرىّ حتى يجلس على وسادة
امير المؤمنين لولا العلم واذا اريد التفسير الانفسىّ يراد ان الله
تعالى بعد انجاء يوسف القلب عن جبّه الطبيعة واقداره على
مقاومة النفس وتسليطه على ارض البدن يعلّمه اخراج الامور
التى هى فى استعداده من الكمالات الحاصلة بالقوّة الى الفعل
وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ الضمير امّا راجع الى الله او الى يوسف فالمعنى
على الاوّل لايرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء وعلى الثانى ارادت
اخوته شيئاً وهو هلاك يوسف وعزّة انفسهم واراد الله تعالى
غيره فلم يكن الا ما اراده او بلّغه المنزلة التى بلّغه اياها واراد
يعقوب ان يكون يوسف معه واراد الله خلافه واراد مالك ان
يكون يوسف عبداً واراد الله تعالى ان يكون مالكاً واراد ت
زليخا ان يفعل يوسف السّوءَ واراد الله غيره واراد العزيز
ان يكون يوسف فى ذلّة السّجن واراد الله تعالى ان يكون فى
عزّة الدولة فلم يكن الا ما اراد الله تعالى وقيل اراد آدم عم البقاء
فى الجنّة واراد الله خلافه فكان الامر على ما اراده واراد ابليس
ان يكون رئيس السفرة واراد الله ان يكون امام الفجرة واراد نوح
ان يكون كنعان فى الفلك واراد الله تعالى ان يكون فى الهلاك واراد
نمرود ان يحرق ابرهيم واراد الله نجاته واراد ابو جهل ان يكون
النبوّة لوليد بن مغيره واراد هلاك رسول الله صلى الله عليه
وسلم واراد الله تعالى ان يكون النبوّة له واراد هلاك ابى جهل
فكان الامر على ما اراده وقس على هذا نظائره ومما يوحى الى داود ثم
ان الله تعالى قال يا داود انا اريد وانت تريد ثم لا يكون الا ما اريد

واتعبتك

غالب على امره فانه تعالى يفعل ما اراده بحيث لا [illegible] بلا دافع ولا مانع واله اى غالب على امر يوسف ولا يكله الى احد غيره حتى بلغه منتهى ما علمه فيه

واتعبتك فيما تريد فامر الله تعالى غالب على كل امر فالحصة منه
انه لا ينبغى للعاقل ان يتضجر اذا لم يصل الى ما اراده لانّ الله تعالى
اخبر بغلبة امره ايقظنا الله تعالى من نوم الغفلة واوصلنا الى
حقايق الاشياء ثم انّ الله تعالى اخبر بانّ هذا المعنى لا يعلمه
اكثر الناس حيث قال وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ المفعول محذوف
فالتقدير على تقدير رجوع ضمير امره الى الله انّ الامر كلّه بيد الله
يعنى لا يعلمون هذا المعنى وعلى تقدير رجوعه الى يوسف لا يعلمون
لطائف صنعه وخفايا لطفه يوسف عم والعلّة اعراضهم
عن التفكّر فى اياته والاستدلال بها على كمال قدرته ونفاذ
مشيّته وحسن تدبيره ومن الخصص انّ الشيطان يريد ان
يكون المؤمن معذّبا والله تعالى يريد ان يغفر له فيبطل كيد
الشّيطان لانه غالب على امره ومنها ان النفس تريد ان يكون
المؤمن عاصياً والله تعالى يريد ان يكون معصوماً من العصيان
والمعصوم من عصمة الله تعالى ومنها انّ المراء قد يعتمد على
عصمة نفسه من المعاصى والله يريد ان يظهر فضله فالعبد
يعصى الله ثم يغفر الله تعالى له كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلّم لو لم تذنبوا انتم لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم
ويدخلهم الجنّة ومنها ان العبد يعتمد على عبادته والله يسلّط
الشيطان عليه فانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واذا
اريد التفسير الانفسىّ يراد انّ الله تعالى غالب على امره يفعل
ما يريد فى مملكة وجود الانسان وانّ يوسف القلب يريد
ان يخرج ما فى استعداده بتصرّفه ولا يقدر عليه والله غالب
على امره بالتأييد والتوفيق والنصر حتى يبلغ غاية كمال رشد

من المقام الذى يقتضيه استعداده فيؤتيه العلم والحكمة روى
عن سليمان الدارانى يقول ان الله تعالى اوحى الى داود عم انى
اذا احببت عبدًا او اجتبيت عبدى وكلت به ملكًا يغرس فى قلبه
طرائف الحكمة فاذا ثبت الاصل فى القلب نطلق اللسان بالفرع
وَلَمَّا بَلَغَ يوسف أَشُدَّهُ جمع شُدٍّ او شَدٍّ او شِدٍّ او واحد
جاء على بناء الجمع وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه والمعنى
لما بلغ يوسف منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداءه بلوغ
الحلم قال ابن عباس رضى الله عنهما عشرون سنة وقيل ثمانى عشرة
سنة يقول تعالى لما بلغ يوسف عم شبابه وكمال قوته ووفور
عقله واهتداءه الامور قال فى الصحاح وهو ما بين ثمانى عشرة
سنة الى ثلثين آتَيْنَاهُ حُكْمًا اى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل
او حكمًا بين الناس بالنبوة قال القشيرى قدس سره من جملة
الحكم الذى آتاه الله تعالى نفاذ حكمه على نفسه حتى غلب
شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له
على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره قال وقيل لما استوى
شبابه وكان وقت استيلاء دواعى مطالبات البشرية آتاه
الله تعالى الحكم الذى اثبته على الحق وصرفه عن الباطل وَعِلْمًا
يعنى علمًا بالدين وبتاويل الاحاديث قال الامام نقلاً عن
الحسن ان يوسف عم كان نبيًا من الوقت الذى القى فى غيابة
الجب ثم صار رسولاً من الوقت الذى بلغ اشده ثم قال
ومنهم من قال انه كان رسولاً من الوقت الذى القى فى غيابة
الجب وقوله تعالى ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات

البدنية

البدنية وقوله اتيناه حكمًا وعلمًا اشارة الى استكمال النفس
فى قوتيها العملية والنظرية وَكَذَلِكَ هكذا نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
كما فى من احسن عمله فلم يخلطه بشرك ولا معصية قيل المراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الله تعالى انه صيّره الى العلو
على قومه ونفاذ الحكمة والسلطان عليهم كما فعله بيوسف عم
وقال ابن عباس رض وكذلك نجزى المحسنين اى المؤمنين وقال
الضحاك اى الصابرين على النوائب وقال الامام ابو منصور رحمه
وكذلك نجزى المحسنين يحتمل احسان الاعمال ويحتمل الاحسان
على الناس ويحتمل الاحسان الى نفسه ويحتمل احسان صحبة
نعم الله تعالى والقيام بشكره وفيه تنبيه على انه تعالى انما آتى
يوسف الحكم والنبوة جزاء على احسانه فى عمله واتقاءه فى
عنفوان امره وشبابه ومن الخصص ان الشاب اذا احسن
عبادة الله تعالى اتاه العلم والحكم كما قال الحسن من احسن عبادة
ربه فى شيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله ومنها ان من عمل
صالحًا واطاع الله تعالى يفتح الله له ينابيع الحكمة قال صلى الله
عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحًا ظهر ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه ومنها ان عباد الله الصالحين محسنون
فالجنة جزاؤهم كما قال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ومنها ان يوسف
لما علم عبارة الرؤيا ملك ارض مصر كما ان آدم عليه السلام
علم الاسماء وجد الجنة فالمؤمن اذا علم التوحيد يصل الى
الله تعالى روى ان واحدًا من اهل العرفان ينادى كل ليلة الهى
فى الدنيا الغموم والاحزان وفى الآخرة النار والعقاب والحساب

فاين الراحة ومتى الراحة فذكر ليلة ثم نام فقيل له فى المنام انت
فى هم وقد عرفتنا ووحدتنا فتى وحدتنا وجدتنا اومن وحدنا
وجد نا فتى يبقى فى الغم وهو ينظر الى وسط فليس يرى الزنار والى
قلبه فليس يرى الكفر ولا موضعه فليس يرى نفسه فى البيعة
والكنيسة بل يرى قلبه مملوا من الايمان ولسانه مقراً بالتوحيد و
نفسه فى المسجد وهذا كله راحة وطرب فانتبه من منامه فقال
تبت اليك يا رب فالحصة ان المؤمن لا بد له ان يعرف شرف
التوحيد ويغتنمه ويتذكر احوال الكفرة والفسقة فيشكر لله تعالى
على توفيقه ويتسلى به عما يعرضه من غموم الدنيا وهمومها مع انها
لا تدوم بل تضمحل قريبا ومنها ان فيض الله تع موقوف على الاستعداد
وصيانة العمر عن الضياع ومنها ان كمال الرجولية غلبة المراء على
شهوته فانه امارة عظيمة روى ان واحداً من الصحابة طلب
الامارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرناك على نفسك
فالحصة انه لا بد للعاقل ان يأمر على نفسه قبل كل شئ لانه سبب
الاستقامة وهى باعثة لنجاته من كل ما هو موبق ومنها ان
الله تعالى لا يضيع اجر المحسنين فلا بد للعاقل ان يصرف وقته
الى الثواب لان الانام خلق للعبادة والمعرفة قال الله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وفى هذا المعنى قيل شعر
اما والله لو علم الانام لما خلقوا لما اكلوا وناموا ومنها ان الصبر
على النوائب احسان وبه يحصل المرام واذا اريد التفسير الانفسى
يراد ان يوسف القلب اذا احسن فى الطلب والارادة وتحمل
الاجتهاد والرياضة بجمل فيض الله عليه ثم ان الله تعالى بين من
آثار ما آتاه من الحكم وهو العفة عما حرمه عليه حيث قال وراودته

المراودة فعل اثنين يريد احدهما الآخر على شئ فيجرى فى ذلك
مدافعة وممانعة وهى من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب
شئ ومنه الرائد الذى يرسل الى طلب الكلاء التى المراءة التى
اى زليخا هو يوسف فى بيتها فى بيت تلك المراءة اى طالبت
زليخا يوسف بمساعدتها على الموافقة وارتكاب الفحشاء
منها ويجوز ان يكون مشتقا من الرويد وهو التمهل والترفق
فالمراودة هى المطالبة على التمهل والترفق والتلطف اى طالبته
مرة برفق وسهولة قال الامام ابو منصور دلت الآية على ان البيت
قد يضاف الى المراءة وان كان فى الحقيقة لزوجها ولذا يحنث الحالف
اذا دخل داراً هو ساكنها عن نفسه اى من اجلها والمعنى احتالت
عليه وارادت خدعة عن نفسه لتنال غرضها منه مما تريد
النساء من الرجال من الموافقة وغيرها وغلقت الابواب عليها
وعلى يوسف التشديد للتكثير فى المفعول وهو الابواب وكانت
سبعة او كان الباب واحداً والتشديد مبالغة فى الاحتياط
والتستر فكانها غلقته مرة بعد مرة فالتكثير للمبالغة فى اصل الفعل
او بمغلاق وجمع نظراً الى اجزائه وافراده فكان كل جزء منه باباً
وانما غلقتها لئلا يفجاءها واحد ولئلا يتخلص يوسف عنها
وقالت هيت لك اى تعال واقبل وهلم وبادر الى ما هو لك او تهيأت
لك والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتى فى سقياً لك وتلخيص المعنا انلنى شهوتى منك فزليخا جعلت
تغره وتمازحه ويوسف عم يغيظها ويزجرها قيل بنت بيتاً ليوسف
مزخرفا من الرخام والفيروزج والعقيق والذهب والفضة و
غيرها من الجواهر النفيسة وزينته بانواع الزينة وبسطت

فيه بانواع البساط والفرش ثم قالت لجاريتها التى تعرف حالها
كيف افعل قالت تزيّنى بكلّ زينة حسنة واعرض عليه نفسك
فارسلت اليه فجاء يوسف وقت الظهيرة فلمّا نظر اليها قال الهى
انّ هذه فتنة لا ينجو منها الّا معصوم فاعْصمنى بعصمتك قَالَ
مَعَاذَ اللّٰهِ نصب على انه مفعول مطلق اى اعوذ بالله معاذًا من
ان اعصيه واَخُونَه اى ان اَجبْت لِما هذا اِنَّهُ انّ الشان رَبِّي اى
زوجك سيّدى قطفير بحكم الشّراء ظاهرًا والّا فيوسف حرّ اَحْسَنَ
مَثْوَايَ اكرم مقامى حين اوصاك باكرامى فما جزاءه ان اَخُونه فى
وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف
اهله بعد اكرامه ايّاى وحسن ظنّه بى اودفع مقامى بان مدّ يده
فرفعنى فلم اكن افعل بامرأته ذلك وقيل الضمير لله اى الله ربّى اى
خالقى احسن منزلتى بان عطف علىّ قلبه فلا اعصيه او بها اعطانى
اذ جعلنى من ذرّية الانبياء فلا اعصيه اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ اى
المجازون الحسن بالقبيح وعلى الاول فلا اخون العزيز وقد احسن
الىّ واكون ظالما له ولنفسى انه لا يفلح الظّالمون ولا يفوزون بخيرٍ
ولا حمدٍ من الناس وقيل لا يفلح الظالمون اى لا يأمن من عذاب
الله الزّناة وقال الامام ابو منصور رحمه لا يفلح الظالمون ما داموا
فى ظلمهم فاذا تركوه وتابوا عنه افلحوا وتفصيل القصّة على ما ذكروا
انّ زليخا خدمت يوسف عم مدّة وهويت نفسًا وهامت محبّة
فنحل بدنها وذهب قرارها ونومها وارتاب اهل بيتها فى امرها
فسألها الظئر من ذلك اسمها فارعة فحكت لها حالها واستغاثت
بها على بلوغ مرادها من يوسف فقالت لها اخبريه عمّا فى قلبك
واعرضى عليه جمالك قالت انه لا يدنو منّى ولا ينظر الىّ ولا يفتح
عينه علىّ قالت فانا احتال لذلك لكن لا بدّ من مال كثير فبنت

لها

لها ما سألت فاتخذت من رخام مملّس على سقفه وحوائطه
صورة زليخا ولمّا تمّ ذلك هيّأت البيت بالوان الفرش وزيّنت
بالاوانى والحلىّ ولبست الحلل وتوجّت بتاج مرصّع وجلست على سرير
ذهب مرصّع باليواقيت وعليها انواع الحلى ودعته فجاء هو لا يعلم
فلمّا دخل البيت اغلقت عليه الابواب وهى سبعة بعضها فى بعض و
نظر يوسف الى جانب رأى صورة زليخا واعرض عنه ونظر الى جانب
آخر رأى صورتها وقالت له يا يوسف ما احسن وجهك قال
التراب يأكله وفى الرحم صوّرنى ربّى هو الذى يصوّركم فى الارحام
كيف يشاء فصوّركم واحسن صوركم قالت يا يوسف ما احسن
شعرك قال هو اوّل شئ يسقط من جسدى فى القبر قالت يا يوسف
ما احسن رايحتك قال لو اطّلعتِ فى قبرى بعد ثلثة ايّام لولّيت
منّى هاربةً قالت يا يوسف ما احسن عيناك قال بهما انظر الى ربّى
وهما اوّل شئ يسيلان الى الارض من جسدى قالت يا يوسف
ارفع بصرك فانظر الىّ قال اخشى العمى فى آخر عمرى وفى القيمة قالت
يا يوسف لم تتباعد عنّى قال اريد به الاقتراب من ربّى قالت يا
يوسف القيطون فادخل معى قال ليس شئ يسترنى من ربّى
قالت يا يوسف فراش الحرير ممهّد لك قم فاقض حاجتى قال اذا
يذهب من الجنّة نصيبى قالت يا يوسف تجترئ على سخطى قال
ارجو بذلك مرضاة ربّى قالت يا يوسف عبد اشتريتك فانت
تتعظّم علىّ قال بجرمى وخطيئتى اشتريتنى قالت يا يوسف ليتنى لم
اعرفك قال ذلك فعل اخوتى اذ باعونى قالت يا يوسف ضع يدك
على صدرى حتى يسكن قلبى قال لا اصبر على احتراق جسدى
واخاف الغلّ من النّار يوم القيمة قالت يا يوسف الجُنَيْنَة قد

القيطون المخدع بلغة [illegible]

الجنينة تصغير الجنة كنت عن فرجها

زليخا مع جمالها وحسنها طالبة مرة بعد اخرى لكن
يوسف عليه السلام لم يلتفت اليها قطع مع انه عم ايضا
شاب بديع الجمال والبهاء الا انه نبي من سلالة الانبياء
فعصمه ربه عن الفحشاء وحماه عن مكر النساء
فهو سيد السادات النجباء السبعة الاتقياء المذكورين
في الصحيحين عن خاتم الانبياء في قوله عليه الصلوة
والسلام من رب الارض والسماء سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل ورجل ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق بالمسجد
اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله
اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة
اخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وشاب
نشأ في عبادة الله ورجل دعته امرأة ذات
منصب وجمال فقال اني اخاف الله

عطشت قم فاسقها قال الذي بيده مفاتيحها احق ان يسقيها مني قالت
يا يوسف اشتريتك فجعلتك بمنزلة زوجي قال وكيف اذرع في ارض
غيري قالت يا يوسف لاسلمنك الى ايدي المعذبين فيسلون جسمك
كما سلت جسمي قال لا بأس اذا كان ربي راضيا عني قالت يا يوسف
باي علة امتنعت مني قال بحقين بحق الهي الذي في السماء ملكه و
بحق سيدي الذي في الارض سلطانه علي وعليك قالت يا يوسف
اما سيدك الذي في الارض سلطانه علي وعليك فاني آخذ كأس
الزبرجد بيميني وابريق الدر بشمالي فاسقيه الكأس فيسقط لحمه بين
يديه فادفنه تحت اساس بيتي واما الهك الذي في السماء ملكه
فان لي من الجواهر ما لا يطيق حمله دوابي فاتصدق به عنك فيغفر لك
الهك الذي تخوفني فغلبته بالكلام فلم يرد جوابا فقال معاذ الله
ان من ارتكب حراما سود الله تعالى في القيمة وجهه وهتك على رؤس
الاشهاد ستره واحرق بالنار جسمه وقيل قال يوسف ع ان ربي
لا يقبل الرشاء او قال انما يتقبل الله من المتقين وان ما دعوتني اليه
سبب لخسراني فلا تظلميني ولا تسودي في القيمة وجهي ولا تخجليني
يومئذ عند ابي وامي ولا تسخطي على ربي ولا تسلطي نار جهنم على
جسمي فعند ذلك غلقت الابواب وارخت الحجاب وقال القشيري
رحمه لما غلقت عليه ابواب الحجرة فتح الله عليه ابواب العصمة فلم
يضره ما اغلقت بعد ما اكرمه بما فتح وقيل ان يوسف قال ان
العزيز امل مني ان انفعه حيث قال عسى ان ينفعنا فلا اخونه في حرمه
يظهر الغيب منه ومن الحصص وجوب معرفة الاحسان لان يوسف
امتنع منها لاجل شيئين لاجل المعصية اي الظلم ولاجل احسان الزوج
اليه فالله تعالى احق ان يعرف احسانه اذ المرء ولد عريانا فاحسن الله

تعالى

46

تعالى بنعم لا يمكن احصاؤها ومنها ان المؤمن ينبغي ان يغض
عينه عن الحرام لان النظر اليه سهم مسموم من سهام ابليس
ومنها انه لا بد للمؤمن من حجرة خالية حتى ينجو عن الآفات
يروى عن عبد الواحد بن زيد قال خرجت من طرسوس
الى جبل لكام فدخلت شعبا من شعابها اذ سمعت سمعا اخوتني
فاتبعت الصوت فرأيت شيخا مقطوع اليدين والرجلين اعمى
واصم وهو يقول الهي وسيدي ومولاي متعتني بجوارحي
حيث شئت اسئلك البر والوصول فقلت في نفسي اي بر
من الله تعالى واي توصل وهو على هذه الصفة فدنوت وسلمت
عليه ولم يسمع فتقربت من اذنه فسلمت فرد على السلام
فقلت يا عبد الله اي بر من الله عليك ووصل وانت بذي
هذه الحال قال اليك يا بطال اليس ترك علي قلبا اعرفه ولسانا
اوحده واذكره في الخلوة فهو نعيم الدارين جميعا ففارقته
وبكيت كثيرا ومنها ان المؤمن اذا نظر الى كل جانب ينبغي له
ان ينظر مع المراقبة ويأخذ منه آية على وحدانية الله تعالى
كما قيل شعر ولله في كل تحريكة وسكينة ابدا شاهد وفي كل
شئ له آية تدل على انه واحد فينبغي للمؤمن ان يكون على المراقبة
روي ان واحدا من الملوك كان له غلام يقبل عليه اكثر
من اقباله على غيره من غلمانه ولم يكن اكثرهم قيمة ولا
احسنهم صورة فقالوا له في ذلك فاراد الامير ان يبين لهم
فضل الغلام في الخدمة على غيره فيوما من الايام كان راكبا
ومعه الحشم وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الامير الى ذلك
الثلج اوطرف فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض

فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ومعه شئ من الثلج فقال الامير ما
ادريك انى اردت الثلج فقال الغلام لانك نظرت اليه ونظر
الملوك الى شئ لا يكون عبثا فقال الامير انما اخصه باكرامى و
اقبالى لان لكل احد شغلا وشغله مراعاة لحظاتى ومراقبة
احوالى فالحصة منه ان من راقب مخلوقا اذا اكرم فكيف
لا يكون مكرما من راقب رضاء الله تعالى سئل امير المؤمنين
على بن ابى طالب رض هل رايت ربك حتى عبدته فقال ما كنت
لاعبد ربا لا اراه قالوا كيف رايته قال لا تراه العيون بمشاهدة
العيان ولكن راته القلوب بحقايق الايمان ومنها ان يوسف
عرف اكرام السيد فامتنع عن العصيان فينبغى للمؤمن ان يعرف
اكرام الرب ويمتنع عن عصيانه قيل للمجنون اجننت قال جننت
عن غفلة الله تعالى لا عن معرفة الله تعالى قيل كيف حالك مع
المولى قال ما جفوته مذ عرفته فقيل متى عرفته قال مذ سمونى
مجنونا فالحصة انه عرف اكرام الله تعالى اياه فكان من الواصلين
ومنها ان يوسف لما حفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب منه
اكرمه الله تعالى بامداده بالعصمة فى الحال ومكنه من مواصلتها
فى المال على وجه الحلال واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان
مراودة زليخا عن نفسه وتغليقها الابواب عليها اشارة
الى ظهور النفس اللوامة بصفتها فان التلوين فى مقام القلب
يكون بظهور النفس كما ان التلوين فى مقام الروح يكون بوجود
القلب وجذبها القلب الى نفسها بالتسويل والاستيلاء عليه
وتزيين صفاتها ولذاتها وسدها طريق مخرجه الى الروح
بحجبها مسالك الفكر ومنافذ الروح بصفاتها الحاجبة

والتخلص

والتخلص منها انما يتيسر بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى سئل
عن الشيخ الكبير ابى عبد الله بن حفيف عن النفس ما هى فقال
انها لا تعرف بذاتها ولكن بظهور رافعا لها يستدل عليها وان
من صفاتها الخلاف للحق وانها مائلة الى الشهوات ويثقل عليها
العبادات وقال الواسطى النفس ظلمة وسرها ومعرفة الله سراجها
ومن لم يكن له سر فهو فى الظلمة ابدا وكما ان للروح اخلاقا
محمودة فالنفس لها اخلاق مذمومة والقلب اذا تعوذ بالله تعالى
وذكر توفيقه الى الايمان يسلم من مكائد النفس وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ
وَهَمَّ بِهَا ولقد عزمت زليخا وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشئ قصده والعزم عليه قبل ان يفعل من خير او شر
ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه ولم يرجع عنه
والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة على ما يقتضيه الطباع
البشرية لا القصد الاختيارى وذلك اى ميل الطبع مما لا يدخل
تحت التكليف اذ لا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب بل الحقيق
بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام
هذا الهم او مشارفة الهم اذ من تشارف الاتصاف بوصف
يجعل موصوفا به كما فى قوله قتلته لو لم اخف الله جعل نفسه
قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف لما شارف قلبه ان يقصد
مخالطتها قال الله تعالى فى حقه وهم بها معلق بالشرط اما با
باعتبار التقديم والتاخير او بالشرط المحذوف والمذكور
تفسيره او المعنى همت بالسفاح وهم بالنكاح ان لم يكن لها
زوج او همت بالقرار وهم بالفرار او همت به هم الارادة وهم
بها هم دفع لكن هذه الوجوه الثلثة الاخيرة يدفعها قوله

ثم ان الله سبحانه اخبر ان اجتناب يوسف وهم انما كان
بعناية منه تعالى ولقد همت به وهم بها الآية وللاكثر
اقوال المفسرين منقح وكتب اهل الكتاب فى الاعراض
عنه كان اولى والذى يجب ان يعتقد ان الله تعالى عصمه
وبراه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه
منها ولهذا قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء و
الفحشاء انه من عبادنا المخلصين
قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى

لولا ان رأى برهان ربه وقد روى في الخبر انه ليس من نبيّ
الّا وقد اخطأ اوهمّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا ولكن كانوا
معصومين من الفواحش فان قيل لم لم يحفظ من التحرك كما
حفظ من الفعل قلنا لتعلم زليخا انه غير عنّين لانّ زوجها كان
عنّينا فلو تركها لقالت هو مثل زوجي انما تركني عجزًا لا ديانة
وقال بعضهم تمّ الكلام عند قوله ولقد همّت به ثم قال وهم
بها لولا ان رأى الاية يعني لما رأى البرهان لم يهمّ بها لولا أن
رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ في قبح الزنا وجواب لولا محذوف اي لخالطها
وجامعها لشدّة شهوة الشبابة وكثرة المبالغة من زليخا
وقال الامام ابو منصور اما ما قاله اهل التفسير انها دعته الى
نفسها واستلقت له وهمّ بها انه حلّ سراويله وجلس بين
رجليها وامثال هذا من الخرافات فهذا كلّه مما لا يحلّ ان يقال
والدليل على فساد ذلك وجوه احدها قوله هي راودتني عن
نفسي والثاني قوله لنصرف عنه السوء والفحشاء والثالث قوله
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والرابع قولهنّ ما علمنا عليه
من سوء والخامس قولها الان حصحص الحقّ انا راودته عن نفسه
فهذا كلّه دليل على انه لم يكن منه شئ من ذلك وليس في ظاهر
الآيه شئ مما قالوا وقال الحسن لم يقصص الله تعالى عليكم ما حكى
عن اخبار الانبياء تعييرًا لهم بل لئلا تقنطوا من رحمة الله لانّ الحجة
للانبياء الزم فاذا قبلت توبتهم كان قبولها من غيرهم اسرع
وعدم ذكر توبة يوسف دليل على عدم معصيته لانه تعالى ما
ذكر معصية عن الانبياء وان صغرت الّا وذكر توبتهم منها
كادم ونوح وداود وابرهيم وسليمان عليه السلام وقال

اما المحققون فعند قسم والبرهان بوجوه
الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة
التي جعلها الله في قلبه حالت منه وبين ما يسخط الله
عز وجل الثاني البرهان حجة الله تعالى على العبد في تحريم
الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث
ان الله تعالى عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم
السلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة
وجبلتهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة
المقدسة تفسير
اي حجة الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء
سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدة
واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي يتجلى هناك
حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها
المستعارة التي بها تظهر في هذه النشاة منه

وفي العيون قال حسن البصري ان الله تعالى لم يذكر
ذنوب الانبياء عليهم السلام في القرآن تعييرا لهم
بها ولكن ذكرها ليبقى الناس على خوف من الله تعالى
ويعرفوا منزلة النعم في الاعراض عن الذلة ولئلا
ييأس احد من رحمة الله تعالى لان الحجة للانبياء
الزم فاذا قبلت توبتهم كان قبولها من غيرهم
اسرع وقيل انما ابتلاهم الله تعالى بالذنوب ليتفرد
بالعزة والطهارة يوم حساب ويلقاه جميع
خلقه على انكسار المعصية منه

محي السنة في المعالم وقيل انّ الله تعالى ابتلاهم بالذنوب ليتفرد
بالطهارة والعزّة ويلقاه جميع الخلق يوم القيمة على انكسار المعصية
وقيل ليجعلهم ائمّة لاهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الاياس
من العفو والمغفرة وقال بعض اهل الحقايق الهمّ همّان همّ ثابت
وهو اذا كان عزم وقصد ورضاء مثل همّ امراة العزيز والعبد
مأخوذ به وهمّ عارض وهو الخطيرة وحديث النفس من غير
اختيار ولا عزم مثل همّ يوسف عم والعبد غير مأخوذ به ما لم
يتكلّم او يعمل عن ابي هريرة رض قال رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم قال الله تعالى اذا تحدّث عبدي بان يعمل حسنةً فانا اكتبها
له حسنةً ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر امثالها واذا
تحدّث بان يعمل سيّئة فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا
اكتبها له بمثلها انتهى واختلف في بيان البرهان قيل رأى جبرئيل
وقيل مثل له يعقوب في الحائط عاضًّا على شفتيه او انامله وقيل
تمثل له قطفير وقيل ناداه جبرئيل يا يوسف ابن يعقوب عم اسمك
في الانبياء مكتوب فلا يكوننّ عملك عمل الفجار وقيل نودي من السّماء
مهلًا يا يوسف انك لو وقعت في الخطيئة محي اسمك عن ديوان النبوّة
وقيل نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير
في جوّ السّماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات وقع في
الارض ولا يستطيع ان يدفع عن نفسه لعب الصبيان وقيل
تكلّم الصبيّ في المهد وهو ابن اخ العزيز او ابن عمّ زليخا فقال
ايّها الصّديق تزني وقيل مثلت له زليخا في صورة الخنزير قال
محمد بن كعب القرظي رأى على سقف البيت مكتوبًا ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلًا وقال جعفر الصادق البرهان

النبوة التى اودعها الله صدره هى التى حالت بينه وبين ما
سخط الله وقال مقاتل بن حيان سمع صوتا اياك ومواقعها فانك
ان واقعتها صرت كالطير الواحد فى الارض لغفار بلا ريش و
قيل نظر الى حائط فرأى قلما يكتب على الحائط بسم الله الرحمن الرحيم
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فحول وجهه الى الحائط الاخر
فرأى القلم يكتب بعد التسمية كل نفس بما كسبت رهينة فحول وجهه
الى الثالث فرأى ذلك القلم يكتب وان عليكم لحافظين فحول وجهه
الى الرابع فرأى يكتب بعد التسمية يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
فنكس رأسه فرآه يكتب على الارض انى معكما اسمع وارى فنظر الى
السقف فرأى صورة ابيه ينظر اليه عاضا على مسبحته مشيرا اليه
بالهرب فبادر الى الباب روى ان ابليس كان على سقف البيت ويصيح
باعلى صوته حتى اجتمع عنده اعوانه فقالوا ما لك قال اوقعت الصديق
بن الخليل فى معصية اذ جمعته مع زليخا ومعهما اسباب الشهوة كاملة
فقالوا كم من امل يقرب من الوقوع ولا يقع وقد نسى اللعين قول الله
تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وروى ان زليخا سترت
صنما كان عبدها فقال يوسف لم سترته قالت استحيى ان يرانى
على معصية فقال تستحيى ممن لا يسمع ولا يبصر فانا احق ان استحيى
من ربى البصير السميع الخبير كذلك الكاف فيه مفعول فعل محذوف
اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او خبر مبتدأ محذوف اى الامر مثل
ذلك لنصرف متعلق بالفعل المحذوف او بمحذوف آخر عنه اى عن
يوسف السوء السوء فى القرآن لمعان المراد هنا الفعل القبيح وهو
خيانة السيد او دواعى الزنا من المس والقبلة والمعانقة ونحو ذلك
والفحشاء الزنا انه يوسف من عبادنا المخلصين بفتح اللام اى الذين

اخلصهم

اخلصهم الله تعالى لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا
دينهم لله تعالى قيل العبودية فى اصطلاح الصوفية الوفاء بالعهود
وحفظ الحدود والرضاء بالموجود والصبر على المفقود وقيل هى معانقة
المأمورات ومفارقة المنهيات ومن الخصص ان يوسف لما استعاذ
بالله تعالى بقوله معاذ الله عصمه الله تعالى فمن استعاذ به فهو يعصمه
ومنها ان الانسان مجبول على الميل الى الشهوات والمعصوم من عصمه
الله تعالى ومنها ان من كان فى موضع خال على عزم ذنب ووقع مانع
يمنعه فهو كالبرهان من الله تعالى ومنها ان يوسف كان فى حيرة فاشير
اليه بان يهرب الى الباب فالله تعالى دليل المتحيرين كما قيل فى هذا المعنى
شعر قد تحيرت فيك خذ بيدى يا دليلا لمن تحير فيك ومنها ان
يوسف لما صبر ساعة يسيرة ظفر بالسعادة الابدية ومنها ان المؤمن
العاقل ينبغى ان يرى الله تعالى حاضرا ويجتنب عن المعصية ويخاف
مقام ربه يوم القيمة واذا اريد التفسير الانفسى يراد بهم يوسف
الاز ليخا مثل القلب الى النفس لعدم التمكين فى الاستقامة وبرؤية
برهان ربه ادراك التلوين بنور البصيرة ونظر العقل والهداية
فان كل ذلك يمنع القلب عن مخالطة النفس واستبقا الباب يعنى
ان يوسف لما رأى ما رأى من برهان ربه هرب الى الباب وزليخا
اسرعت ايضا اى تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل
معنى الابتداء اى تبادرا اليه وذلك ان يوسف فر منها ليخرج
ويتخلص واسرعت زليخا وراءه لتمنعه عن الخروج ولما هرب
تطاير فراش القفل فتبعته فادركته قبل ان يخرج فتعلقت به وتوحيد
الباب على تقدير كونه سبعة لكونه جنسا او لارادة الباب الخارج

قال ابو السعود واسناد القد اليها خاصة مع ان
لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير
للعلة التامة واما للايذان بمخالفتها في منعه عن
الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب
او لخوف الافتضاح واقول ان الوجه الاول

وقدت قميصه من دبر اما عطف على قوله استبقا او حال اى
اجتذبته من ورائه فانقد قميصه من دبر لانها كانت خلفه والقد
الشق طولا والقط الشق عرضا ومن الحصص ان المؤمن ينبغى ان يفر
من الذنب كما يفر من الاسد ومنها انه ينبغى ان يفهم من الذى يدل
عليه ويفهم منه ان يقرن بالجليس الصالح قطعه من عاشر الشرفاء
شرف قدره • من عاشر الشرفاء شرف قدره • ومعاشر السفهاء
غير مشرف • انظر الى الجلد الحقير مقبلا • بالثغر لما صار جلد المصحف
بشرف ومنها انهما في الاستباق سواء لكن في النية مخالف فعدوها
معصية وعدوه طاعة فالفعل واحد والمعنى مختلف من طرف النية
ومنها انه ينبغى للعاقل ان يرضى بالضرر المالى لقد القميص عند الفرار
عن الذنب لان الضرر الدينى اشد منه واذا اريد التفسير الانفسى
يراد بالاستباق الى الباب مبادرة القلب الى التوبة ومنع النفس اياه
عنها وقد قميصه من دبر اشارة الى خرقها لباس الصفة والنورية
التى له من قبل الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة بتاثيرها فى
القلب بصفاتها فانها صفة يكسبها القلب بالجهة التى تلى النفس
المسماة بالصدر وهو الدبر لا محالة وروى ان الابواب المغلقة و
المقفلة كانت تسقط اقفالها ومغاليقها حتى يقرب من الخروج
واد ركته زليخا عند الباب فاخذت بذيله وهو يجاذبها ليخرج
وهى تجره من خلفه برجع فانشق قميصه من دبر والفيا صادفا
ووجدا سيدها سيد زليخا وهو زوجها قطفير عزيز مصر
لدى الباب عند الباب جالسا او مقبلا ليدخل والسيد الزوج
بلفظ القبط وفى الحديث تفقهوا قبل ان تسودوا اى قبل ان تزوجوا
فتشتغلوا قالت فلما رآها سيدها مغتاظة قالت منزهة نفسها

والفيا

وايهاما

وايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغيره
اى ايقاعه فى الغيرة على يوسف واغراءه به انتقاما لعدم الطاعة
ماجزاء كلمة ما نافية اى ما عقاب من اما موصولة او نكرة
موصوفة ولم يصرح باسمه لقصد العموم وذلك ابلغ فيما قصدته
من تخويف يوسف اراد باهلك سوءا وتوهم انه قصد بها زنا
ولم تتعمد صريح الكذب اذ تكلمت بالتعريض ثم خافت عليه
اذ علمت فى زوجها الغيرة فقالت الا ان يسجن حبسا والا بمعنى
غير اى ما عقابه غير ان يحبس فى السجن ثم علمت انه لا يرضى
بهذا القدر من العقاب اذا وقع عنده انها صادقة فضمت
الى ذلك امرا آخر قد يصغر ويكبر احتيالا للتسكين فقالت
او عذاب اليم اى ان يضرب ضربا وجيعا وذلك ان الزوج قال
لهما ما شانكما قالت كنت نائمة فى الفراش عريانا فجاء هذا الغلام
العبرانى وكشف عن ثيابى وراودنى عن نفسى فدفعته عن نفسى
فانشق قميصه وقيل قالت ارسلت بينك لصا عاديا وقصد على
اهلك مع غلق على الباب وانا نائمة فلم اشعر الا وهو يريد ان يدخل
فراشى فقمت اليه من نومى لآخذه فبادرنى الى الباب فاراد ان يابق
منك من اجل ما فعل فلا تراه ابدا قال العزيز اخنتنى يا يوسف
فى اهلى وغدرتنى وغررتنى بما كنت ارى من صلاحك وما كنت
تظهر لى من امانتك وعفافك فلما سمع يوسف انها عرضته
للهلاك وظن العزيز فيه ظن السوء وعلم يوسف ان السكوت
يقضى الى وقوع الوهم انه وجد منه قصد الزنا وما ينبغى للمسلم
ان يرضى لحوق هذه السمة اياه فكيف الصديق بن الصديق
والنبى بن النبى قال دفعا عن نفسه الهلاك والضرر وتنزيها

لنفسه عن السوء واظهارا لبراءة نفسه وتأسيسا قواعد
دعوته اياهم الى التوحيد والشرايع هي راودتني عن نفسي اي
طالبتني بالمواقعة ولم يقل يوسف ذلك في اول الامر كراهة
لهتك سترها ولو لم تكذب عليه بالتعريض او التصريح لما قاله
وفي كتاب عصمة الانبياء انها لو كتمت ذلك لكان لا يفشي
سرها فلما احالت بالذنب عليه لم يجب ان يعرفه جانيا فيسوء
ظنه به حتى اذا عرف برائة على ان امرأته لم تباشر الفعل فينفر
طبعه عنها بل كانت منها المراودة لا المباشرة ووجه آخر انها لو
كتمت لكان يوسف يظهر تأديبا لها وطلبا من زوجها التعيير
عليها لتدوم صيانتها في بيتها ومن الحصص ان النساء كوامل
في المكر حيث اجابت زليخا على وجه يحصل البراءة لها ولا يلزم
منه قتل يوسف ومنها ان زليخا اشارت الى عقوبة يوسف في
صورة الانتقام على وجه قد يطبعها في المراودة فدفعت الامر
الماضي وتداركت الامر المستقبل ومنها ان زليخا كانت محبة له
فدلت على ان يسجن كما ان يهوذا كان محبا له فدل على الالقاء
في الجب فصار عاقبة الجب كون يوسف مكرما في دار العزيز و
صار عاقبة السجن كونه عزيز مصر فكذلك الله تعالى يعذب
عبده في الدنيا بالآلام ليتوب ويصل الى الفوز العظيم والنعم المقيم
ومنها انه ينبغي للمسلم ان يدفع التهمة والمضرة عن نفسه وان كان
يتضمن هتك ستر الغير ومنها انه ينبغي للمسلم ان يبين سوء الغير
اذا اراد اصلاحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا
الفاجر بما فيه والا فتعيير الغير بالمواجهة وغيبته في القفاء غير
جائز روي ان عوفا قال دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج

يعني

وفي التعبير عنها بغير الغيبة دون خطاب
او واسم الاشارة مرادة فيحسن الادب
مع الابعاد الى الاعراض عنها او السعود

51

يعني اغتبته فقال ابن سيرين ان الله تعالى حكم عدل فكما تاخذ من
الحجاج يأخذ الحجاج منك فانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب
اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج اراد بقوله كما
تاخذ من الحجاج يأخذ الحجاج منك انك كما اغتبته اليوم يأخذ الحجاج
من حسناتك يوم القيمة واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقوله
الفيا سيدها لدى الباب ظهور نور الروح عند اقبال القلب الى
باب التوبة بواسطة تذكر البرهان العقلي وورود الوارد القدسي
عليه واستيلاعه للنفس وهي تنازعه بالجذب الى جهتها وبقوله
ما جزاء من اراد باهلك سوء تلويح الى تسويل النفس اغراضها في
صورة المصالح وتزيينها بحيث يشتبه مفاسدها بالمصالح
العقلية التي يجب على القلب مراعاتها والقيام بها وموافقتها فيها
ومخالفته لياها فيها ارادة السوء بها ومقابحها بالمحاسن التي
تتعلق بالمعاش كما كره النساء بالرجال وميل القلب الى الجهة العلوية
يكذب قولها ودعواها وروي ان يوسف لما قال هي راودتني عن
نفسي وجذبتني حين وليت هاربا لم يصدقه وشهد شاهد من
اهلها من اقارب زليخا قيل ابن عمها يقال له يمليخا وكان رجلا
حكيما فقال قد سمعنا الاشتداد والحيلة من وراء الباب فلا ندري
ايكما قدم صاحبه وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى
الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقيل هو اخوها وكاتب
زوجها وامينه وكان عدلا امينا وانما القى الله تعالى الشهادة على
لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف
عم وانفى للتهمة عنه كذا في الكبير منها ان يوسف عم اراد ان يتخذ

جريج اسم راهب من بني اسرائيل افترت عليه بغية
بولدها من الراعي وتكلم الولد ببراءة جريج وقصته
معروفة منه

فانها لما آمنت عذبها فرعون فلم ترجع عن الدين
فقصد ذبح ابنها فقال يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى
قد بنى لك بيتا في الجنة منه

مطلب تكلم اربعة صغارا

ماشطة فرعون من قبيل الاضافة لادنى ملابسة لانها
الماشطة كانت لابنة فرعون لا لنفسه روي
ان تلك الماشطة لما آمنت بموسى عم اخبرت الابنة
اباها بايمان الماشطة فامر فرعون بالقائها مع جميع
اولادها في النار فاخذوا يلقون اولادها بعد
واحد في النار بين يديها ومرآها فلما بلغت النوبة
الى آخر اولادها وكان صغيرا يرضع امه بعد قال
لامه يا اماه اصبري على ما اصابك من البلاء فانك
على الحق وان الله تعالى عنده اجر عظيم وقصة صاحب
جريج كان رجلا عابدا وكان له صومعة يتعبد فيها
وكانت في زمانه امرأة حسناء بغية قالت
لافتننه فعرضت له نفسها مرارا فلم يلتفت
اليها فمكنت من راعي غنم كان يأوي بغنمه الى صومعة
فولدت غلاما وقالت انه من جريج فضربوه وهدموا
صومعته فصلى جريج ركعتين ودعى ربه ان يظهر
حقيقة الحال ثم انصرف الى الغلام وطعنه
باصبعه وقال بالله يا غلام من ابوك
قال ابي الراعي ابن الحج

وزيراً بعد ما صار عزيزاً فجاء جبرئيل وقال ان الله يأمركم ان يتخذ
فلاناً وزيراً فنظر يوسف فكان حقيراً فسأل جبرئيل عن السبب
فقال ان له عليك حقاً لانه هو الذى شهد بقوله ان كان قميصه الآية
والحصة منه انه ينبغى للعاقل مراعاة الحقوق السابقة والاحسان
الى صاحبها وان من شهد لمخلوق وجد وزارته فى الدنيا فمن شهد
لله تعالى بالتوحيد الا يجد مغفرته فى العقبى وقيل كان رجلاً من
خواص الملك وقيل كان رجلاً له رأى فقال برأيه ومن الحصص
ان الشاهد لم يهتك الستر ولم يصرح براودتها لانه تعالى ستار العيوب
يحب الستر فتخلق بخلق الله تعالى والستر افضل لقوله عليه السلام من
ستر على الله عليه فى الدنيا والاخرة وقوله عليه السلام للذى شهد
عنده لو سترته بثوبك لكان خيراً لك منها انه لا بد للشاهد فى
الامر الذى فيه هتك الستر ان يشهد على وجه يثبت به الحق ولا يلزم
الضرر الفاحش ولذا قيل يجب ان يشهد بالمال فى السرقة ويقول
اخذ احياءً لحق المسروق منه ولا يقول سرق محافظةً على الستر و
صيانة من القطع ومنها ان المرء اذا فر من مكر نفسه يفتح الله
تعالى له الابواب المقفلة من الدنيا والشهوات والهوى والوساوس
النفسانية والشيطانية الانسية والجنية وغيرها ويشهد الشاهد
وهو اعراضه عن الذنب فكانه قد من دبر واذا اريد التفسير
الانفسى يراد بالشاهد من اهلها الفكر الذى يعلم ان الفساد
الواقع من جهة الاعمال والاخلاق لا يكون الا من قبل النفس و
استيلائها اذ لو كان من جهة القلب وميله الى النفس لوقع فى
الاعتقاد والعزيمة لا فى مجرد العمل والطبيعة الجسمانية التى تدل
على ان الميل الى السفل فى النفس الجاذبة للقلب من جهة الصدر

المباشرة

52

المباشرة للفواحش اعلم ان الشاهد اما الصبى الذى كان تكلم
فى البيت او الرجل الحكيم وذو الرأى قال ان كان قميصه قميص يوسف
قد من قبل فصدقت زليخا وهو يوسف من الكاذبين وذلك
لان الرجل لا يأتيها الا مقبلاً فيدل على انه كان مقبلاً عليها وهو
يريدها وهى دفعت فقدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او اسرع ليدركها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من
دبر فكذبت زليخا فى قولها وهو من الصادقين على العكس لانه
يدل على انه كان هارباً منها وهى تبعته وتعلقت بقميصه لتلحقه
فاجتذبت قميصه فقدته فلما رأى اى زوجها او الشاهد قميصه
قد من دبر قال الزوج او الشاهد انه اى قولك ما جزاء من اراد
باهلك سوءاً او هذا الامر او قد القميص من كيدكن ضعيفكن ومكركن
والخطاب لزليخا وامثالها او لمعاشر النساء ان كيدكن على الرجال
اذا عملوا بخلاف مرادكن عظيم يصل الى البرى والسقيم والطالح والصالح
وقيل نافذ غالباً للتموية وكفت قصة آدم وحوا فى هذا الباب فان
ابليس لم يقدر على اضلال آدم الا بواسطة حوا وفى الآية دلالة على
القضاء بشهادة الحال جائز عند عدم الوصول الى دليل الحقيقة
وعليه كثير من مسائل اصحابنا فى مسائل التحرى وقبول قول الناس
وقول من يشهد له الظاهر اذا اختلفا فى متاع البيت ونحو ذلك
فان قيل ان الله تعالى سمى فى سورة النساء كيد الشيطان ضعيفاً
وسمى كيد النساء عظيماً فما وجهه اجيب لان كيد النساء الطف
واعلق بالقلب واشد تأثيراً فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال
والشيطان يوسوس به مسارقة وذاك وحده وهذا مع كيد الشيطان
وذاك يفر بالاستعاذة وهذه لا تفر وذاك مع الله وهذه معك

فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيراً فى النفس
ابو السعود

وفی الخبر ان النساء حبائل الشیطان وانهن یتکلمن الکذب کالصدق
روی انه کان لرجل جندی شجیع امراءة فاجرة اتخذت خلیلاً
ومحبوبًا فظنت المراءة ذات لیلة ان زوجها یبیت فی موضع آخر
ولا یأتی الی البیت فارسلت الی خلیلها واحضرته واکلا وشربا وباتا
والشمع موقد وجاء الزوج بعد مضی قطعة من اللیل علی غفلة وفتح
الباب بحیلة ودخل البیت وقعد علی الکرسی وقال للمراءة من عندك
فی الفراش فقالت خلیلی کانها تلاطفت زوجها وقال الزوج لوکان
من عندك فی الفراش خلیلك لقتلکما فقالت انی اقدر علی التخلیص
منك قال کیف قالت هکذا ورفعت اللحاف والقته علی الشمع فانطفی
وغمزت الخلیل مشیرة الی الهرب فهرب وخرج من البیت ثم قامت
المراءة واوقدت الشمع فقالت لزوجها انك مجنون لوکان من عندی
فی الفراش خدنی کیف اخبرتك بانه خدنی انه کان بنت الجار و
ظننت انك لا تجیء اللیلة الی البیت فدعوتها لتکون رفیقی فاطفئت
الشمع حتی تذهب فی الظلمة مستترة ومن الخصص ان الله تعالی
اذا جعل قمیص یوسف علامة باعتبار احد جانبیه کذلك جعل
الکتاب باعتبار احد الجانبین علامة للسعادة والشقاوة
کما قال فاما من اوتی کتابه بیمینه الی قوله واما من اوتی کتابه
بشماله فیقول یالیتنی لم اوت کتابیه وکذا جعل الوجه یوم
القیمة علامة علی الوجهین کما قال یوم تبیض وجوه وتسود
وجوه ومنها ان زلیخا استحیت عند اهل بیتها فینبغی للمؤمن
ان یتذکر فضیحة یوم القیمة وروی ان واحدا من الصلحاء کان
یعتزل عن الناس قیل له فی ذلك قال حتی یقل معارفی من الناس
ولا استحیی منهم یوم القیمة وروی ان واحدًا من الصلحاء یقول

لقتلتك

خدن بالکسر دوست ویولداش
[illegible] ابو السعود

فی مناجاته یارب لا ترسلك بی الی اهل النار اهون علی من
ان اعاتب بین الخلائق ومنها ان جانب قمیص ایمان المؤمن
الذی هو اعتقاده صحیح وجانبه الاخر الذی هو عمله مشقوق
فالاول یدل علی صدقه کما دل علی صدق یوسف ومنها ان اخوة
یوسف لما جاؤا علی قمیصه بدم کذب صار صحة قمیصه شاهدًا
لخیانته وهنا کونه مشقوقا صار شاهدًا لصدقه فالله تعالی
یقدر علی ان یجعل ای شیء یرید شاهدا علی اعمال الانسان یوم
القیمة کما قال تعالی الیوم نختم علی افواههم وتکلمنا ایدیهم و
تشهد ارجلهم بما کانوا یکسبون ومنها ان کید زلیخا کان
عظیمًا ولکن الله تعالی عصم یوسف اذ عصمة الله تعالی اعظم
من کیدها فلم یضره وکذا زلزلة الساعة شیء عظیم وفی
النار عذاب عظیم ولکن من حفظه الله لا خوف علیه ومنها
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم هزم العسکر بکف من التراب
ولم یحتج الی ظهیر من المخلوق وفی الغلبة علی النساء احتاج الی
ظهیر کما قال الله تعالی وان تظاهرا علیه فان الله هو مولاه و
جبریل وصالح المؤمنین والملئکة بعد ذلك ظهیر ومنها انه
ینبغی للعاقل ان یطلب العون من الله تعالی ویخاف من کیده
والویل لمن مهله الله تعالی وهو غافل عن کیده کما قال واملی لهم
ان کیدی متین ومنها ان زلیخا مکرت وکذبت والعزیز لم
یعاقبها بذنبها لانه کان رجلا عاقلا حلیمًا وفی الخبر انهن
یغلبن العاقل ویغلبن الجاهل روی ان رجلا جاء الی عمر رضی الله
عنه یشکو زوجته فلما بلغ بابه سمع امرأته ام کلثوم تطاولت
علیه فقال الرجل انی اردت ان اشکو الیه من زوجته وله من

البلوى مثل ما بي فرجع فدعاه عمر فسأله فقال انى اردت ان
اشكو اليك من زوجتى فلما سمعت من زوجتك ما سمعت رجعت
فقالت عمر انى اتجاوز لحقوق لها على اولها انها ستر بيتى وبين النار
والثانى انها خازنة لى والثالث انها قصارة لى والرابع انها ظئر لولدى
والخامس انها خبازة وطباخة لى فقال الرجل ان لى مثل مالك فاتجاوز
عنها واذا اريد التفسير الانفسى يراد برؤية الزوج ان القميص
قد من دبر وقوله انه من كيدكن اطلاع الزوج بنور الهداية على
ان الخليل وقع فى العمل لا فى العقد والعزيمة وذلك لا يكون الا من
قبل الداعية النفسانية والجاذبة الشهوانية من النفس اعلم
انه لما عاتب العزيز زليخا اقبل الى يوسف فقال يوسف حذف
منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا عن هذا
القول اى هى راودتنى عن نفسى يعنى اكتمه ولا تذكره لاحد وكن
سترا لها وهو المستحب المندوب اليه ان لا يفشى سر اهل
بيته خصوصا حرمه ومما ليكه او المعنى يا يوسف اعرض عن
هذا التصريح فان زليخا ذكرت بطريق التعريض وانى لا احب
افشاء الستر واشاعة الفاحشة خصوصا فى اهل بيتى وبعبارة
اخرى اى لا تبال به وطب نفسا فقد ظهرت لى براءتك ثم اقبل
الى زليخا فقال واستغفرى يا زليخا لذنبك يعنى توبى عن ذنبك
وصنيعتك وهى وان كانت مشركة فهم يقرون بان الله تعالى
خالقهم وانهم يعبدون الاصنام ليقربوهم الى الله زلفى فيعتقدون
استغفار الله من الذنوب وقيل المراد من الاستغفار الاعتذار
اى اعتذرى الى يوسف لافترائك وقيل القائل لها الشاهد فالمعنى
اعتذرى من زوجك وسيلة ان يستر انك كنت من الخاطئين

من القوم

من القوم المذنبين المتعمدين الذنب او الخاطئين فى حق الزوج و
وجه جمع التذكير موضع الخاطئات التغليب وقال الامام القشيرى
قدس سره ليس كل احد اهلا للبلاء ان البلاء لارباب الولاء
والوفاء فاما الاجانب فيتجاوز عنهم ويخلى سبيلهم لا لكرامة
محلهم ولكن لحقارة قدرهم هذا يوسف عليه السلام كان برئ
الساحة وظهر للكل طهارة جانبه فابتلى مع هذا بالسجن واما
امرأة العزيز فقد ظهر للعزيز سوء فعلها حيث قال انه من كيدكن
واقتصر فى حقها ان تستغفر من ذنبها ولم ينزل بها شئ من البلاء
يفعل الله ما يشاء انتهى وفى البلاء ثواب عظيم يهدى به الاولياء
روى عن جعفر بن سليمان قال حدثنى الفضيل بن عياض
عن ابنة له توجعت كفها فعادها الفضيل فقال لها يا بنتى كيف
كفك هذه قالت يا ابت ان الله تعالى قد بسط لى من ثوابها مالا
يأتى لى شكره ابدا قال تعجبت من حسن يقينها ومن المحصص
ان العزيز تكلم يوسف كانه يعتذر اليه لزليخا لان لها حق الصحبة
معه فالله تعالى يرضى خصم عبده يوم القيمة عن ابى هريرة رضى
قال اتينا انس بن مالك بالطائف فقال ما جاء بكم قلنا بلغنا
مرضك فاتينا ان نعودك فقال بخ بخ ربحتم اما احدثكم بحديث
سمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهانى ان احدث
به كل احد سمعته يقول اذا كان يوم القيمة خرج مناد تحت
العرش فنادى يا اهل التوحيد ان الله تعالى قد عفى عنكم فليعف
بعضكم عن بعض وعلى الله ثوابكم ومنها ان الله تعالى يحب ستر
العيوب وعفو الذنوب روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأى ليلة المعراج فى الجنة قصرا اغلق ابوابه والملئكة عنده

محزونون فلما رجع رآه قد فتح ابوابه والملئكة مسرورون ~
فقال ما شانكم قالوا يا رسول الله هذا القصر لاحد من امتك
اذنب ذنبا فامر الله تعالى ان تغلق ابوابه وهو عمل الحين عملا
خيرا فامرنا الله تعالى ان نفتح ابوابه ففتحنا قال عليه السلام اخبروني
ما ذنبه وما طاعته قالوا يا رسول الله ان الله تعالى لا يخبرنا
ذنب امتك ولكن يخبرنا ثوابهم فانه كان في الفراش نائما فا~
فاستيقظ وقد توجع احد جانبيه فانقلب الى جانبه الآخر وقال
عند الانقلاب لا اله الا الله فانظر الى فضل الله تعالى كيف يخفي
ذنوب عباده ويعفو عنهم ومنها ان البلاء والصبر عليه سبب
التقرب فيوسف نال ما نال بالبلاء والصبر وان الله تعالى
امر نبينا عليه السلام بالصبر حيث قال فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل فلا بد للسالك من تحمل البلاء والصبر عليه
ومنها ان الله تعالى اذا حكى شيئا لا بطريق الرد يدل على
المشروعية والرضاء فالله تعالى لا يريد ان يفشي اوليائه عيب
اعدائه فانظر كيف يكون فضله على اوليائه روي ان يحيى بن
معاذ سمع قاريا يقراء فقولا له قولا لينا فبكى فقال الهي هذا
لطفك لمن قال انا ربكم الاعلى وكيف لطفك بمن يقول لا اله
الا الله ومنها انه ينبغي للمرشد ان يامر العاصي بالتوبة فانها
اول منزل من المنازل للسالكين واول مقام من مقامات ~
الطالبين ومنها انه ينبغي للمريد ان يستغفر الله تعالى من خطيئة
فانه كلما تاب العبد تاب الله عليه روي ان بعض المريدين تاب
ثم وقعت له فترة فتفكر وقتا لو عاد الى التوبة كيف حكمه ~
فهتف به هاتف يا فلان اطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فامهلناك

فان عدت

فان عدت الينا قبلناك واريد التفسير الانفسي يراد بامر ~
العزيز يوسف بالاعراض وزليخا بالاستغفار واشراق نور
الروح على القلب وانجذابه الى جنابه للنازل النوري والخاطر
الروحي الذي يصرفه عن جهة النفس ويامره بالاعراض عن
عملها ويذكر لئلا يحدث الميل مرة اخرى وتاثير ذلك الوارد
والخاطر في النفس بالتنوير والتصفية فان تنورها بنور الروح
المنعكس اليها من القلب اعلم ان العشق كالمسك يظهر نفسه
ولذا فشا الخبر في المصر وحدثت النساء فيما بينهن كما قال الله تعالى
وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وضم النون لغة فيه في المدينة
ظرف لقال اي جعلن الحكاية شايعة في مصر وكانت زليخا ~
اخبرتهن بسرها فاشتهر بيت جو سري كذشت ازميان دو تن
• پراكنده شد بر سر انجمن • وفي هذا المعنى ما قيل كل سر جاوز
الاثنين شاع او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي
والخباز والسجان وصاحب الدواب وقيل اربعين او جماعة
كثيرة من النساء اجتمعن في موضع وقلن فيما بينهن امراة العزيز
المضاف مبتدأ تراود فتاها عن نفسه الجملة خبره اي تطلب
مواقعة غلامها اياها وتدعوه الى نفسها لتنال شهوتها منه
والمراد بامراة العزيز زوجة خازن الملك وكان يسمى عزيزا
لتلقيب الملك اياه به او على انه عزيز عند ملك مكرم لديه ~
والمراد بالفتى عبد زوجها والعبد يسمى فتى والامة فتاة قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن
ليقل فتاي وفتاتي واضفن من اعتقدته عبد زوجها اليها
لطاعته لها وتصرفه فيما يصلح لها من اسباب المنزل وعلى هذا

وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل هن اربع
وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة مصر
وقيل هي مدينة عين الشمس تحدثن بذلك فيما
بينهن وهي امراة صاحب الملك وامراة صاحب
ديوان وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة
صاحب سجن وقيل نسوة من اشراف مصر امراة
العزيز يعني زليخا نفسير وان
المراد بالمدينة مصر وقيل مدينة عين الشمس معالم

واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان
يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في
اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي
الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز
بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن ابو السعود
ايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام
المراودة ابو السعود

عرف الناس في اضافة ممالیك احد الزوجين الى الاخر وقد يضاف
الى جميع اهل البيت فيقال اهل البيت فيقال عبدهم قال عمر رضى
الله عنه في عبد سرق مرآة زوجة مولاه ولم يقطعه عبدك
سرق متاعكم قد شغفها بالغين المعجمة خبر ثانٍ او استينا ف
او حال اى اصاب شغافها كما يقال كبده ورأسه وبطنه وظهره
اى اصاب هذه الاعضاء او شق شغاف قلبها وغلافه وهو
حجابه وجلده عليه اى دخلها الحب حتى وصل الى فؤادها والمعنى
دخل الحب تحت الشغافة واصاب القلب وقال الحسن وهو
باطن القلب ويقال وسطه وقال الجوهرى الشغافة بالفتح غلاف
القلب وهو جلدة دونه كالحجاب ولذا قال الامام الرازى خرق
حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب
ويقال له لسان القلب حباً نصب على التمييز وهو تمييز منقول
عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه صرف عنه الفعل واسند
الى الضمير المبهم ثم فسر ذلك الضمير بالتمييز لكون التفصيل بعد
الاجمال اوقع فى النفس والذا انا لنراها فى مراودة عبدها فى
ضلالٍ مبين فى خطاء بين من الرأى وعدول عن العقل اذ
صارت فى جلالتها وعلوها لها مع وجود زوجها عزيز مصر
تراود عبد زوجها بارتكاب الفاحشة او عشق بينٍ لا تعقل
غيره لان لها قلبا واحد شعره ولو كان لى قلبان عشقت بواحدٍ
وافردت قلباً فى هواك يعذب قيل اردن بهذا الكلام التوصل
الى النظر الى يوسف اعلم ان العشق فى نفسه محمود لانه يشجع
الجبان ويسخى البخيل ويصفى ذهن الغبى وقيل اول من عشق
هو الله تعالى عشق نفسه حيث لا سواه تجلى لنفسه بنفسه

اى اصاب حبه شغاف قلبها وهو غلاف ع
اى دخل حب الفتى شغاف قلبها بحيث لا تكاد
تصبر عنه س

اى يحتمل كونها ضلالا على احد م

على

56

على جماله وجلاله وجميع صفاته فعشق نفسه وقال فى الحديث
الذى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم كنت كنزاً مخفياً فاحببت
ان اعرف وقال فى كلامه يحبهم ويحبونه وكما ورد فى الخبر من عشق
وعف وكتم فمات مات شهيداً او ورد تعشقوا ولو بهرة قال
قائل بيت عشق بازى ذو الفقار عليست عشق مقصود هر بنى
ووليست قال يحيى بن معاذ لو جعلنى الله على خزائن جهنم ما ادخلت
العاشق فيها لانه فى حرقة العشق حال حياته فلا اجمع بين العذابين
واذا كان العشق متعلقاً بالحرام فهو مذموم جداً روى ان شابا
امرد جاء الى الزاهد المشهور ببشر الحافى فقال له انى اريد ان اصحبك
واصير صالحا قال انك تفسد الصالحين حتى تصير صالحا ومن
الحصص ان ارتكاب الفاحشة قبيح اذا النسوة مع غلبة شهوتهن
اسندن العيب الى زليخا فى مراودة فتاها قال ابو سليمان الدارانى
المتقون هم الذين نزعوا من قلوبهم حب الشهوات وزينوا
باطنهم للحق كما زينوا ظاهرهم للخلق ولا يختاون على الله سوى الله
ومنها ان حب غير الله تعالى بحيث يشتغل به قلبه بكليته عيب
عظيم وسد شديد يمنع نزول الحكمة قال يحيى بن معاذ الحكمة تهوى
من السماء فتسكن فى القلوب ولا تسكن فى قلب فيه اربع خصال
قلب يميل الى الدنيا وقلب فيه غل وقلب فيه حسد وقلب يميل
الى الشرف والكبر ومنها ان تلك النساء اسندن العيب الى زليخا
ثم لما راينه اكبرنه وصرن مثلها فمن يعظ الناس ولا يعمل بموجب
وعظه يستحق الشين واللوم قال رجل لابن عباس رضى الله عنه
انى اريد ان اعظ الناس قال اذا لم تفضحك الآيتان من القرآن
فافعل والا فابداء بنفسك احدهما قوله تعالى اتامرون الناس

بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون والاخرى
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون واذا اريد التفسير الانفسى يراد
بالنسوة فى المدينة القوى فى البدن فان يوسف القلب اذا
اتصل بالروح واستشرف من نوره وتنورت زليخا النفس
بشعاع نوره وتصفت عن كدورتها وكثافتها عشقته للاستنارة
والتقرب اليه وارادة الوصول الى مقامه لقضاء وطرها عنه
باستخدامها اياه فى تحصيل اللذات الطبيعية كما كانت عند كونها
امارة فيتأثر قواه حتى القوى الطبيعية وذلك معنى قول نسوة
المدينة امراءة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا
فَلَمَّا سَمِعَتْ وسمع تستعمل على اربعة معان بمعنى قبل نحو سمع الله
لمن حمده وبمعنى اطاع نحو قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وبمعناه
المعروف وبمعنى علم كما فيما نحن فيه اى علمت امراءة العزيز و
يحتمل ان يكون بمعناه المعروف بالتقدير من لفظ الخبر وغيره
بِمَكْرِهِنَّ باغتيابهن وانما سماه الله مكرا لانهن اخفونه كما
يخفى الماكر مكره ولان قولهن لم يكن على وجه النصيحة والنهى
عن المنكر بل كان على وجه الشماتة والتعيير او قلن لترينهن
يوسف حتى ينظرن اليه لانهن عرفن انهن اذا قلن ذلك
عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن او لانها اخبرت
بحبها اليهن وطلبت منهن كتمان سرها فافشينه فارادت
ايقاعهن فيما كانت فيه وقيل فى هذا المعنى شعر العين ترى
وما الى القميص سبيل والقلب بطبعه الى الحسن يميل من كان له
الكمال لا ينكرنى ان ملت الى الجمال فالله جميل ولما غلب عليها

حبه

حبه لم تبال بذهاب ماء الوجه وملامة الخلق فالحصة منه
انه اذا كان حب مخلوق غلب على مخلوق حتى حيرها لم تبال
بذهاب ماء الوجه وملامة الخلق فاولى بالمحب الصادق العارف
ان لا يبالى بذهاب ماء وجهه وملامة الناس فى حب مولاه
الجليل الجميل جعلنا الله تعالى من المحبين الصادقين الواصلين
الى جنابه الاقدس أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ تدعوهن الى دارها للطعام كالمرأة
تضيف حوايجها وقيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات
وَأَعْتَدَتْ هيئات لَهُنَّ مُتَّكَأً ما يتكئن عليه من الوسائد
اكراما لهن ومكرا بهن لعلمها انهن اذا راينه دهشن وافتتن به
روى ان الجارية قالت هن وقعن فيك ومزقن عرضك وانت
تكرمهن قالت نعم لا اعذبهن بالضرب بل اعذبهن برؤية يوسف
اعرضه عليهن ثم احجبه عنهن حتى يعذبن من حسرته وذلك انها
اتخذت ضيافة ودعت النسوة ووضعت الوسائد لجلوسهن وقيل
متكأ اى طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
تكبرا ولذلك نهى عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال اما انا فلا
آكل متكأ وفى رواية انا عبد اجلس كالعبد وآكل كالعبد وقال
عكرمة المتكأ كل طعام يقطع بالسكين كان القاطع يتكئ عليه
بالسكين وقراء مجاهد متكا بسكون التاء بغير همز والمتك الاترج
وقيل الزماورد وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا
وَآتَتْ اعطت كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ اى النسوة بعد الجلوس على المتكأ
سِكِّينًا حتى اذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن انفسهن فتقع
ايديهن على ايديهن لان المتكئ اذا بهت بشئ وقعت يده على يده
فيقطعها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج و

وخرج وحده على اربعين نسوة فى ايديهن السكاكين او حتى يستعملها
فيما يحتاج الى قطعه بما قدم اليهن من الطعام والفواكه وهكذا
فعل الاعاجم يوضع عند كل من على المائدة سكين يقطع به اللحم وغيره
وامرت يوسف بان يلبس احسن الثياب وزينته باحسن الزينة
ثم امرتهن بالاكل فشرعن يأكلن ويقطعن الطعام بالسكاكين
جزءا **وَقَالَتْ** زليخا ليوسف **اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ** اى النسوة فخرج عليهن
ولم يشعر بهن او كيلا يدخل عليه **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ** اى فخرج
فلما راينه اعظمنه وبهتهن حسنه الفايق وتحيرن وبقين مد
مدهوشات طائرة عقولهن لاشتغالهن بيوسف قال وهب
كن اربعين امراءة وبلغنى ان سبعا منهن متن وجدا بيوسف وحبا
وعن النبى صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار فى الازقة روى تلالؤ
وجهه على الجدر وروى عن ابن مسعود قال اوتى يوسف وابنه
ثلث حسن الناس فى الوجه والبياض وغير ذلك وانه اذا اكل
البقل والشئ الاخضر من الفاكهة يرى حين يرده فى حلقه
وكانت المراءة اذا اتت يوسف تغطى وجهه مخافة ان تفتتن به
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ولم
يشعرن بذلك اذ لما خرج عليهن بهتن من روعة جماله ما قطعن
بالسكين الا ايديهن فما احسسن الا بالدم ولا يجدن من
حر اكيد الما شغل خاطرهن بيوسف **وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ** تنزيها له
من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله او تنزيها له
ان يجرى على يوسف ما نقل عنه او معاذ الله ان نقول هذا بشر
واصله حاشا كما قراءه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة

تخفيفا

تخفيفا وهو حرف من الحروف الجارة يفيد معنى التبرئة والتنزيه
فى باب الاستثناء فنقل الى معنى المصدر اى التنزيه واللام
للبيان وقيل حاش فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف اى صار فى ناحية لله تعالى مما يتوهم فيه **مَا هَٰذَا بَشَرًا**
ما هذا آدميا لان هذا الجمال غير معهود للبشر **إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ**
كَرِيمٌ مكرم على الله تعالى لما شاهدنه من عفته مع حسنه
قلن ان هذا الا ملك كريم بعد قولهن ما هذا بشرا لان الجمع بين
الجمال الرايق والكمال الفايق والعصمة البالغة من خواص الملئكة
او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك ولانه
لو كان بشرا لكانت له شهوة فينظر الينا بنظرها والملك لا شهوة
فيه قيل انهن لم يرين الملئكة فكيف شبهنه شئ لم يرينه بل قلن
ما هو الا ملك مع علمهن انه البشر واجيب ان المعروف عند الناس
انهم اذا وصفوا الانسان بالحسن يقولون هذا يشبه الملك
ويشبه الجن كما انهم اذا وصفوا امرا بالقبح يقولون هو كالشيطان
وما ذكرنه بطريق الحصر للمبالغة وقرئ ملك بكسر اللام واحد
الملوك اى ليس بمملوك بل هو من الملوك **شعر** غايت صفات القاطعات
اكفها • فى شاهد هو فى البرية ابدع • فقبين من اوصافهن فلم
يكن • من نعتهن تلذذ وتوجع • ومن الحصر ان النسوة
لما رأينه تحيرن فكيف يكون حال العاشق وحيرته فى رؤية الله
تعالى وقوله سلام عليكم يا اهل الجنة **ومنها** ان النسوة كن
يضحكن من زليخا وصار الامر هنا على العكس كذا حال المؤمن
والكافر والفقر والغنى فى الدنيا والاخرة قال الله تعالى فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون وقال تعالى لا يسخر قوم من قوم

ولابدّ للعاقل ان يبكي اوّلا ليضحك ثانيا قال محمد بن واسع اذا
رايت رجلا في الجنة يبكي الست تتعجب قيل بلى قال فالذي يضحك
في الدنيا وهو لا يدري الى ما يصير هو اعجب ومنها ان النسوة
لما رائن جمال يوسف مما احسسن لذة بنعم زليخا ولا الم قطع
اليه فكذا حال المحب عند مشاهدة جمال الله تعالى لا يذكر نعيم
الجنة ولا عذاب النار ومنها ان في مشاهدة يوسف قطع اليد
وفي مشاهدة رسولنا صلى الله عليه وسلم قطع الزنّار وقطع
القلوب عن سواه شعر لوامي زليخا لو رائين جبينا • لآثرن في قطع
القلوب على الايد • ومنها انه لامت النسوة امراءة العزيز بمراودة
يوسف وهي معه سبع سنين وهنّ لما نظرن اليه راودنه وكذا
كثير من الناس يطعن بعض الناس بقليل من الشوة وهم اذا
وقعوا فيها يصيرون اشدّ منهم حرصا عليها فلا ينبغي للمؤمن
الاغترار قال حاتم الاصم لا تغترّوا بموضع صالح مبارك فانه
لا مكان اصلح من الجنة وقد لقي آدم فيها ما لقي ولا تغترّوا بكثرة
العبادة فانّ ابليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا تغترّوا بكثرة
العلم فان بلعم بن باعور كان يعلم الاسم الاعظم فلقي ما لقي و
ولا تغترّوا بالصالحين فليس احدٌ اجلّ من رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم فلم ينتفع به بعض اقاربه ومنها انّ النسوة لما رأين
يوسف عم لم يدركن الالم فكذا المؤمن وقت النزع يرى الملك
ولا يحسّ الم النزع روى ان عبد الله بن المبارك فتح عينيه
عند الوفاة وضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فلابدّ
للعاقل ان يعمل عملا يسهل عليه الموت ومنها انّ زليخا لو ادّبت
النسوة بما قلن امراءة العزيز تراود فتاها لقلن ظلمتنا فلما قالت

روي انه تفكر بعض العارفين في انه هل في القرآن يشبه
يعني قوله صلى الله عليه وسلم يخرج روح المؤمن من جسده
كما يخرج الشعر من العجين فختم القرآن بالتدبر فما وجده
فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال يا رسول الله
صلى الله عليه قال الله تعالى ولا رطب ولا يابس الا
في كتاب مبين فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله
فقال صلى الله عليه وسلم اطلب في سورة يوسف
فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى فلما
رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن اي لما رأين جمال
يوسف عليه السلام اشتغلن به وما وجدن
ألم القطع وكذلك المؤمن اذا رأى ملائكة الرحمة
ورأى مقامه في الجنة وما فيها من النعيم والحور
والقصور يشتغل قلبه بها ولا يجد الم الموت
كذا في شرح الشرعة

ليوسف عم اخرج عليهنّ فرأينه وقلن ما قلن وفعلن ما
فعلن من فرط الدهشة ظهر عذرها عندهنّ فكذا الله تعالى
خلق الارواح فقال في حق طائفة هؤلاء في الجنة وفي حق طائفة
هؤلاء في النار ولم يعمل بعلمه الازلي بل اعطى بيد كل واحد من
الناس سكين القدرة حتى يظهر الظالم لنفسه كما قال الله تع
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون روى انّ رجلا من
اهل البصرة كان في سفينة ومعه جارية تضرب بالعود وكان
في السفينة فقير صالح فاخرجوا الخمر وشربوا وضربت الجارية
بالعود وانشدت فطرب مولاها والتفت الى الفقير وقال له
تحسنُ مثل هذا قال احسنُ ما هو احسنَ منه وكان الفقير
حسن الصوت فقراء قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا وقراء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيّدة فقال الرجل اشهد انّ هذا احسن فهل غير هذا
فقراء انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فوقعت في قلبه
ورمى الخمر وكسر العود ثم قال يا اخي هل هنا فرج قال نعم فقراء
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فتاب
الرجل • واذا اريد التفسير الانفسي يراد انّ القلب اذا استولى
على النفس بهيئته النورية وحسنه الذاتي الفطري والوصفي
الكسبي واعرضت النفس عن الغير لاشتغالها به لانها القوى
البدنية وانكرت اشتغالها به وتوجهها اليه فالنفس
تدعوها اليه واعطت يد كلّ منها سكين التدبير والتصرف
وقوله اخرج عليهنّ اقتضاؤها طلوعه عليها • صفاه استنار
جميع القوى البدنية بنوره فشغلت عن افعالها وتحيرت

ووقفت عن تصرفاتها فى الفناء وذهلت عن سكاكين تدبيرها
امر التلذذ وبقيت مبهوتة فى متكأتها التى هى محالها من اعضاء
البدن وقطعن العلائق الدنيوية وتعجبن من حسن القلب وكونه
محل الفيض والالهام وهو كالملك وقلن ماهذا بشرا ان هذا
الاملك كريم اعلم ان امراءة العزيز لما رأت انهن افتتن بيوسف
وجدت موضعا للعذر قالت زليخا للنسوة موبخة لهن فذلكن
هذا خبر مبتدإ محذوف اى هو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتنني
فيه فى الافتتان به وقلتن ما قلتن قبل ان تتصورنه ولو صورتنه
بما عاينتن لعذرتنني وقيل فذلك مبتداء والموصول مع صلته خبره
اى فهذا هو الذى لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة
المشار اليه وتعظيما له فلما قالت زليخا هذا الكلام قلن انت
معذورة من نحوم فان قيل ان النسوة لم قطعن ايديهن برؤيته
دون زليخا قلنا لحصول انسها به فكذا حال المطيع والعاصى فى
رؤية الجمال والجلال يوم القيمة قال الله تعالى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واجاب بعضهم بان زليخا بعد ما
احبت يوسف ما اخذت بيدها السكين وقالت لا يليق
بالاحباب ان يأخذوا بايديهم قاطعا فالحصة منه ان من تدعى محبة الله
محبة رسوله لا يليق له ان يفعل ما يقطع محبتهما من المنكرات
والافعال الغير المرضية وان ارتكبها يكون من الكاذبين فى دعواه
جعلنا الله تعالى من الصادقين فى محبته ومحبة حبيبه فلما بان
عذرها لهن اعترفت برأته وبانها راودته عن نفسه فقالت
ولقد راودته عن نفسه طلبت ان يمكنني من نفسه اقرت
لهن حين عرفت انهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته

بتمكيني

فاستعصم

60

فاستعصم فامتنع بنفسه وتحفظ عن اجابتى طلبا للعصمة عن الله
تعالى مبالغة فى الامتناع لان فى استفعل معنى المبالغة فهذا يبطل
قول من قال قصد اجابتها وحل ازاره فالنسوة امرن يوسف
بطاعة زليخا والححن وابرمن عليه فلما رأت زليخا هذه الحال
هتكت جلباب الحياء وعادت بحضرتهن الى مرام ودته او الى
مايشبه المراودة فقالت ولئن لم يفعل ما آمره كلمة ما اما موصولة
اى ما آمر به من قضاء شهوتى فحذف الجار او مصدرية اى امرى
اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف اى وان لم يفعل
يوسف امرى اى مقتضاه ليسجنن بالتشديد اى ليسجنن فى
السجن وليكونا بالتخفيف من الصاغرين الاذلاء فى السجن
قالت النسوة قد استحق ذلك وانك متى سجنته قطعت عنك
مقالة السوء التى شاعت عليك قيل لما غلبه واتهمته بما فيه
ابتلاها الله تعالى بان هتك بلسانها سترها وكشفت امرها
وقال الامام القشيرى قدس سره كانت زليخا اتم حالا فى امر
يوسف وفى الافتتان به من النسوة فاثرت رؤيته فيهن ولم تؤثر
فيها كما اثرت فيهن حيث قطعن ايديهن وذلك لانه قوى حالها
بطول الصحبة فصارت رؤية يوسف غذاء لها فلم يؤثر فيها
والتغير صفة اهل البداية فاذا دام المعنى زال التغير قال ابو بكر
الصديق رض وقد رأى رجلا يبكى وهو قريب العهد بالاسلام
هكذا كنا حتى قويت قلوبنا وصلبت وكذا الخذف اول ما يجعل
فيه الماء يسمع تشيش فاذا تعود تشرب الماء سكن فلا يسمع
له بعد ذلك صوت قال يوسف رب يارب وسيدى السجن
مبتداء احب الى خبره اى آثر عندى والمراد بالمحبة هنا المحبة

الاختيارية والايثار فى الدين لا المحبة الاضطرارية وميل النفس
فمايدعوننى اليه مما يدعوننى النسوة من موافقتها زنًا نظرًا الى
العاقبة وان كان الزنا مما تشتهيه النفس والسجن مما تكرهه و
اسند الدعوة اليهن جميعا مع ان الداعية هى زليخا لانهن خوفنه
عن مخالفتها بالسجن والعذاب وزين مطاوعتها وقلن اطع
مولاتك ولا تخالفها فان لها عليك حقا وهى تحسن وتحبك
وتطلب هواك اودعونه الى انفسهن فانهن شغفن به وكلمته
بسرٍ ودعته كل امراءة منهن الى نفسها ويدل عليه قوله اذ راودتن
يوسف عن نفسه قيل انما ابتلى يوسف بالسجن بقوله هذا وانما
كان الاولى به ان يسئل العافية ويقول اللهم عافنى اورب العافية
احب الى ولو دعا به لعافاه الله تعالى ولذلك رد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على من كان يسئل الصبر ويقول اللهم انى اسئلك الصبر
فان الصبر على بلائه اصعب فالحصة منه انه لابد للعاقل ان
يسئل العافية فى جميع الاوقات اذ هى مبنى الطاعة والذكر والفكر
لان الانسان اذا ابتلى بمكروه ربما يشغله عن وظائفه من العبادات
عصمنا الله تعالى عن جميع الآفات ثم ان يوسف عم شرع الى ان
توفيق الله تعالى لابد له حتى يتخلص عن كيدهن لان الانسان
عاجز عن كل شئ لاسيما عن مكر النساء حيث قال والا تصرف
عنى وان لم تصرف عنى بالتثبيت على العصمة كيدهن فى تجليب
ذلك الى وتحسينه عندى اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى
انفسهن بطبعى ومقتضى بشريتى حذف الواو من اصبو للجزم لانه
جواب الشرط والصبوة الميل الى الهوى وقرئ اصب من الصبابة
وهى الشوق وهذا عين التوحيد من حيث ان المعصوم من

عصمه

عصمه الله تعالى وان النجاة بصرف الله تعالى لا بتكلف العبد و
لما آثر يوسف عم تحمل المشقة فى الله تعالى على لذة نفسه اثره
الله تعالى على اخوته واهل عصره حتى قالوا تالله لقد آثرك الله
علينا واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب مايدعوننى
اليه وباتباع الهوى فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين
لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء وقوله والا تصرف
الايات سؤال من الله العصمة من كيد النساء بالطف وجه و
من الحصص ان النسوة تكلمن فى زليخا فلما راين يوسف صرن
اشد منها فى الحب والميل الى الهوى فرب واعظٍ ولائم اذا جرب
ظهر خلاف مقاله من فعاله قال عمر بن الخطاب رض ليس الرجل
من يامر على غيره وينهى وانما الرجل من يامر على نفسه وينهى
ولا يكون عبدًا للشيطان فهو يلعنه بلسانه ويطيعه بنفسه
وقلبه كما قيل فى هذا المعنى شعر وغير تقى يامر الناس بالتقى
طبيب يداوى الناس وهو مريض ومنها ان النسوة
تحيرن فى مقابلة يوسف فلابد للمؤمن ان يتحير فى مراقبة الحق
قال ابو سليمان الدارانى خرج عيسى ويحيى عليهما عليه السلام
فصدم يحيى امراءة فقال عيسى يا ابن الخالة لقد اصبت اليوم
ذنبا ما احتسب ان الله يغفر لك قال يحيى وما هو قال امراءة
صدمتها قال يحيى والله ما شعرت بها قال له عيسى سبحان الله
بدنك معى فاين روحك قال معلق بالعرش ولو ان قلبى اطمأن
جبرئيل ساعة ما اعرف الله تعالى طرفة عين فلابد للمصلى ان
يتحير فى مناجاة ربه قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى
ما التفت ومنها ان النسوة جلن عند زليخا وحشمها فرب

واعظ يجعل عند السامعين يوم القيمة وقد سمّى رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثله دجالاً كما قال يكون في اخر الزمان دجالون
كذابون يأتونكم من الاحاديث ما لا سمعوا بها انتم ولا اباؤكم
ولا انزل الله بها من سلطان فاياكم واياكم لا يضلونكم ويفتنونكم
وانما قال دجّالون لانّ النّاس تفيدون بهم وقد قيل زلّة العالِم
زلّة العالَم ومنها ان يوسف عم امتنع عن امر زليخا فحبس وان كان
ما امرته حراماً وشرّاً فكيف يكون حال من امتنع عن امر المولى الحقيقي
وامره خيرٌ محضٌ قيل رجل من العقلاء حسب عمره فكان اربعين
سنة فحسب ايامها فوجدها اربعة عشر الفاً واربعمائة يوم فصاح
صيحةً وخرّ مغشيّاً عليه فلمّا افاق قال وافضيحتاه هذا اذا كان لي
كلّ يوم ذنب جميعه اربعة عشر الفاً واربعمائة ذنب فكيف بذنوب
لا تحصى في كل وقت شعر تذكّرت اياماً مضتْ ولياليا خلت فجرى
من ذكرهنّ دموعي الاهل لها يوماً من الدهر عودة وهل لي الى
وقت الوصال رجوعي وهل بعد اعراض الحبيب تواصل وهل
لبدور قد افلن طلوعي ومنها ان زليخا ارادت ان يصيرّ يوسف
عم ذليلاً حيث قال ليكوناً من الصاغرين واراد الله تعالى ان
يصيرّ عزيزاً فصار الامر ما اراده الله تعالى كما انّ رئيس المنافقين
قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذلّ واراد الله
تعالى عزّة رسوله فاعزّه كما قال ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين
ومنها انّ من افترى بشئ على برئٍ ابتلى به قال صلّى الله عليه وسلم
لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك ومنها انّ الجبّ
كان اختيار الله تعالى فنجا منه يوسف عم في زمان قليل والسّجن
كان اختياره فلذلك لبث فيه سنين فلا بدّ للعبد ان يفوّض

امره

امره الى الله تعالى ولا يأمن مكره ورد في الخبر انه لمّا جرى لابليس
ما جرى طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان زماناً طويلاً فاوحى
الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان قالا يا ربّنا لا نأمن من مكرك
فقال لهما هكذا كونا لا تأمنا مكري ومنها ان المعتبر هو الحبّ
الاختياري ولهذا قال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى اكون
احبّ اليه من والده وولده والناس اجمعين ومنها ان المباشرة
على الاثم والمعين سواء ولهذا قال يدعونني بصيغة الجمع قيل
كتب اميرٌ كتاباً وكان عنده رجل صالح فقال الامير له ائتني بتراب
احثوه على المداد فقال الرجل ناولني الكتاب اوّلاً حتى اقراء هل
كتب فيه ظلم كيلا اكون معيناً على الظلم ومنها ان المعصوم من
عصمه الله تعالى وانه يجيب المضطرّ اذا دعاه يروى عن مالك
بن دينار قال خرجت حاجّاً الى بيت الله فاذا انا بغراب يطير
في البادية آخذاً خبزاً في منقاره فقلت انّ لهذا شاناً فتبعته
حتى انظر الى اين يذهب فطار حتى انتهى الى خطيرة شبه
جدار من الحشيش فوقع فيه فدنوت منه ونظرت فاذا انا
برجل مشدود الايدي والارجل فجلس الغراب على صدره وجعل
يكسر الخبز كسرة كسرة فيجعلها في فيه حتى اطعمه ثم طار فاتى
بملاء فيه ماء فصبّه في فيه مراراً ثم طار فشققت الجدار و
دخلت فقلت يا عبد الله ما حالك فقال اني رجل من الحاجّ اخذ
العرب فاخذوا مالي واوثقوا يديّ ورجليّ وطرحوني هنا فبقيت
ثلثة ايام جايعاً عطشان فقلت الهي وسيدي انك قلت امّن
يجيب المضطرّ اذا دعاه ويكشف السوء فانا مضطرّ فاكشف
حالي فسبّب الله تعالى هذا الغراب حتى يطعمني كل يوم ويسقيني

فحلت يديه ورجليه وخرجنا ومنها ان من لم يعمل بموجب
علمه فهو من عداد الجهال واذا اريد التفسير الانفسى يراد انه لما
انخرطت النفس فى سلك ارادة القلب وقلت منازعتها اياه فى
عزيمة السلوك وتمرنت لمطاوعته حان وقت الرياضة بالدخول
فى الخلوة لتجرد القلب عن علائقه وموانعه وتجريد عزمه ببقاء
التردد اذ ما يتردد العزم بانجذابه الى جهة النفس تارة والى جهة
الروح اخرى ولم يصح الخلوة لفقدان الجنسية التى هى من شرائطها
والرياضة المذكورة ليست رياضة النفس بالتطويع فانها لا تعلج
بالخلوة بل بارتكاب المخالفات والاقدام على كسرها وقهرها
بالمقاومات من انواع الزهد والعبادات وانما هى رياضة
القلب بالتنزه عن صفاته وعلومه وكمالاته وتشوقه فى سلوكه
طريق الفناء وطلب الشهوة واللقاء وذلك بعد العصمة من استيلاء
النفس عليه كما قالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن
لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ولما حبب اليه
الخلوة كما حبب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند التحنث فى
حراء قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ودعا ربه ان يصرف
عنه كيدهن بقوله والا تصرف عنى الاية لان فى طباع النفس
والقوى البدنية الميل الى الجهة السفلية وجذب اليها بحيث
لا يزول ابدا وتنورها بنوره وطاعتها له امر عارضى لا يدوم
والقلب يميل الى اعمالها دائما فانه ذو جهتين ينزع باحديهما
الى الروح وبالاخرى الى النفس ويقبل بوجه الى هذه وبوجه الى
هذه فلا شئ اقرب اليه من الصبوة اليها بجهالته لو لم يعصمه
الله تعالى بتغليب الجهة العليا وامداده بانوار الملاء الاعلى كما قال

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك
قيل له او تقول ذلك وانت نبى يوحى اليك قال ان مثل القلب كمثل
ريشة فى فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت ولما دعا يوسف عم
وتضرع الى الله تعالى بالطف وجه استجاب الله تعالى له حيث
قال فاستجاب فاجاب له ليوسف ربه اى اجاب دعاءه الذى
تضمنه قوله والا تصرف اذ فى هذا الكلام معنى الدعاء والسؤال
بالطف وجه فصرف عنه عن يوسف كيدهن فعلهن وشرهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان انه اى ربه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم ونياتهم وما يصلحهم ومن الحصص ان
يوسف فوض امره الى الله تعالى وطلب منه العصمة استجاب له
ربه فينبغى للعاقل ان يفوض امره الى الله تعالى روى ان موسى
عليه السلام لما ذهب الى الطور لطلب الكتاب قال لاخيه هارون
اخلفنى فى قومى فبعد زمان قليل عبد اكثر قومه العجل ورسول الله
صلى الله عليه وسلم فوض امر امته الى الله تعالى ولهذا لا يزالون
على الخير ومنها ان من فتح له باب الدعاء يفتح له باب الاجابة و
لهذا ورد فى الخبر ان الله تعالى اذا اراد ان يجرى حكما من احكامه
قيد لسان عبده حتى لا يسئله لانه يستحيى ان يدعو عبده و
هو لا يجيبه ومنها انه لا بد للداعى ان يدعو بحضور القلب فى
خلوة حتى يستجاب دعاؤه روى ان موسى عم كلما مر الى المناجاة
رأى رجلا يدعو ولا يستجاب دعاؤه فقال يا رب لم لا تجيب
دعاءه قال انه لا يدعونى بحضور القلب وفى قلبه حقد لاحد
فاستنطقه موسى عم قال كان رجل اذانى فى زمان شبابى

قال القشيري قدس سره لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براءته انتقاما على امرأته اى بهتك سترها حول الله ملكه وملكه اليه في آخر الامر وجعل زليخا امرأته وذلك جزاء الصابرين قال ابن عباس رضه لما رأيت العاقبة اى اصلح مكانا ضيقا مقدار رجل واحد وقالت ليوسف قد اعيتني العبادة وانقطعت فيك حيلتي فلاسلمنك الى المعذبين بعذبونك كما عذبتني ويخلون جسمك كما انحلت جسمي ولالبسنك بعد الحلي والحلل جبة صوف ياكل جلدك وقيدا من حديد ياكل رجليك ثم نزعت ما كان عليه من اللباس والبسته جبة صوف وقيدته من حديد ثم امرت ومناديها ان ينطلقوا به الى الحبس وامرت رجالا ان ينادوه في قارعة الطريق يا يوسف هذا جزاء عبد عاص مولاته فلما اتوا به السجن نكس رأسه فبكى حتى بكت الملائكة فهبط عليه جبرئيل وقال ما يبكيك

وفي قلبي انه لو وجدت فرصته لانتقمته ومنها ان دعاء يوسف عم استجيب في الدنيا ودعاء نبينا صلى الله عليه وسلم يستجاب في الاخرة شفاعة لنا كما قال عليه السلام ان لكل نبي دعوة مستجابة دعا لامته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وانا اريد التفسير الانفسي يراد بقوله فاستجاب له ربه انه ايد القلب بالتأييد القدسي وقواه بالالقاء السبوحي وبقوله فصرف عنه كيدهن انه صرف وجهه عن جانب الرجس الى جانب القدس ودفع عنه بذلك كيد النفس والقوى البدنية انه هو السميع لمناجات القلب في مقام السر العليم بما ينبغي ان يفعل به عند افتقاره اعلم ان النسوة اشرن على زليخا ان يسجنن يوسف وتركنها وراودنه عن نفسه وجهدت عليه ولم يزدد منها الا بعدا فلما يئست منه قالت لسيدها انه قد شاع علي في امر هذا العبد مقالة قبيحة وقد فضحني ذلك وقد كرهت قربه وابغضت رؤيته فأذن في سجنه حتى يكون في تحت يدي فانه اقطع للمقالة وابين للعذر وفي رواية قالت ان هذا الغلام العبراني لا يقلع عني وقد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس اخبرهم بحالي واما ان تحبسه حتى ينقطع حديثه فقال سيدها قد اذنت لك في سجنه قالوا كان مطواعا لها وذلولا حتى انساه ذلك ما رأى من الآيات ولهذا قال الله تعالى ثم بدا كلمة ثم تدل على تغير رأيهم في حق يوسف اى ثم ظهر رأى بخلاف الاول لهم للعزيز وزليخا واهل المشورة من بعد ما رأوا الآيات العلامات والشواهد الدالة على براءة يوسف وصدق مقالته كشهادة الصبي

وقد

64

وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر وهو السجن يفسره ليسجننه حتى حين اى خلفوا والحين وقت مجهول اى الى يوم ووقت من الاوقات وذلك انها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب انه المجرم ويتقادم العهد فينسى هذا الحديث وينقطع فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وحتى بمعنى الى روى ان زليخا امرت الحداد ان يجعل ليوسف الغل الثقيل قال الحداد ان جسم يوسف لطيف كيف يتحمل الحديد الشديد قال يوسف قيد وقيد فانا من اهل بيت البلاء لكون البلاء كفارة للذنوب ورفعة للدرجات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل روى ان ابراهيم بن ادهم كان في بعض شوارع بغداد فاستقبله رجل وضغطه ضغطة قوية ثم دفعه حتى كاد ان يرميه الى الارض فرفع رأسه وقال اللهم اغفر له فقال له الرجل كيف تدعو لي وقد ضغطتك قال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر فاعتذر له روى ان يوسف اذا ذهب الى السجن بلباس البذلة وهيئة الذلة يقول الناس انه مجرم فبكى يوسف عم انينا شديدا ويقول هذا جزاء المولى المجازي بلا جرم فكيف جزاء المولى الحقيقي بالجرم نعوذ بالله من غضبه لعل البلاء في الدنيا يصير سببا لدفعه في الاخرة روى ان ابا عثمان رض خرج من بيته وقت الهاجرة فجلس تحت حائط يستظل فالقي عليه من السطح طست رماد فقام اصحابه وبسطوا السنتهم فقال لهم لا تقولوا شيئا فان

من استحق ان تصب عليه النار فصولح بالرماد ولم يغضب
من ذلك وروى ان الناس يقولون هذا عبد من كنعان والعزيز
عليه غضبان فلما سمع يوسف كلامهم قال هذا خير من غضب
الرحمن ومقاساة النيران لانها اشد وامرّ وانه يتذكرها لا يجد
آلام الدنيا كلها ولا يتألم منها فانها ستزول واما عذاب الله تعالى
فى الاخرة فاشد فالعاقل يبكى لهذا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولسجد احدكم
حتى ينقطع صلبه ولصرخ حتى ينقطع صوته وروى ان زليخا
جعلت كوة صغيرة فى السجن لتنظر اليه احيانا او ترسل اليه فكذا
الله تعالى العبد فى سجن الدنيا ويرسل الملئكة كما قال تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون قال اهل الاشارة ان
يعقوب احب يوسف ع م فالقى فى الجب وزليخا احبته فحبس فما ذنبه
قيل لانه اخذ قلبهما بحسنه وشغلهما عن ربهما كما ان ابرهيم
احب اسمعيل فامر بذبحه وكذا حال رسول الله صلى الله عليه و
سلم وحال الحسن والحسين رضهما قيل قال العزيز لندمائه قد
صح عندى ان الذنب لها ولكنها اهلى اريد ان ارد عليه ذنبها كيلا
تفتضح فقال احدهم ما مرادك من هذا قال اردت تاديب زليخا
بالعذاب الشديد فان اشد العذاب على الاحباب حجاب الحبيب
فالحصة منه انه اذا كان حال الاحباب مع الحبيب المجازى كذلك
فكيف حال العشاق مع الجليل الجميل عصمنا الله تعالى عن فراقه بحرمة
نبيه الحليم الكريم ومن القصص ان العزيز لما سجن يوسف مع
ظهور برائته اتقاء على امرأته ان يهتك سترها حول الله تعالى ملكه
وملكه اليه ثم فى اخر الامر جعلها امرأته وذلك جزاء الصابرين

ومنها

ومنها ان رؤية الايات والمعجزات لا تجدى نفعا ما لم يقترن العبد
بتوفيق الله تعالى ومنها ان زليخا احبته فحبسته وكذا الله تعالى اذا
احب عبدا ابتلاه فان نيل المراد بتركه ومنها ان يعقوب احب يوسف
فابتلى بفراقه وابتلى يوسف بالجب وان زليخا احبته فابتليت بالملامة
وابتلى يوسف بالسجن لان الحب لا يخلو عن البلاء ومنها ان من
احب غير الله حاله لانه تعالى غيور فلا بد للعاقل ان لا ينظر الى غير
الله تعالى ومنها ان العزيز حبس يوسف ولم يبعه وهذا نوع من
القبول فكذا الله تعالى اذا اذنب عبده ابتلاه كفارة لذنبه ولا
يرده ومنها ان زليخا التسبت فى حبها وحبسه حتى يضمحل سوء
ظن الناس فيها ولا يعرفون حبها فكذا الطائفة الملامية من
الصوفية يسترون حالهم ومنها ان اهل مصر كانوا يتعجبون من
لباس يوسف وهيئته ومن السجن ومحنته ولا يتفكرون فى حال
العصاة اذ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار وان
جهنم اوقد عليهم ثلثة آلاف سنة وهى سجن قبيح وورد فى الخبر لو ان
مثل خرق ابرة فتح منها لاحترق اهل الدنيا عن حرها روى ان
ابن مرثد كان لا ينقطع دموع عينيه ولا يزال كان باكيا فسئل عن
ذلك فقال لو ان الله تعالى اوعدنى بانى لو اذنبت ذنبا لحبسنى
فى الحمام ابدا لكان حقيق على ان لا ينقطع دموعى فكيف وقد اوعدنى
ان يحبسنى فى جهنم قد اوقد عليها ثلثة الاف سنة واذا اريد التفسير
الانفسى يراد انه ظهر لعزيز الروح ونسوة النفس والقوى واعوان
الروح من العقل والفكر وغيرهما رأى متفق عليه من جميعها وهو
ليسجننه اى ليتركنه فى الخلوة التى هى احب اليه اما الروح فلفهمه
اياه بنور الشهود ومنعه عن تصرفاته واما النفس وسائر القوى

فالا امتناع عن استجذابه اليها من بعد ما رأوا ايات العصمة
وصدق العزيمة وعدم الميل اليها واما العقل فلتنوره بنور
الهداية واما الفكر فلحصول سلطانه في الخلوة وَدَخَلَ مَعَهُ مع
يوسف السِّجْنَ ظرف دخل فَتَيَانِ فاعل دخل اى ادخل يوسف و
صاحبين ليوسف
اتفق ان ادخل حتى عبدان من عبيد الملك ريان شرابيه ساقيه اسمه يونا
وخبازه اسمه مجلث قيل ان مع بمعنى بعد كما في قوله تعالى ان مع
العسر يسرا فالمراد اجتماعهم في السجن لا اقترانهم في الدخول
قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا قال
وهب كان سبب وقوعهما في السجن ان جماعة من اهل مصر خرجوا
على الملك وارادوا المكر به فارسلوا الى هذين وضمنوا لهما مالا
ليسما طعام الملك وشرابه فاجابا هم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه
وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته واحضر الطعام
قال الساقى ايها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم قال الخباز ايها
الملك لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب
فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك
الطعام على دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بهما الى
الى السجن فكانا في السجن سنة والفا يوسف والفهما وقيل اراد
ملك اليمن قتل ريان خفية فارسل رجالا بالاموال الكثيرة
ليحتالوا لقتله وقيل اراد ملك الروم قتله كذلك فارسل رجالا
ضمنوا لهما الى اخر ما ذكروا واطلعت امراءة على هذا السر فاخبرت
الملك وقت احضارهما الطعام والشراب فامر الملك بهما السجن
ولما دخل يوسف السجن فتح الله عليه عبارة الرؤيا فكان يعبر
لاهل السجن رؤياهم وكان يحسن اليهم ومن الحصص ان الله تعالى

سما

66

سماهما باسم الفتى لمقارنتهما يوسف ولم يؤمنا بعد فالمؤمن
اولى ان يسمى بالاسم الشريف لمقارنته الصالحين ومنها ان الله
تعالى سماهما باسم الفتى لقصدهما الايمان فالمؤمن اولى ان يسمى
به لايمانه عاجلا ومنها انهما سميا يوسف باسم المحسن حيث
قال انا نريك من المحسنين فسماهما الله تعالى باسم الفتى لاكرامهما
اياه فالمؤمن اولى ان يسمى بالاسم الشريف لاكرامه الانبياء عليهم
السلام ولذكره المولى بالغفار الرحيم والعفو الكريم فكيف يسميه
الله تعالى بالاسم القبيح كالعاصى وان كان مسرفا على نفسه ولهذا
قال قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ومنها ان الله تعالى ذكرهما باسم الفتى وذكر جميع الانسان بالظلوم
والجهول قال وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لئلا يغتر
المطيع ولا ييأس العاصى ومنها ان الفقير احسن حالا من السلطان
اذ لا خوف عليه من السم ولا هم من جهة المال والمآل ومنها ان
كل من كثر ماله وملكه كثر اعداؤه كالسلطان فان ابناءه واخوته
اعداؤه ومنها ان المؤمن في الدنيا كالمسجون واعماله وما يتصرف
فيه كالرؤيا التى يراها النائم فلا بد ان يطلب التاويل فيها من
المرشد ويتفكر في مآل امره هل يخلص من السجن سالما ام لا قيل
للمؤمن اربعة حبوس بطن الام ثم المهد ثم الدنيا ثم القبر وهو
سجن السكون والسكوت وهو اول بيوت الاخرة فلا بها فان
كان له عمل صالح فيبعث الله تعالى اليه المونسين الكريمين
الكاتبين العادلين الذين كتبا اعماله في الدنيا يسر نا الله تعالى
السلامة من كل سجن ومنها ان المجرم هو الخباز وحبس الساقى
لمقارنته ومنها انهما كانا في نعمة الملك فلما لم يشكروا ما لا الى

اضلال الغير بسبب حطام الدنيا وقصد الضرر الى الملك ابتليا
فلابدّ للعاقل ان يشكر للنعمة والا ابتلى بالمحنة ومنها ان ملك
مصر امر بهما الى السجن مع عدم تعيينه بجرمهما معاً والله تعالى
يرى معاصى العباد ولا يستعجل بعقوبتهم ومنها انه اطلق اسم
المحسن على يوسف حال كونه فى موضع المجرمين لان السجن موضعهم
فالعبرة بالذات والعمل لا بالمحلّ واذا اريد التفسير الانفسى يراد بهما
الفتيان اللذان دخلا مع يوسف القلب فى سجن الخلوة احدهما قوة
المحبة الروحية وهى ساقية الملك تسقيه خمر العشق والثانى هو
النفس التى لا تفارقه ايضا بحال وهو خبّاز الملك الذى يدبّر
الاقوات وهما بالازمانه فى الخلوة دون غيرهما اعلم انهما رأيا
الرؤيا او ارادا اختباره اورأى الساقى واخبر الخبّاز وعرضا على
يوسف كما قال الله تعالى قَالَ اَحَدُهُمَا اى الساقى اِنِّى اَرَانِى فى المنام
وهى حكاية حال ماضية لانه وقع الرؤيا قبل نقل يوسف اَعْصِرُ
خَمْرًا اى عنباً وسمّاه بما يؤول اليه اى اعصر العنب الذى يكون
عصيره خمراً وقيل العنب يسمّى خمراً فى لغة عُمَانَ او عند بعض
العرب وحكى الاصمعى معتمر بن سليمان انه رأى اعرابيا معه
عنب فقال مامعك فقال خمر وتفصيل الرؤيا انه قال رأيت فى
المنام كانى دخلت كرماً فرأيت حملة حسنة فيها ثلث من القضبان
وفى القضبان ثلث عناقيد عنب قد نبع وبلغ فاخذته وعصرته
فى الكأس ثم اتيت به الى الملك فسقيته قال عكرمة قال ذلك
الفتى انى رايت فيما يرى النائم انى غرست حبّة من عنب فنبتت
فخرج منها ثلثة عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال
تمكث فى السجن ثلثة ايام ثم تخرج فتسقيه خمراً وَقَالَ الْاٰخَرُ

اى الخباز اِنِّى اَرَانِى فى النوم اَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا اى رأيت كانى
اخرج من مطبخ الملك وعلى رأسى ثلث سلات من الخبز وارى
سباع الطير تأكل من السلة العليا كما قال تعالى تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ
تنهس منه نَبِّئْنَا بِتَاْوِيلِهِ ما يؤل اليه عاقبة المراد بهذه الرؤيا
اِنَّا نَرٰيكَ يا يوسف مِنَ الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون تأويل الرؤيا
او من العالمين وانما قال ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس
ويعبّر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن اى تحسن الى اهله
فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه ليزول عنا شغل القلب
قيل ان الفتيين قالا له انا لنحبّك منذ رأيناك فقال انشد كما الله
تعالى ان لا تحبّانى فوالله ما احبّنى احد الا دخل علىّ من حبّه بلاء
فالحصّة ان المحبّة معرض البلاء اعلم ان يوسف كان كريماً كما عرفت
مراراً من حاله وستعرف من بعد ومن جملة كرمه فى السجن انه
كان ينصر المظلوم ويعين الضعيف ويعود المريض وكان يداوى
مريضهم ويعزى حزينهم ويأخذ قلب المكروبين واذا ضاق
المجلس على احد وسع له بصدر منشرح ويجتهد فى عبادة ربّه
وقال لقوم فى السجن انقطع رجاؤهم وحزنوا ابشروا واصبروا وازجروا
فان لهذا اجراً فقالوا له بارك الله فيك ما احسن خلقك و
خلقك لقد احسنت الينا واذا احتاج احدٌ قام وجمع له شيئاً
ويقال انا نريك من المحسنين يعنى من الصادقين فى القول وكان
اهل السجن يجتمعون عنده ويسئلونه اشياء فيجيبهم فقالوا
انا نريك من المحسنين يعنى نراك عالماً وقد احسنت علماً فان
قيل هل للرؤيا وعبادتها وجه معقول قلنا نعم لانّ الله تعالى
خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك

ومطالعة اللوح المحفوظ والمانع من ذلك اشتغالها بتدبير البدن ففي حالة النوم يقلّ هذا الشاغل فتقوى على هذه المطالعة فاذا وقعت على حالة من الاحوال نزلت آثار مخصوصة مناسبة لتلك الحالة الى عالم الخيال فاذا عرض على المعبّر يستدلّ بتلك الاثار الخيالية على تلك الادراكات العقلية ومن الحصص ان السجن كان دار الحزن جعل الله تعالى ليوسف فيه رفيقين ليتسلى بهما فكذا يجعل للمؤمن في القبر مونسًا مع انه دار الوحشة ومنها ان السّجن كان موضع المجرمين ومحلّ من لقّب باسم قبيح اعطاه الله تعالى الكرامة لاحسانه حتى سمّاه اهل السّجن باسم حسن وعدّوه من المحسنين لانّ الله تعالى لا يضيّع اجر المحسنين ومن جملة الاحسان محبّة الله عزّ وجلّ لانه احق بها عن يحيى بن معاذ الرّازي انه قال الا تحبّ من احبّك من قبل ان تحبّه و كتبك في اللوح مؤمنا من قبل ان يخلقك وهيّأ لك الانزال في دار الدنيا من قبل ان تلدك امّك وفي الجنّة من قبل ان تدخلها فكيف لا تحبّ مَنْ بهذا منّ عليك ومنها ان من كان حسن الخَلْق يكون حسن الخُلق قال عليه السّلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ومنها انّ الله تعالى عظّم يوسف حيث ذكر في لسان اهل الكفر محسنًا لتعظيمه امر الله تعالى ومنها انّ الله تعالى يجزي المرء على فعله روي عن جعفر الخلدي يقول رأى بعض الصّالحين في منامه انه ادخل الجنّة فرأى رجلًا على مائدة وملك يطعمه وملك يسقيه وآخر يقول كُلْ يا من لم يأكل من اجله والاخر يقول اشرب يا من لم يشرب من اجله ورأيت رجلًا شاخصًا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن حورها وولدانها و

قصورها

وقصورها واشجارها واثمارها وهو لا يطرف فسئلت رضوان من الذي يطعمه ملك ويسقيه ملك فقال ذلك بشر الحافي مات جايعا وعطشان فوكّل الله ملكًا عليه يطعمه وملكا يسقيه و يقولان كل يا من لم يأكل من اجله واشرب يا من لم يشرب من اجله فقلت من الذّي يشخص ببصره نحو العرش قال معروف الكرخي مات مشتاقا الى الله تعالى فاباحه الله النظر اليه فقد اشتغل به عن الغير ومنها ان يوسف عمل اعمالا حسنةً حتّى سمّي باسم المحسن فلا بدّ للعاقل ان يعمل عملًا يسمّى بسببه باسم حسن واذا اريد التفسير الانفسيّ يراد بمنام الشرابيّ اهتداء قوّة المحبّة الى عصر خمر العشق من كرم معرفة القلب في نوم الغفلة عن الشهود الحقيقي وبمنام الخبّاز توجّه الهوى بكليّة الى تحصيل لذّات طير القوى النفسانيّة وحظوظها وشهواتها وشبّهت بالطير في جذب ما يجذ به من الحظوظ لسرعة حركتها نحوها قَالَ يوسف ولما سمع طلبهما تاويل الرؤيا وصل به قوله لَا يَأْتِيكُمَا من عند الملك او مَن عند اهلكما او مَن عند اصدقائكما طَعَامٌ في اليقظة تُرْزَقَانِهِ ذلك الطعام إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ اخبرتكما بكشف الطعام يعني بيان ماهيّته ولونه وهو يشبه تفسير المشكل ولذا سمّي بالتّاويل قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا واتمّا وصل به قوله هذا ليريهم ان علمه فوق ما يعلمه العلمآء وجعل وصف نفسه بالعلم الفائق وسيلةً الى ذكر التوحيد وتأسيسًا لدعوتهما اليه وتقريرًا عندهما بعبارة الرؤيا وذلك لانّ جواب فتواهما قوله ياصاحبي السجن امّا احدكما الاية ولكن قدّم عليه مقدمة الدعوة الى التوحيد لانها بعثوا وبها امروا وهذا القول منه يدلّ

فلمّا قصّا عليه رؤياهما ... علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض عن سؤالهما وشرع في اظهار المعجزة والدعوة الى التوحيد فقال لا يأتيكما طعام الى عيون

على علمه بها فيوطن انفسهما لقبول ما يرد بعده من الجواب ونفى
الشرك عن نفسه لكون ذلك ابلغ فى نصحهم وقدم ما يكون معجزة
له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير وهذا
مثل قول عيسى ع م لقومه وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى
بيوتكم وفيه اشارة الى ان العالم اذا جهلت منزلته فى العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده وغرضه ان تقتبس منه وينتفع به فى الدين
لم يكن من باب التزكية ذكره الامام الرازى وفيه ايضا اشارة
الى انه ينبغى للعالم اذا سئل عن شئ استئنس لما هو اهم منه فيكشفه
ثم يجيبه عما سئل عنه وقيل المراد قبل ان يأتيكما طعام ترزقانه
الا نبأتكما بتأويل ما قصصتما على من الرؤيا اى اخبرتكما بما يؤل اليه
امره فلما قاله يوسف كانهما قال له كيف تعلم ولست بساحر ولا عراف
ولا كاهن فقال ذلكما ذلك التأويل مما علمنى ربى بالالهام والوحى
وليس من قبيل التكهن والتنجم ومن الحصص ان يوسف علم ان رؤيا
الخباز تعبير بكروه عنده فاخر وارشد الى الحق والتأخير فى امثاله
ممدوح فالله يؤخر العبد العاصى ليتوب ومنها ان يوسف لم يرض
ان يسمع قرينه ما يحزنه فالله تعالى لا يرضى بالمؤمن ان يسمع
كلاما يسوءه ولذا قال لا تقنطوا من رحمة الله واذا اريد التفسير
الانفسى يراد بقوله لا يأتيكما طعام الخ منع القلب اياهما عن
حظوظهما الابعد تبيينه لهما ما يؤل اليه امرهما من شأنهما
الذى يجب لهما القيام به بالسياسة والاصلاح ولما قال يوسف
ذلك مما علمنى ربى كانهما قالا لم خصك ربك بالتعليم دوننا
فقال انى تركت استيناف او تعليل لما قبله اى علمنى ذلك
لانى تركت ملة قوم دين قوم لا يؤمنون بالله لا يصدقون

قال ابن الشيخ لما سمع يوسف قولهما انا نراك من المحسنين وصل به قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه اه يريد بهما انه فايق فى العلم قادر على تأويلهما وكان لهما وظيفة من الطعام يرزقانه كل يوم وكان ذلك الوقت اتيانه وظيفتهما من الطعام فقال لهما اعبر لكما ما قصصتما على تقدير ان يرجع الضمير المجرور فى قوله بتأويله الى ما قصا من الرؤيا ويحتمل ان يرجع الى الطعام ويكون المعنى انه قادر على تأويل هو اعجب من تأويل رؤياكما فانى قادر على تأويل الطعام وبانه يأتيكما كل يوم قبل ان يأتيكما ذلك الطعام بان اقول لكما يأتيكما اليوم طعام ماهيته كذا وكيفيته كذا وكميته كذا ومن قدر على هذا لا بعد ان يقدر على تأويل رؤياى كما فاخذ بعد ذلك يبين لهما كل يوم ما يحمل اليهما من الطعام قبل ان يأتيكما ويقول اليوم يأتيكما كذا وكذا من الطعام من صفته كيت وكيت فيكون الامر كما اخبر وجعل هذا الكلام ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد كما هو ظ [illegible]

[illegible]

بوحدانيته وهم بالآخرة هم كافرون بالبعث جاحدون وتكرير
الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة والتعبير
بالترك وهم يوهم الدخول اولا لانه عبارة عن عدم التعرض رأسا
وقيل ان يوسف كان عبدا لهم بحسب زعمهم ولعله قبل ذلك كان
لا يظهر التوحيد فى اظهره فكان كالترك ومن الحصص ان الله تعالى
لا يخص بهذا العلم والكرامة من كفر به وجحده بل يكرم به من آمن به
وصدقه ووحده وعبده قال ابرهيم الخواص قدس سره دخلت
البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار فسألنى الصحبة
فمشينا سبعة ايام فقال يا راهب الحنفية هات ما عندك من
الانبساط فقد جعنا فقلت يا رب لا تفضحنى فى هذا الكافر فرأيت
طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فاكلنا وشربنا ومشينا
سبعة ايام ثم بادرت فقلت يا راهب النصرانى هات ما عندك
انتهت النوبة اليك فاتكأ على عصاه ودعا فاذا بطبقين عليهما
اضعاف ما كان على طبقى قال فتغيرت وابيت ان آكل فالح على فلم
اجبه فقال كل فانى ابشرك ببشارتين احديهما اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وحل الزنار والاخرى انى قلت اللهم
ان كان لهذا العبد خطر عندك فافتح على بهذا ففتح قال فاكلنا و
شربنا ومشينا وحج معى واقمنا بمكة سنة ثم انه مات فدفن ومنها
ان العبرة بشرف الدين لا بشرف النسب ولذا عرف كنعان بن نوح
ونزل فى حقه انه ليس من اهلك قال الاصمعى كنت بمكة فخرجت
ليلة من الليالى اطوف سمعت صوت حزين فتبعته فاذا هو
شاب حسن الوجه وعلى اكتافه ذؤابتان وهو متعلق باستار
الكعبة وهو يقول يا سيدى نامت العيون وازهرت النجوم

[illegible]

وانت الملك الحى القيوم غلقت الملوك ابوابهم وقامت عليها
حجابها وبابك مفتوح للسائلين فها انا سائلك ببابك مذنب
فقير خائف وانشد شعر يا من يجيب المضطر فى الظلم • يا كاشف
الضر والبلوى مع السقم • قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا •
وانت يا حى يا قيوم لم تنم • ادعوك ربى ومولاى ومعتمدى • فارحم
بكائى بحق البيت والحرم • انت الغفور فهب لى منك مغفرة •
ثم اعف عنى يا ذا الجود والكرم • ان كان عفوك لا يرجوه ذو ذلل •
فمن يجود على العاصين بالنعم • ثم رفع راسه وجعل يقول الهى
وسيدى اطعتك بمنتك فلك المنة على وعصيتك بجهلى فلك
الحجة على اللهم اغفر لى ذنوبى ولا تحرمنى رؤية جدى صفوتك
ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامتك وما زال يدعو حتى
سقط فدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن الحسن بن على رض
فوضعت رأسه فى حجرى وبكيت لبكائه ففتح عينيه وقال
من ذا الذى شغلنى عن ذكر مولاى قلت حبيبى انا الاصمعى
فما هذا البكاء والخوف وانت من اهل بيت النبوة فقعد وقال
يا اصمعى اليس قال الله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون يا اصمعى خلق الجنة لمن اطاعه ولو كان
عبدا حبشيا والنار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا ولما
قال يوسف عم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله فكانهما
قالا اذا لم تكن انت فى هذه الملة فعلى اى ملة انت فقال
وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وهو الجد جد الاب والجد يسمى
ابا لانه ابو ابى الاب وَإِسْحَاقَ وهو ابو الاب وَيَعْقُوبَ هو ابوه
حقيقة فكانهما قال كيف كانت ملتهم فقال مَا كَانَ لَنَا ما جاز

ما صح لنا

لنا

لنا معشر الانبياء أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ اى شئ كان من ملك
او جنى او انسى فضلا عن ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر
لان معاشر الانبياء معصومون من الشرك من مزيد ولما قال
هذا فكانهما قالا ويم اهتديتم اليها فقال ذَٰلِكَ الاسلام او العلم
او الارسال اى النبوة مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا بذلك وَعَلَى النَّاسِ
اى المؤمنين بارسالنا اليهم لارشادهم وتنبيههم عليه يعنى ذلك
الفضل على الرسل والمرسل اليهم جميعا لا على احدهما وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ يعنى اهل مصر او المرسل اليهم لَا يَشْكُرُونَ فضل الله
او الخالق على نعمه بالطاعة له فى امره ونهيه وقيل لا يعلمون النعم
من الله فيشكروا له عليها انما ذكر يوسف اباءه لان الناس كانوا
عرفوهم واعتقدوا فى تعظيمهم وكانوا لا يعرفون يوسف فبين انه
من صلبهم ليعتقدوا كلامه ويقبلوا دعوته الى الدين الحق يعنى
وصف يوسف نفسه بما وصفها به من كونه من اهل بيت
النبوة لاجل ان يقوى رغبتهما فى الاستماع منه الوثوق عليه
ولم يكن ذلك من قبيل التزكية التى نهى عنها بقوله تعالى
ولا تزكوا انفسكم ولذلك جوز للعالم المجهول ان يصف نفسه
حتى يعرف فيقتبس منه قيل سافر عالم واعظ وقرب من بلدة
عظيمة وارسل واحدا من تلامذته اليها ليخبر اعيان البلد
بقدومه ليستقبلوه ويعظموه فانكر عليه واحد من رفقائه
فاعتذر الواعظ بانى اريد ان اعظ الناس فيها فاذا عرفنى عوام
الناس بالمنزلة يسمعوا قولى وانما اريد تعظيمى لانتفاع الناس
بموعظتى ومن الحصص ان الاية تدل على ان الكفر ملة واحدة
ومنها ان قوله انى تركت ملة قوم الخ يدل على بطلان قول

المعتزلة فى ان الفاسق يخرج من ملة الاسلام ولا يدخل فى ملة الكفر فانه لا واسطة بين الايمان والكفر ومنها انه لا ينبغى للمؤمنين ان يشركوا بالله من شئ بل ينبغى ان يخلصوا لله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قال اصحابه وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء ومنها ان الشيخ فى قومه كالنبى فى امته فارشاده فضل الله عليه وعلى الناس ثم دعاهما يوسف الى الاسلام ليصل الشرابى الى سعادة الدارين والخباز الى سعادة الاخرة لئلا يكونا ممن خسر الدنيا والاخرة فقال يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ يا ساكنيه كاصحاب الجنة والنار فالاضافة من باب الاضافة الى المفعول به او يا صاحبى فيه فالاضافة من باب الاضافة الى الظرف على الاتساع ثم ان يوسف لما ادعى النبوة فى الاية الاولى وكان اثبات النبوة مبنيا على اثبات الالوهية شرع فى تقريره وفساد عبادة الاصنام فقال ءَأَرْبَابٌ جمع رب اى الالهة والاصنام وعبادتها مُتَفَرِّقُونَ متفرقة هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا اعلى وهذا ادنى وهذا اوسط كلها لا يضر ولا ينفع ولا يدفع الضر عن نفسه فضلا عن غيره قيل ان راعيا كان يصنع صنمه فى المخلاة ويعبده فى المفازة فبال الكلب على الصنم فترك الكلب فى البيت فذهب بصنمه وغنمه الى الجبانة ووضع الصنم لحرس الغنم فجاء ثعلب فبال عليه فلما راى ذلك انشأ يقول قطعه

ارب يبول الثعلبان برأسه • لقد ذل من بال عليه الثعالب •
ولو كان ربا كان يمنع نفسه • ولا خير فى رب يزدريه المطالب •
برئت من الاصنام والشرك كله • فامنت بالله الذى هو الغالب •

ثم

ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ وعبادته الْوَاحِدُ المتوحد بالالوهية لا شريك له فيها ومعنى الاحد هو الذى لا تركيب فى ذاته والاستفهام بمعنى النفى اى عبادة الرب الواحد خير من عبادة الارباب المتفرقة ثم انه دلهم بهذا على ان الخالق واحد والمعبود واحد وان الالهة لا بد ان يكون بينهم تفرق فى الارادة فاما ان يلزم العجز كلهم او بعضهم والعاجز لا يكون ان يكون الها وهو معنى قوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولان الالهة اذا تفرقت لم يمكن ارضاء جماعتهم بالعبادة وارضاء الواحد يمكن بالمداومة على عبادته والعمل بطاعته الْقَهَّارُ الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره مَا تَعْبُدُونَ ما نافية والخطاب لهما ولمن على دينهما مِنْ دُونِهِ من الالهة إِلَّا أَسْمَاءً اى اشياء مسميات مجاز مرسل ذكر الاسم واريد المسمى لان الاسم لا يعبد والمضاف مقدر اى الذوات الاسماء سَمَّيْتُمُوهَا الهة أَنْتُمْ تاكيد لصحة العطف وَآبَاؤُكُمْ ما نافية أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ اى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة لا معانى لها من آله ورب والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاق الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها إِنِ الْحُكْمُ ما القضاء فيكم او فى امر العبادة بل فى جميع الاشياء إِلَّا لِلَّهِ لانه المالك للامر والمستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل أَمَرَ بلسان انبيائه أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ الذى دلت عليه الحجج ذَلِكَ التوحيد الدِّينُ الْقَيِّمُ المستقيم والحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم هذا

الكلام من يوسف تدرج فى الدعوة والزام الحجة اذ بين لهم
اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طرز الخطاب ثم برهن
على ان ما يسمونها آلهة لا يستحق العبادة فان استحقاق العبادة
اما بالذات وهو الواجب تعالى واما بالغير وهو ما امره وكلا القسمين
منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى
لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم بدونه ولكن اكثر الناس اهل
مصر لا يعلمون دين الله وهو الاسلام او ما لهم وعليهم من الثواب

اى لا ينتفعون بعلمهم مع انهم يعلمون به م
اى لا يتفكرون فيه ولا ينظرون فلا يعلمون ولو تفكروا
فيه ونظروا لعلموا

والعقاب فيحطبون فى جها لاتهم فلما سمع الشرابى والخبا ز كلام
يوسف اسلما ومن الحصص ان النصح اذا كان لوجه الله تعالى
يكون آثر وازجر ومنها ان العبادة لا بد وان تكون لله يعنى مع
الاخلاص دون الريآء روى عن بعض الحكماء انه قال ينبغى للعاقل
ان يأخذ الادب فى عمله من راعى الغنم قيل وكيف ذلك قال لان
الراعى اذا صلى عند غنمه فانه لا يطلب بصلاته محمدة غنمه
كذلك العامل ينبغى ان لا يبالى من نظر الناس اليه ويعمل الله تعالى
عند الناس وعند الخلاء بلا تفرقة بينهما ولا يطلب محمدة الناس
ومنها ان الله تعالى قهار وقهره انما يظهر بقهره الاقوياء دون
الضعفاء فيرخى من لطفه ان لا يجعل الضعفاء مظاهر قهره ومنها
ان العبرة ليست باسم العبادة بل العبرة بالحقيقة ومنها ان الجهل
ليس بعذر ولذا قال الامام ابو منصور لو تفكر الناس فيه لعلموا
وهذا يدل على ان العقوبة تلزم وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه
ومنها ان عبادة الله تعالى هو الصراط المستقيم كما قال تعالى
فاعبدونى هذا صراط مستقيم فينبغى للعاقل ان يتخذه سبيلا او
يعرض عن الدنيا روى ان ميمون بن مهران لقى الحسن البصرى فى

الطواف

72

الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظنى فلم يزده على تلاوة الآية
التى فى سورة الشعراء وهى قوله تعالى افرايت ان متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال
ميمون لقد وعظت واتممت الوعظ فالحصة انه ينبغى لاصحاب
الدولة والاموال ان لا يغتروا بها ولا يعتمدوا عليها بل لا بد لهم
التوسل بها الى الاخرة الباقية الدائمة السرمدية واذا اريد التفسير
الانفسى يراد بقوله انى تركت ملة قوم الخ اظهار التوحيد من يوسف
القلب الى قوة المحبة والهوى وحثهما على القيام بالامر الالهى وترك
الفضول والامتناع عن تفرق الوجهة وتشتت الهم فان خاصية
الهوى التفرق والتوزع وتعبد الشهوات المختلفة للقوى المتنازعة
وخاصية المحبة فى البداية وقبل الوصول الى النهاية التعلق بحسن
الصفات والتعبد لها دون جمال الذات فدعاهما الى التوحيد بقوله
انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اى المشركين العابدين لاوثان
صفات النفس بل لوجود القلب وصفاته وهم بالاخرة اى وهم عن
البقاء فى العالم الروحانى محجوبون وبقوله ما كان لنا ان نشرك بالله
من شئ وبقوله ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اى
اذا كان لكل منكما ارباب كثيرة كما قال شركاء متشاكسون
يأمر هذا بامر وهذا بامر متمانعين فى ذلك عاجزين اما للمحبة
فكالصفات والاسماء واما للهوى فكالقوى النفسانية اهذه
خير ام رب واحد لا يأمر الا بامر واحد قهار قوى يقهر كل احد
لا يمانعه فى امره شئ ولا يمتنع عليه واخبرهما بالسياسة على
توحيد الوجهة فان القلب اذا غلب عليه الوحدة امتنعت
محبته عن حب الصفات وانصرفت الى الذات واذا تمرن فى التوحيد

انقمع هواه عن تعبّد الحظوظ والشهوات والتفرّق فى تحصيل اللذّات واقتصر على الحقوق والضرورات بامر الحقّ لا بطاعة الشيطان اذ علم ان يوسف لمّا قرّر امر التوحيد والنبوّة عاد الى تأويل رؤياهما التى سبق تقريرها فقال يا صاحبى السجن امّا احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربّه اى سيّده وهو الملك خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ماكان عليه اذ ما رأيت من حسن الحيلة هو حسن حالك واما الاغصان الثلثة فثلثة ايام توجّه الملك اليك عند انقضائهنّ فردّك الى عملك فتصير كما كنت بل احسن واما الآخر اى الخبّاز فيصلب اى يخرج بعد ثلثة ايام من السجن اذ السلال الثلث اشارة اليه فيصلب فتأكل الطير الطيور من رأسه من لحمه فقال كلاهما كذبنا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب او قال الخبّاز كذبت ما رأيت الرؤيا فقال يوسف قضى الامر فرغ منه وقطع الذى فيه فى معناه تستفتيان تسألان لانه رأيتما او لم تريا قلتماه وقلت لكما فكذلك يكون والمراد بالامر ما يؤل اليه امرهما ولذلك وحّده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وروى ان الخبّاز قال ليوسف غيّر هذا التعبير اعطك ثلثة الاف درهم قال يوسف انّ الله لا يكذب قول نبيّه وانّ النبىّ لا يسئل اجرا وروى انّ الخبّاز كان بخيلا فهلك والشرابى كان سخيّا وقال يوسف للذى ظنّ انّه ناج منهما من الشرابى والخبّاز قوله ظنّ يجوز ان يكون فعلا للذى ويكون على حقيقة الظنّ انه رجا بهذا التأويل ان يكون كذلك ويجوز ان يكون فعلا ليوسف اى للذى ظنّ يوسف انه ناج ويكون فى معنى العلم واليقين كما فى قوله يظنّون انّهم ملاقوا الله لانه علم ذلك بتعليم الله اياه وكان لا يشك فيه اذكرنى حالى عند ربّك

ملك اى صفنى عند الملك بصفتى وقصّ عليه قصّتى وقص عليه لعلّه يرحمنى فانّى مظلوم فقل له فى السجن غلام محبوس ظلما طال حبسه ولعلّه ان ينظر فى امرى ويخرجنى من السجن روى انه بعد ما مضى ثلثة ايام امر الملك ان يصلب الخبّاز على الجذع ونصب الشرابى مقامه الاوّل فسكر الشرابى من خمر الدولة فنسى تلك المواعدة حيث قال تعالى فانسيه الشرابى الشيطان ذكر ربّه ان يذكره لربّه فلم يذكره له فان قيل كيف يقدر الشيطان على الانسان قلنا ان الشيطان يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشئ من اسباب النسيان فلبث يوسف فى السجن بقوله اذكرنى عند ربّك ونسيانه بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع وعن ابن عباس رض من الثلاث الى العشرة وقال وهب لبث فى السجن بعد ذلك ثلث سنين وكان لبث قبل ذلك سبع سنين فتمت عشر سنين روى ان جبرئيل اتاه فى السجن فلمّا راه يوسف عرفه فقال يا اخا المنذرين مالى اراك فى منزل الخطائين فقال له جبرئيل يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام ربّ العالمين ويقول لك امّا استحييت منّى ان استشفعت بالآدميين فوعزّتى لالبثنّك فى السجن بضع سنين قال يوسف وهو بعد ذلك عنّى راض قال نعم قال اذا لا ابالى وقال كعب الاحبار قال جبرئيل ليوسف انّ الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن حبّبك الى ابيك قال الله قال فمن انجاك فى البئر قال الله قال فمن نجّاك من كرب البئر قال الله قال فمن علّمك تأويل الرؤيا قال الله قال ومن عصمك من القتل قال الله قال ومن عصمك من الفاحشة قال الله فقال انه يقول فكيف وثقت بمخلوق ورفعت حاجتك اليه ولم ترفعها الىّ قال يوسف كلمة ذلّتنى قال يقول الله عفوها اى بقى

فى السجن بضع سنين وفى روايت قال جبرئيل يقول الله تعالى احسبت
انى انساك فى السجن حتى استغثت بغيرى آدمى مثلك وانا اقرب
اليك واقدر على تخليصك لتلبثن فيه بضع سنين وفى رواية قال جبرئل
~~يقول الله تعالى احسبت انى انساك فى السجن حتى استغثت بغيرى~~
~~آدمى مثلك وانا اقرب اليك واقدر على تخليصك لتلبثن فيه~~
~~بضع سنين~~ قيل فيه دليل على ان الانبياء يعاتبون على الصغاير
معاتبة غيرهم على الكبائر وتلك الصغيرة غفلة بكلمة صدرت
من يوسف فالحصة انه لا بد للعاقل ان يسئل الحاجات كلها من الله
تعالى ولا يستعين من غيره روى ان بعض العارفين دعا بعرفات
وقال يا ربنا ان الناس يطلبون منك ضروب الحاجات بانواع اللغات
فتعطى ما سألوا وحاجتى لك ان تذكرنى عند طول ليلى اذ تنسينى اهل
الدنيا وروى ان يوسف قال لجبرئيل ما حال ابى قال هو فى بيت الاحزان
كظيم قال لم قال لحبك قال هل له اجر من اجل همه والمه قال نعم له
اجر تسعين شهيدًا قال الشيخ الامام الاجل ابو منصور الماتريدى
لم يستعن يوسف بغير الله تعالى وانما استعمل الاسباب كاستعمال
العبد فى معاشه الاسباب التى هو بها متعبد من نحو المكاسب و
اخذ الاسلحة وسائر ما تعبد المرء بامساك تلك الاسباب فهو
وان امره بالذكر عند سيده لما راه سببا لخروجه من السجن وهو
معتقد بان الله هو المخرج لكن ربما يجرى على يدى ملكه فلذا قال
اذكرنى عند ربك وما به باس وبوجه آخر انه كان اظهر رسالته
فى السجن فاحب ان يبلغ امره الى سيدهم ليتدبر انه حابس نبيا رسولاً
فيخرجه حتى يبلغ رسالته اليه رجاء اجابة منه حتى اذا اجاب
هو اجاب اتباعه ولا تكون رسالته مقصورة على اصحاب السجن

بل

وذلك الصغير غفلة بكلمة واحدة وهي [illegible]
ليوسف في الشيطان فلبث [illegible]
السجن [illegible]
[illegible]
فكان [illegible]
[illegible]

بل تكون نافذة فى القوم كلهم وربما وقع عند يوسف ان يسجنه
من غير علم الملك فاذا اخبر بحاله اخرجه ليس هذا منه استعانة
بغير الله ولكنه اجتهاد لمصالح العيش كسائر المكاسب وقال الامام
البشاغرى رحمه ويحتمل قوله اذكرنى عند ربك اى اذكر على الذى
علمنى الله من تاويل الاحاديث وحكم الرسالة لعله يرغب فيخرجه من
السجن حتى يتخلص وينجو شفقة منه عليه اذ هو كان عالما بان الفراعنة
المتقدمين كيف اهلكوا كما هلك من تقدمه من معذب الانبياء
ودليل انه لا يجوز صرف الاية الى استعانة يوسف بغير الله انه لو كان
هكذا لم يتكلف الشيطان انساءه اذ الاستعانة بغير الله من غير
رؤية تسبيب الله اياه شرك والشيطان يعين على اقامة الشرك فلما
انساه علم انه يذكر التوحيد ويجعله رسولا الى الملك باخباره عن
دينه الخالص لله فاحب الشيطان ان لا يعلم الملك من حاله ودينه
فيجيبه فانساه وحقيقة الانساء من الله تعالى اذ هو المقدر لكنه
اضيف الى الشيطان لان القبايح تضاف اليه لتكلفه فى تحصيلها
وقد يضاف الشئ الى متكلفه وان لم يكن هو المحصل فى الحقيقة و
ما ورد فى الخبر ان جبرئيل قال له فى السجن يقول الله تعالى اما استحييت
حتى استعنت بغيرى فقد حكمت عليك بالسجن بضع سنين وما
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يستعن
بصاحب السجن لما اغلق عليه باب السجن ساعة ان صحت هذه
الاخبار فانا لا نشهد عليها بصحتها اذ ليس فى القرآن شاهد لهذه
الاخبار فان صحت نفعناها انه عوتب بالتقصير فى الدعوة كان الكلام
فى دعوته قصيرًا لم يقف عليه الذى نجا من السجن وتوهم انه
يستعين بسيده وان كان هو محملا اياه رسالته اليه فى التوحيد

فعوتب انك لم تشرح عليه الكلام فقصرت الدعوت لا انك
اخطأت موقعها دليله قول جبرئيل بان الله عنك راض بعد سجنك
بضع سنين ولو كان فى باطنه وظاهره مستعينا بغير الله لم يكن
الله عنه راضيا واخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان يوسف جيت
حمل الناجى من السجن دعوته حملها غير مكشوفة حتى فهم منه
الناجى الاستعانة بسيده لتخليصه واخراجه فعوتب لقصور الدعوة
لا للخطاء من جهة الاستعانة ومعنى قوله عليه السلام لو لم يستعن لو لم
يتكلم بكلمة الاستعانة وان لم يكن مستعينا فى الحقيقة اذ الانبياء
كانوا مطالبين بافضل الاعمال واشرفها واطيب الكلام واحلاها والله
الموفق كذا ذكره النسفى فى التيسير ومن الخصص ان الله تعالى لا يكذب
نبيه يوم القيمة فمن يشهد له النبى صلى الله عليه وسلم فهو اهل
السعادة عند الملك المتعالى كالثانى ومنها ان السخى ينجو والبخيل يهلك
قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومنها
ان عبارة يوسف رؤياهما كانت غيبا يجب الايمان به اذا اخبر النبى
به فلا بد للمؤمن ان يؤمن بالغيب الذى يخبر به النبى صلى الله عليه
وسلم ومنها ان الشرابى والخباز كان عبدين للملك فحبسا فى السجن
ثم اخرجا فاحدهما صار مقبولا والاخر مصلوبا فكذلك عباد الله
بعد ما حبسوا فى سجن القبر يخرجون يوم القيمة فمنهم من يكون
فى جنات ونهر ومنهم من يكون فى عذاب وسعير كما قال تعالى فريق
فى الجنة وفريق فى السعير ومنها ان الرؤيا وجدت من كل منهما
وهى امر واحد وحكم رؤياهما مختلف فكذا الطاعة من حيث هى
واحدة تقبل من واحد ولا تقبل من اخر روى عن عامر بن عبد الله

انه كان يصلى فى يوم وليلة الف ركعة وكان يجتهد كثيرا فلما دنت
وفاته بكى فقيل له ما يبكيك قال اية فى القران وهى قوله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين فلا ادرى تقبل العبادة منى ام لا فجعلت
التقوى شرطا لقبول العبادة فكما لا تصح الصلوة الا بالطهارة لا
يصح العبادة الا بالتقوى لانه قدوس لا يصعد اليه الا الاعمال
المقدسة ومنها اجراء الزلات للانبياء يكون فى هذه الدنيا لانه
اذا احب الله عبدا عجل عقوبته ليطهره من ذلك فالويل لمن اخر جزاء
عمله الى يوم القيمة ومنها ان للانبياء والاولياء ملكا قويا وهو الله
تعالى فينبغى ان يطلبوا منه العون لا من المخلوق العاجز ومنها ان
بعض اهل الاشارة قال ان قوله اذكرنى عند ربك اثنى عشر حرفا فلبث
بكلامه هذا فى السجن اثنى عشر سنة وان قولنا بسم الله الرحمن الرحيم
تسعة عشر حرفا فمن يتكلم به يخلصه الله تعالى عن زبانية النار
وعددهم تسعة عشر كما قال تعالى عليها تسعة عشر واذا اريد
التفسير الانفسى يراد بقوله اما احدكما فيسقى ربه تعيين شان قوة
المحبة بعد السياسة بالمنع عن الشرك وهو تسليط حبه الذاتى على
الروح ويراد بقوله واما الاخر فيصلب بيان لما يؤل اليه امر الهوى
وصلبه منعه عن افعاله بنفسه ومنعه عن مقتضاه وتثبيته
وتقريره على جذع القوة الطبيعية النباتية وذلك هو امانة الهوى
فتاكل بعدها طير قوى النفس عن رأسه بامر الحق وهو الوقوف مع الحقوق
ويراد بقوله قضى الامر اى ثبت واستقر امركما على هذا وذلك وقت
وصوله وتقربه من الله وان ظهور مقام الولاية بالفناء فى الله
فاذا تم له الفناء استوى امر القوتين وانتهى زمان الخلوة بابتداء
زمان البقاء بالوجود الحقانى لكن لم يتم بعد وجود البقية المشار

اليه بقوله اذكرني عند ربك اى طلب الوجود فى مقام الروح بالمحبة
والاستقرار فيه فان المحبة اذا اسكرت الروح بخمر العشق ازهى الروح
الى مقام الوحدة والقلب الى مقام الروح فيسمى الروح فى ذلك المقام
خفيا والقلب سرا وهو ليس بالفناء لكونهما موجودين ح ممورين
بنور الحق ومن الوقوف فى هذا المقام ينشأ الطغيان والانانية فلذا
قال انسيه الشيطان ذكر ربه اى انسى شيطان الوهم المقهور المحجوب
عن جناب الحق رسول المحبة المقرب عند ارتفاع درجته واستيلائه
واستعلاء سلطانه والتحير فى الجمال الالهى والسكر الغالب ذكر
يوسف القلب فى حضرة الشهود لان المحب الشاهد للجمال الحيران ذاهل
عن الخلق كله وتفاصيل وجوده بل نفسه مستغرق فى عين الجمع
حتى يتم فناؤه وانقضى سكره ثم يرجع الى الصحو فيذكر التفصيل اعلم
انه روى ان مدة اللبث فى السجن لما انتهت ضاق على يوسف وقته
فليلة بكى ورفع رأسه الى السماء وقال يا ربنا انت المعبود وانا العبد
وانت الخالق وانا المخلوق وانت العزيز وانا الذليل اسئلك بحق
ابرهيم خليلك وبحق اسمعيل ذبيحك وبحق يعقوب اسرائيلك
ان تعيننى وترحمنى يا ارحم الراحمين فاذا هو بشاب جميل نقى الثياب
بين يديه يقول له السلام عليك يا يوسف فرده وقال من انت
ومن ادخلك السجن فوالله ان جداره لحصين وبابه لوثيق وليس
ينبغى لمثلك ان يحبس قال انا الروح الامين ورسول رب العالمين
قال يوسف يا اطيب الطيبين ورأس المقربين وود ورسول رب
العالمين ما ادخلك مدخل المذنبين ومنزل الخاطئين وقال جبرئيل
كيف يكون منزل الخاطئين وانت فيه يا اطهر الطاهرين وقرة عين
الصديقين قال يوسف تشبهنى بالصالحين وتعدنى من الصديقين

وقد

وقد ادخلت مدخل المذنبين وشبهت بالظالمين وحبست
فى سجن المجرمين قال جبرئيل يحبك رب العالمين وصبرك على
كيد المفترين سماك من الصديقين والحقك بآبائك الصالحين
واوجب لك ثواب الصابرين وهذا وقت فك عنقك وزوال
رقك وتصديق رؤياك ويهب الله لك مصر ويلقى لك المودة
فى قلوب اهله ويزكيك ربك حتى يبلغك برحمته ما بلغ اباءك
الصالحين ويرى الملك الرؤيا فيفزع منها وتعبر انت رؤياه عليه
وابشر ايها الصديق انك صفى الله وابن خليله وبين له تمام
الرؤيا وتأويلها وانصرف عنه فلم يلبث يوسف فى السجن الا
ذلك اليوم فلما جن الليل نام الملك فرأى تلك الليلة رؤيا فلما
اصبح جمع ملأ عظيما من قومه فقصها عليهم كما قص الله تعالى
وقال الملك ريان انى ارى رايت فى المنام سبع بقرات سمان
جمع سمين او سمينة وتلك البقرات خرجن من نهر يابس
او نهر مصر ثم خرج من بعدهن سبع بقرات عجاف يأكلهن
اى البقرات السمان سبع عجاف مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
فدخلن فى بطونهن فلم ير منهن شيئا وسبع سنبلات خضر
قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا آخر يابسات قد ادركت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها يا ايها الملأ
اشراف الناس والمراد عارفوه ومنجموه وكهنته وسحرته
افتونى فى رؤياى عبروها وفسروا الى رؤياى ان كنتم للرؤيا
اللام للبيان او لتقوية العمل فان الفعل بتأخيره عن مفعوله
ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية

76

قال يوسف عليه السلام لجبرئيل بل تعرف حال ابى واخوتى
قال ما ابوك فباكٍ يحزون واما اخوتك فجلون
قال ما ابوك ... اولسون دينيه
نارمون
بقرا سمز جنس بقره ... صغوردر ارككه اولسون
اولسون ... انافراد ... تانبث الجو ... وكلدى
جمع ... باشى
ضبغة المضارع لحكاية الحال الماضية

وعدم كونها صفة لسبع مثل سبع عجاف بل صفة
المميز وهو بقرات ليكون تمييز العدد بالنوع لانه الكل
من التمييز بالجنس والمقصود من التمييز رفع الابهام
اى اكلهن والعدول الى المضارع
لاستحضار الصورة تعجبا والجملة حال من البقرات
يوصف لها ابو السعود
قال الامام الرازى يجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما يقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا
منه وتعبرون خبر آخر او حال ويجوز ان يضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كانه ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا

التى هى مثالها من العبور وهو المجاوزة ومن الخصص ان
يوسف لما قرب فرجه دعا وقبل الله دعاءه ولم يدع قبل
ذلك لانه ما جاء وقت الاجابة كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اراد الله ان يجرى حكما من احكامه عقد لسان عبده
ومنها ان يوسف طلب الخلاص من الشرابى ظاهرا فانسيه
الشيطان فلما جاء وقته جعل الله تعالى رؤيا الملك سببا ومنها
انه كان ابتداء بلاء يوسف فى رؤيا رآها فاظهرها فجعل الله سبب
نجاته ايضا فى رؤيا رآها الملك واظهرها ليعلم الجميع ان الله تعالى
يفعل ما يريد ومنها ان من عادة الله تعالى اذا اعطى نبيا معجزة يكون
الكمّل من جنسها اكثر فكان معجزة يوسف عبارة الرؤيا والمعبرون
فى زمانه كانوا اكثر كما ان فى زمان نوح كان السباحون اكثر
وفى زمان موسى كان السحرة اكثر وفى زمان عيسى كان الاطباء
اكثر وفى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم كان الفصحاء اكثر •
واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان يوسف القلب لما انتهى فناؤه
وبالانغماس فى بحر الهوية وانقضى زمان السجن اجله الله تعالى
محبوبه ووهب له وجودا من ذاته وهو الملك فاراه صورة
التبديل فى صفات النفس مدة اعتنى له عنها بالخلوة والسلوك
فى الله بصورة اكل البقرات العجاف السمان وفى صفات الطبيعة
البدنية استيلاء السنبلات اليابسات على الخضر اعلم ان الملك
لما رأى ما رآه قلق بسبب انه شاهد ان الناقص الضعيف
استولى على الكامل القوى فشهدت فطرته بان هذه الرؤيا
صورة شر عظيم فى مملكته فاشتاق ورغب فى تحصيل المعرفة
بتعبير رؤياه بجمع المعبرين من العلماء والحكماء ثم انه تعالى

قال ابن الشيخ اعلم انه لما دنا وقت خلاص يوسف
من السجن دبر الله تعالى لخروجه منه تدبيرا خرج
بسببه عن السجن على وجه ادى ذلك الخروج
الى ان يتحقق رؤياه التى رآها عند ابيه صغيرا
من سجود احد عشر كوكبا والشمس والقمر له وذلك
التدبير انه تعالى ارى ملك مصر وهو ريان رؤيا
عجيبة هائلة واضطرب بسببها وقال ان استيلاء
الضعيف الناقص على الكامل القوى لا بد ان يكون
صورة شر يظهر فى المملكة فيغير حالها ويفسدها
الا انه لم يعلم ان ذلك الشر على اى كيفية يظهر
وانه هل له من تدبير يخف بسببه دفعه عن الخلق
فتشوق ورغب فى تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه
فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال
لهم يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ثم انه تعالى
العجز من حضر عنده عن تعبير رؤياه
ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف من ضيق
الحبس كما حكى الله تعالى

العجز المعبرين الذين حضروا عنده ليظهر شرف يوسف عم ويكون
سببا لخلاصه من السجن كما قال سبحانه عز وجل قالوا اى الملاء
اضغاث احلام خبر مبتدأ محذوف والاضافة بمعنى من اى هذه
اضغاث من احلام اى تخليطها واباطيلها والاضغاث جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها الرؤيا باطلا كان او حقا
وقد يخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله عليه
السلام الرؤيا من الله والحلم من الشيطان وايراد لفظ الجمع مع كون
رؤياه واحدة للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان او لتضمنه اشياء
مختلفة متباعدة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام
المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل
للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله
فاللام فى الاحلام للعهد والمعهود ما صرحوا به من قولهم
اضغاث احلام كانهم قالوا الاحلام على قسمين منها
ما يكون منتظمة ومنها ما يكون مختلطة اخبروا انهم غير عالمين
بتعبير الثانى وان جهله ليس بشين ولا حكم له قال وهب فلما
لم يدر الملاء تاويلها وعجزوا قالوا ايها الملك ان الاحلام
ليست تصدق كلها واكثرها كذب ونحن نرجو ان يكون حلمك
اضغاثا ومن ذا الذى يخاف ان يدخل عليك فى ملكك وسلطانك
اعز من ذلك وحولك اكثر ورجالك اقوى واحفظ عليك
وكان الشرابى الذى كان مسجونا مع يوسف واقفا على رأسه
فتذكر يوسف فقال ائذن لى ايها الملك ادخل سجنك وآتك منه
بتاويل رؤياك فان فيه رجلا عليما حكيما من آل يعقوب فاذنك

قال النيسابورى اعلم ان الله سبحانه خلق جوهر
النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك
ومطالعة اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك
فى اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وما يرد
عليها من طرائق الحواس وفى وقت النوم يقل تلك
الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا
وقفت الروح على حال من تلك الاحوال فان بقيت
فى الخيال كما هى لم يحتج الى التاويل وان نزلت
آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحانى
الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى التعبير ثم منها ما هى
منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المخيلات
الى الحقائق الروحانية ومنها ما يكون مختلطة
لا ينضبط تحليلها وتركيبها لتشويش وقع
فى تركيبها وتاليفها فهى المسماة بالاضغاث
وبالحقيقة الاضغاث ما يكون مبدأها
تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع فى القوة
البدنية ولو ارادوا ما عزب عليه من خارج لكن
القسم المذكور فقد بعد من الاضغاث من جهة
انها اعيت المعبرين عن تاويلها انتهى منه

عند احد من اهل الارض علم من رؤياك فهو عنده فانّ الناس
اليوم يقولون انهم لم يروا مثله علماً وحلماً وحكماً وقد كنت انا
وصاحبي الذى قتلته وكنّا رأينا فى السجن حلماً فعبّره لنا وصار كما
قال امّا انا فنجوت واما صاحبي فقتل فارسلنى اليه آتك بتأويل
رؤياك و فرّج عنك هذا الغمّ فقال الملك لئن فعلت ما تقول لاكرمنّك
ولاعطينّ مالك من العزّ والشرف فانطلق هذا معنى قوله تعالى وَقَالَ
الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا من صاحبى السجن وهو الشرابى وَادَّكَرَ بدال
مهملة وذال معجمة اصله اذتكر امّا حال من الموصول او عطف على
نجا او اعتراض بَعْدَ أُمَّةٍ بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة
يعنى سبع سنين وقرئ إِمَّةٍ بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما
انعم عليه بالنجاة وامة مخففاً مصدراً اى نسيان ومقول القول
قوله أَنَا أُنَبِّئُكُم أخبركم وقرئ آتيكم بِتَأْوِيلِهِ بتعبير ما رأيته من
الرؤيا باخذى اياه من عند من يعلمه فَأَرْسِلُونِ ارسلنى ايها الملك
الى من عنده علمه او الى السجن وانّما خاطبه بلفظ الجماعة للتعظيم
لانّ الملوك والجبّار يخاطبون به فارسله الملك فانطلق حتى دخل على
يوسف فى السجن فاعتذر اليه بما انسيه الشيطان ذكر ربّه
وعظم يوسف فاخبره خبر الملك وقصّ عليه رؤياه وقيل لما
استعبر الملك فعجزوا تذكر الشرابى يوسف وتعبير رؤياه ورؤيا
صاحبه وطلبه ان يذكره عند ربّه فقال ايها الملك انّ رؤياك
لا يعلم تاويلها الّا الغلام العبرانى المحبوس فتغيّر وجه الملك فقال
انّى ما ذكرته منذ سنين قال الشرابى انا مثلك وقال الملك اذهب
فذهب ودخل عليه ووضع كمّه على وجهه استحياءً منه فقال
يوسف ارفع كمّك فانّ الشيطان انساك فقصّ عليه رؤيا الملك

فعبّرها

فعبّرها يوسف كما حكى الله سبحانه يُوسُفُ يا يوسف أَيُّهَا الصِّدِّيقُ
ايها البليغ فى الصدق انما وصفه به وهو المبالغة فى الصدق لانه
جرّب احواله وعرف صدقه ولم يجر عليه كذب أَفْتِنَا فِى سَبْعِ
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
اجبنا فى تلك الرؤيا التى رآها الملك لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ بفتويك
اى اعود الى الملك من عندك او الى اهل البلد اذ قيل انّ السجن لم يكن
فيه لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ تأويلها فانهم غير عالمين به او فضلك ومكانك
فيخرجون من السجن وانّما لم يبتّ الكلام فيهما لانه لم يكن جازماً
من الرجوع فربّما يموت قبل الرجوع او فى الطريق ولا من علمهم قال
الامام ابو منصور الماتريدى فى قوله لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون
يحتمل وجوهاً يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة وليست
كما قالوا انها اضغاث احلام ويحتمل يعلمون فضلك على غيرك من
الناس ويحتمل يعلمون انك تصلح لحاجاتهم فيرفعونها اليك كما
صلحت لتعبير رؤياهم انتهى فعبّرها يوسف وهو فى السجن فقال
اما السبع البقرات السمان فهى سبع سنين مخصبات واما السبع العجاف
فهى سبع سنين شداد واما السبع السنبلات الخضر فهى كثرة الزرع
فى ارض مصر واليابسات هى القحط وسيجئ تفصيله ومن الحصر
ان الحلم لعب الشيطان فى النوم وكذا الاحتلام والصبى محفوظ
من الشيطان فاذا قرب البلوغ يبتلى ببلائه بالاحتلام فالشيطان
يلعب بابن ادم اولاً فى النوم بالاحتلام وفى اليقظة بالشهوة ومنها
انّ جوابهم كان على مقتضى العقل حيث لم ينسبوا الجهل الى انفسهم
ولم يقولوا للملك لا عبرة لرؤياك ولكنهم قالوا فى حق الحق باطلا وهو
مذموم ولذا قال صلى الله عليه وسلم اللهمّ ارنا الحقّ حقاً وارزقنا

اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ومنها ان من عادة
المعاندين ان يطعنوا العلم الذى لا يعلمونه كما ورد ان المرأ عدوّ لما جهله
فكتموا جهلهم بالطعن فى رؤى الملك ومن عادة المنصفين ان يعترفوا
بعدم علمهم سئل عالم عن مسئلة قال لا اعلم قيل له هل يصح لمثلك
ان يقول هكذا قال ان ملائكة الله قالوا لا علم لنا وسئل عن ابى حنيفة
بعض المسائل فقال لا اعلم روى عن على رض انه قال سئلونى عما
اعلم وعما لا اعلم قالوا لم نسئلك عما لا تعلم قال حتى اقول لا اعلم ويكون
تعليما لمن لا يعلم ان يقول فيما لا يعلم لا اعلم ومنها ان الله تعالى افرد يوسف
من بين الناس بشيئين بحسن الخلق وبزيادة العلم فصار جماله
سبب بلائه وصار علمه سبب نجاته ليعلم مزية العلم على غيره ولهذا
قيل العلم يعطى وان كان يبطى ومنها ان اهل السجن رأوا فى المنام
ان يوسف جلس على السرير ولبس التاج فعرفوا ان له دولة و
خروجا من عندهم فبكوا على فراقه فلعا قل ان يعرف قدر صحبة
الصلحاء ويبكى على فراقهم واذا اريد التفسير الانفسى يراد بالملاء
الذين قالوا اضغاث احلام هى القوى الشريفة من الفكر والعقل
المحجوب بالوهم والوهم نفسه المحجوب عن سر الرياضة والتبديل
كما ترى المحجوبين بها تعدون احوال اهل الرياضات من الخرافات
ورسول المحبة الذى ادكر بعد امة انما تذكر بواسطة ظهور ملك
روح القدس وانجائه واراءته تفاصيل وجوده بالرجوع الى الكثرة
بعد الوحدة اعلم ان يوسف لما عبر الرؤيا ارشدهم الى مصلحتهم
وتدبيرهم فى هذا الامر حيث حكى الله تعالى قال تزرعون تحرثون
فهذا الكلام نصيحة خارجة عن عبارة الرؤيا سبع سنين زراعة
متوالية فى هذه السنين دأبا بتحريك الهمزة وسكونها وهو حال من

المأمورين بمعنى دائبين بجد واجتهاد على عادتكم المستمرة فى الزراعة
او مفعول مطلق لفعل مقدر اى تدأبون دأبا والجملة حال وقال
الرازى هى خبر فى معنى الامر نحو يؤمنون بالله واليوم الآخر
والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله والمعنى
ازرعوا اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم
ما قطعتم من الزرع فذروه فى سنبله اتركوه فى كعبره فلا
تدوسوه ولا تذروه لانه ابقى له لكم لكى لا يأكله السوس الا قليلا
مما تأكلون فى تلك السنين فلا بد من دياسته وتذريته وتنقيته
ثم يأتى من بعد ذلك بعد ما مضى سبع سنين فى الخصب سبع
سبع سنين شداد صفة سبع اى سبع سنين مجدبة فيها الضيق
والشدة يعنى القحط يأكلن يأكل اهلهن اسند الى السنين على
المجاز لان اكل الناس يكون فيها ووجه اخر ان معناه يفنين كقولهم
اكلهم الدهر اى افناهم ووجه آخر انه لما كان فى الرؤيا سبع
بقرات عجاف اكلن سبع بقرات سمان وكانت البقرات مبتلا
للسنين اخرج الجواب فى العبارة مطابقا للفظ السؤال مراعاة
للبلاغة ما قدمتم لهن ما ادخرتم لاجلهن مما كان حصل
فى ايديكم من فضل ما زرعتموه فى السبع الماضية الا قليلا
مما تحصنون تحرزون فى الحصن لبذر الزراعة ثم يأتى
من بعد ذلك القحط عام فيه يغاث الناس يعطون الغيث
يعنى يمطر الناس اذا الغيث المطر وقيل يعطون الغوث يعنى
يغاثون ويخلصون من القحط وفيه فى ذلك العام يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون والسمسم لكثرة الثمار فهو بيان
كثرة النعم وانتفاع الناس وقيل يحلبون الضروع وهذه بشارة

من يوسف بشرهم بها بعد ان اوّل البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة
وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع فى السنين المخصبة فى
السنين المجدبة ولعلّه علم يوسف ما بشّره بالوحى او بان
انتهاء الجدب بالخصب او بان السنّة الالهيّة على ان يوسّع
على عباده بعد ما ضيّق عليهم ومن الحصص ان الله تعالى ذكر
من هذا الساقى ادبا فانه لم يذهب الى السجن للسؤال الا باذن
الملك فلا بدّ للخادم ان يستأذن من المولى ومنها انه تعالى ذكر
من يوسف كرمًا فانه عجّل جوابه بسؤاله ولم يعاتبه على
ما كان منه من نسيانه نظرا الى صبره وكرمه فانه لم يقل
اخرجونى من السجن لافسّر المنام الذى عجز علماؤكم عن
تفسيره ومنها ان يوسف زاد على العبارة حيث دلّهم على
الخير وارشدهم الى المصلحة فى العاقبة فلا بدّ للعالم ان ينصح
الغير ويرشد الى الخير وانه يرى المآل كما يرى الحال ومنها انه
لا بدّ للعاقل ان يدّخر من الاعمال والزاد للآخرة ومنها
ان البشارة امر مستحبّ فان الانبياء مبعوثون للتبشير
كما انهم مبعوثون للانذار واذا اريد التفسير الانفسى
يراد بالزراعة سبع سنين العمل فى ايام الصحّة وان يدّخر حاصل
عمره للآخرة وان يصرف قليلا الى الاكل اذ بعد الخصب ايام
شداد من زمن المرض والموت ثم يأتى بعد ذلك فرج من الله تعالى
روى ان رجلا قال لعالم عظنى موعظة جامعة قال من ضيّع ايام
حراثته ندم ايام حصاده اعلم ان الساقى لما سمع من يوسف
عبارة الرؤيا ورجع الى الملك واخبره بالذى ذكره يوسف

واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها من جهة الوحى فبشرهم بها بعد ما اوّل الرؤيا وامرهم بالتدبير اللائق فى شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه فى الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته فى المنام على نحو قوله لصاحبيه لا يأتيكما طعام ترزقانه الخ وانما ما المنعم عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام لوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها فى المنام ذكره ابو السعود

قيل ان الله تعالى ذكر فى حكاية هذه القصة من الساقى ادبا ومن يوسف كرما اما ادب الساقى فهو انه لم يذهب الى السجن للسؤال الا باذن سيده واما كرم يوسف فهو انه عجل جواب سؤاله ولم يعاتبه على ما كان منه من النسيان ولم يقل انى كنت وصيتك حين خرجت من السجن بان تذكر حالى عند الملك كى يخلصنى ولم تذكرنى حتى وقعت لكم الحاجة الى ذكره ابن الشيخ

استحسنه

80
استحسنه الملك وانكشف عنه كربه وحزنه فطلب ان يحضر
وقال ائتونى بهذا الرجل الحكيم العليم اكرمه واشرفه وارفع منزلته
منى فانه ليس مثله يضيّع ويهان ولا يعذّب كما قال الله تعالى وقال
الملك ريان ائتونى به احضروا يوسف فلما جاءه الرسول اى
الساقى الى يوسف ليخرجه واخبره بذلك وادّى رسالة الملك
قال كيف ارجو كرامته وقد لبثتُ فى سجنه عشر سنين وهو يعرف
عذرى وبراءتى فلم يرحمنى ولم ينصرنى ولم ينصفنى ممّن ظلمنى
لا آتيه ابدا حتى يجمع النسوة اللاتى كذبن وافترين علىّ وظلمننى
فيوبخهنّ بكيدهنّ ومكرهنّ ويقررن له بذلك على انفسهنّ
ويبرئنى ببراءتى وعذرى قال وهب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله اخى اذ دعى الى الخروج من السجن فلم يفعل انه
كان حليمًا ذا اناة ولو كنتُ انا المحبوس لبادرت الباب فالحاصل
ان يوسف ابى ان يخرج من السجن الا بعد ان يتفحّص الملك عن
حاله مع النسوة كما قال الله تعالى قال يوسف للساقى ارجع الى ربك
الى سيّدك ريان فاسأله ربك ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن
انما انّى فى الخروج وقدّم سؤال النسوة وتفحّص حاله ليظهر براءة
ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى
تقبيح امره وقال ابن عباس رض لو خرج يوسف لم يزل فى قلب
الملك منه شئ فان قيل لم قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل
فاسأله ان يفتّش عن حالهنّ قلنا انما قال فاسأله ما بال تهييجا
على البحث وتحقيق الحال وذلك ان فعل السؤال علّق بكلمة ما التى
للسؤال عن الحقيقة فقد امر ان يطلب من الملك كشف حقيقة
حالهنّ من حيث ان الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشئ

قيل انه لم يتعرض لزليخا مع انها صنعت به من الجد في دخوله السجن كرمًا ومراعاة للادب ولذا اقرّت زليخا بذنبها بقولها انا راودته ومن الحصص ان العلم سبب النجاة والعزة ومنها ان كمال العقل يقتضي الصبر باظهار الفضل اذ بعد الحبس سنين لم يستعجل في الخروج ومنها انه ينبغي للعاقل ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها قال عليه السلام اتقوا مواضع التهم وفي رواية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم ومنها ان الصبر محمود وصاحبه ممدوح ولهذا قال تعالى وبشر الصابرين الاية ومنها ان الكرم يقتضي ان يحسن المراء المسيء ولا يهتك ستره ومنها ان زليخا كانت احبته وانعمت عليه فيوسف لم يرض الشكاية عنها ومنها ان زليخا اتهمت بسبب حبه فلم يرض يوسف ان يذكر تهمتها مرة اخرى فالله تعالى لا يرضى ان يفشي عيب عبده يوم القيمة ومنها ان يوسف لم يرض ان يخرج من السجن معيوبًا فينبغي للمؤمن ان لا يرضى بالخروج من سجن الدنيا بعيب الذنب ومنها ان يوسف بذل علمه ولم يطلب العوض والخروج ومنها انه تسلى نفسه بانه وقع في مكر النسوة وبان الله تعالى بمكرهن عليم وهو بريء من التهمة ولهذا قال ان ربي بكيدهن بمكر النسوة عليم قيل اراد بربي سيدي وهو العزيز اي ظاهر عند العزيز فاحب وضوح ذلك عند الملك الاعظم ايضا واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالملك العقل المعاد وهو يطلب حضور يوسف القلب وهو لا يرضى به الا بعد ان تبين ان النسوة اي القوى النفسانية اضلته فان مكرهن عظيم اعلم ان الشرابي لما رجع من عند يوسف الى الملك واخبره بما قال ارسل الى النسوة وجمعهن ثم سألهن كما

كما خرج البخاري ومسلم عن انس رضه انه قال جاءت صفية رضي الله عنها زوجة النبي عليه السلام تزوره في اعتكافه فتحدثت عنده ثم قامت وقام النبي عم معها فلما بلغا باب المسجد مر رجلان من الانصار فسلما على النبي عليه السلام واسرعا فقال لهما عليه السلام على رسلكما انها صفية فقالا سبحان الله كيف نظن بك سوء يا رسول الله فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم اني خشيت ان يقذف الشيطان في قلوبكما شيئا فتهلكا وان اردت تفصيل المعنى فارجع الى مبارق الازهار شرح مشارق الانوار منه

اي بفعلهن القبيح لا يعلمه غيره فيجازيهن به قال صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف ان كان لذا اناة ووقار وصبر ولو كنت انا لاسرعت الا ادا الاجابة بقوله عليه السلام صفحا لنفسه وفيها دليل على وجود الاجتهاد في نفي التهم فعل يوسف عليه السلام في ذلك لقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم عيون

حكى الله تعالى قال الملك لهن ما خطبكن ماشانكن وحالكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن الخطاب للنسوة او لزليخا والجمع للتعظيم قال وهب قال لهن ماحملكن على ما فعلتن بيوسف اذ ما لأتن عليه سيدته وامرتنها ان تسجنه وتهينه وتعذبه ودعوتنه الى انفسكن فلما ابى واستعصم قلتن فيه الكذب والزور قلن اي النسوة تعجبًا من عفته وصيانته حاش لله معاذ الله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب ولقد قلنا فيه الكذب والزور وانه لهو البريء النقي التقي المكذوب عليه المظلوم فلما رأت امراءة العزيز ان النسوة شهدت عليها اعترفت بذلك فذلك قوله تعالى قالت امراءة العزيز زليخا الآن حصحص الحق ظهر الحق وزالت الشكوك عنه انا راودته عن نفسه يوسف وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وهذا من بركة علم يوسف وطهارته وصدقه فكل من عمل بعلم وتشبث بذيل الصدق ينجو من سجن الدنيا وسجن القبر ولما عاد الشرابي الى يوسف عم واخبره بما جرى بين يدي الملك من شهادة النساء قال ذلك اي التثبت في السجن ليعلم العزيز اني لم اخنه في امرأته بالغيب بظهر الغيب وهو ظرف فاذا ظهرت برائتي عند العزيز ظهرت عند غيره وعند الملك وقيل اي ليعلم الملك اني لم اخن الملك لان خيانتي لخازنه وخادمه خيانة له وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يرضى او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة فيه وهذه الجملة عطف على قوله لم اخنه وفيها تعريض زليخا في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله

اي تنزيها وصيانة عيون

بالفرق في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من ابو السعود

معترفة بذنبها خوفا ان يشهدن عليها

لانه راودني عن نفسه ابو...
اي طلبت ان يمكنني من نفسه عيون

اي الذنب فعلت من رد رسول الملك اليه والتثبت في السجن عند دعوة الملك اياه اي عيون

ويحتمل ان يكون فيها تعريض للعزيز حيث كان قد علم بالشواهد براءته ثم خان امانته في حبسه بمجرد اقوال تلك النساء بعد قوله ان كيدكن عظيم ولو كانه عم خاننا في حق الله تعالى وحرم سيده لما نفذ حكمه وظهر طهارة ذيله السنهة فالحاصل ان كيده ايضا لم ينفذ ولم يسدد وفي الكلام تعريضان منه

وما ابرئ نفسي لا ازكي نفسي مع برائتي من هذه الخيانة وقيل لا انزهها من الخطاء والزلل وانما قال هكذا تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق ان النفس جميع التي من جملتها نفسي في حد ذاتها النفوس البشرية لامارة لمكثرة الامر والدعوة بالسوء بالمعاصي وشهواتها وتهمتها يعني من حيث انها مائلة الى المعصية والشهوات فيهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي كلمة ما مصدرية والمصدر المأول في محل النصب على انه مستثنى مفرغ والتقدير لامارة بالسوء في كل الاوقات الا وقت رحمة ربي او موصولة على انه مستثنى من المستتر في امارة والتقدير الا ما اي نفسا رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه ربي يسلم عن طاعتها ان ربي لغفور يغفر هم النفس ويستر عيوب عباده رحيم يرحم من يشاء بالعصمة وعن اصله البراهين والتنبيهات وفي كتاب عصمة الانبياء في قوله قال ارجع الى ربك ان يوسف عم اظهر التأني والوقار في الخروج من السجن لا كالفجر القلق اذا وجد الخلاص بادر للخروج لبتبين الراضي بالقضاء والمسلم للحكم والمفوض للقدر من الساخط لمقسوم المكاره والثاني جرى على انتظار الوحي لئلا يكون مستبدا برائه والثالث انه علم استخلاص الملك اياه فاحب ان لا يبقى اثر تهمة من تلك الحادثة التي كانت جرت حتى ينظر اليه بعين الامانة ويعده من اهل الصيانة فيصفوله استخلاصه قال اهل الاشارة وكذلك حكم الامانة والصيانة عند مالك الملوك فمن ظهر امانته جعله من خاصته واستخلصه لذاته وقول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو كنت ارى الادخال والاخراج من الله فتكلم عم عن مقامه من الفراغ عن الافكار في المخلوقين ودنا منهم

ودنا

وثانيا وان كان ليوسف هذا المقام لكن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اعلى واكمل فليس فيه امنه عيبا على يوسف انما هو ابانة لمقدار وسع يوسف
في التسليم للحكم والثاني ان يوسف احب ظهور براءته ونظافته ليكون
زوج المرأة ملاحظا له بعين الاجلال لا بعين الاشتغال كالمسجون من جهة
انسان يخرجه السلطان لحاجته اليه وخصمه كاره لخروجه فالخارج من السجن
يكون قلبه منقسما وخاطره متوزعا بما يتفكر من اشتغال خصمه وكراهته لخروجه
واحتياله ثانيا لاعادته الى السجن اذا خرج بغير رضاه فاراد ان يكون خاطره
لاقامة ما يفوض اليه من الامانة بغير تشويش يقع في فكرته ولانه كان كريم ابن
الكريم وكان لا ينكر صنايع زوج المرأة فاحب ان يصفو قلبه اذ اخاطره
بشيء من مقالات امرأته بظهور صفوته مشاهدة وهذا في المروة والانسانية
مندوب اليه وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو في اعلى درجات العبودية واشرف
مقالات الاكتفاء بالله بارضاء عباده عنه من غير تكلف وكل جرى على ما كشف له
وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فيه دليل على ان الخصم يجب ارضاؤه
وان كان الله عنه راضيا وان ارضاءه باظهار ما جرى بينه وبين الخصم فاجب
ان يرضى الرجل فلا يداخله شيء من حديثها تكرما من يوسف واستعطافا لمحبته وقوله
وما ابرئ نفسي الآية امانة منه ان امتناعه عن اجابتها لم يكن من قوة نفسه
وانما الحول والقوة بالله وقوله الا ما رحم ربي اي لو تركت انا وطبع البشرية
لكنت عاملا بطبعي كما عملت هي لكن لما اقيم مقام العصمة عامله الله بالرحمة
وانت طباع النفس الامارة بالسوء وهو ذكر منة الله تعالى عليه في التوفيق
والعصمة واقامته مقام العز الذي بين الناس انه عز دنيوي وفيه
دليل على ان معاملة الناس على الاستقامة تستتبع الرفعة والعز والثناء
الجميل وذلك نعمة من الله وليس بنقص في مقام النزاهة والصفوة وان الاستقامة

في المعاملة افضل منها في الخلوة ذكره النسفي رحمه و في الحصص ان الملك
عاتب النسوة لاجل يوسف وكان ذلك عناية له ولذا قيل العناية الازلية
هي الكفاية الابدية ويقرب من هذا ما قيل عناية القاضي خير من مائة شاهد
ومنها ان زليخا لم تكن متناهية في محبة يوسف في الابتداء فجعلت ذنبها
عليه فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءً فلما تناهت في محبته اقرت
بالذنب على نفسها فقالت الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه والمتناهي
في الحب لا يبالي بانهتاك الستر وظهور السر ذكره القشيري ومنها انه لم يرد
افضاح زليخا او النسوة والعقوبة بل اراد براءة ساحته فلا بد للعاقل ان يتفكر
في مثل هذه الحالة ويعمل بما عمله ذلك الكريم ومنها ان يوسف اراد به شكر الله
تعالى بان عصمه او تنبيه عما وقع منه من الغفلة كما روي عن انس بن مالك رضه
ان الله تعالى اوحى الى يوسف لقوله للشرابي اذكرني عند ربك كما مر تفصيله ومنها
ان يوسف لم يرض الخيانة في حق المولى المجازي فينبغي للعبد ان لا يخون المولى
الحقيقي ومنها ان الله تعالى لا يهدي كيد الفاسقين وكيد اهل الرياء كما لا يهدي
كيد الخائنين كما مر ومنها ان زليخا لما اعترفت بذنبها طلقها العزيز وهذا في الصورة
فراق وفي المعنى وصلة اذ به وصلت الى يوسف فكذا الموت فراق صورة ووصلة
معنى والصدق يوصل الطالب الى المطلوب ومنها ان زليخا قالت في حق يوسف
كلمات ثلث احديها قولها الان حصحص الحق والثانية قولها انا راودته عن نفسه
والثالثة قولها وانه لمن الصادقين فاعطاها الله تعالى ثلث فضائل
المعرفة والعزة والوصلة وكذا يعطي الله المؤمن المعترف به فضائل كما قال
تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ومنها
ان تزكية النفس منهي عنها كما قال تعالى فلا تزكوا انفسكم ولذا قال يوسف
وما ابرئ نفسي وقال آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا ولذلك تاب الله

عليهما

عليهما ومنها ان النفس لامارة بالسوء فلا ينبغي للمؤمن في العاقل ان يحسن
الظن بها روي ان واحدا من العقلاء كان يأكل خبز الشعير والملح ولا يبتغي غيرهما
وسئل عنه فقال ان نفسي لا ترحمني فان رحمتها تجلب الضرر الي فهي اعدى عدوي
فلا ينبغي ان احسن اليها واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقول النسوة وامرأة العزيز
تنور النفس والقوى بنور الحق واتصافها بصفة الانصاف والصدق وحصول
ملكة العدالة بنور الوحدة وظهور المحبة حالة الفرق بعد الجمع وكمال طمانينة النفس
لاقرارها بفضيلة القلب وصدقه وذنبها وبراءته فان من كمال اطمينان النفس
اعترافها بالذنب واستغفارها عما فرط منها حال كونها امارة وتمسكها بالرحمة
الالهية والعصمة الربانية اعلم ان يوسف لم يبادر الخروج من السجن حتى يظهر براءة
ساحته وظهر ذلك زاد حبه في قلب الملك فاراد ان يجعله خاصة نفسه كما حكى الله
تعالى فقال وقال الملك ريان وقيل اي ملك مصر وهو الوليد بن ريان بعد هذا كله
ائتوني به جيئوني بيوسف استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي دون غيري
وافوض اليه امور مملكتي لما ظهر من علمه وصلاحه روي انه بعث اليه لباس الملوك
وتاج الملوك فلبس الثياب وارسل اليه سبعين حاجبا وسبعين مركبا
لاستحضاره فلما خرج ليركب قام اليه اهل السجن يبكون لفقده وكانوا
النسوابه والغوابره وحسانه فدعا لهم وقال اعطاكم الله الصبر واليقين
وثواب الشاكرين وطهركم من الذنوب وآمنكم من الهوام والعقارب و
الحيات وقال حين خرج اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار وقص عليهم النهار
ولا تقطع عنهم الاخبار ومن ثم يقع الاخبار عند اهل السجن قبل ان يقع عند
عامة الناس غالبا ولما خرج كتب على السجن هذه منازل البلوى وجهنم
الدنيا وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولما سجن
يوسف كانوا اركبوه على حمار اعجف وقيدوه بالسلسلة وكان ينظر الناس
اليه بالحقارة ولما خرج من السجن ركب الفرس الفاره وكان بين يديه حجاب الملك

لا يشاركني في صحبته غيري لانه استخصر العزيز واورث
من يوسف عم لانه ظهر خبرته وكونه من اولاد الانبياء
ومن عادة الملوك جعل النبي النفيس خالصا لنفوسهم
ذكره الواني ✻

يقولون طرقوا وكان الناس يتعجبون من حاله ويسئلوا بعضهم عن سبب غربته فيجاب
انه اجاب تاويل رؤيى الملك وبهذه الحال جاء الى دار الملك فلما دخل على الملك
قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
فلما كلمه وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلم يوسف بكل فاجابه يوسف
بكل ذلك حتى اذا فرغ دعا له يوسف بالعبرانية ولم يكن الملك يحسنها فقال
ماهذا اللسان يا يوسف قال لسان آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب
فلما اراد الخروج من عنده سلم عليه بالعربية ولم يكن الملك يحسنها فقال
ماهذا اللسان يا يوسف قال هذا لسان عمي اسمعيل وازداد الملك عجبا
مما سمع من يوسف واعجبه علمه وحلمه وحكمه ولما رأى الملك نور وجهه ضمه الي
نفسه وكذا المؤمن يكرم بنور وجهه كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم روى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل انه كيف يعرف امته يوم القيمة قال امتي غر محجلون
يوم القيمة من آثار الوضوء ثم ان الله تعالى حكى ما جرى بين يوسف والملك حيث قال
فلما كلمه بعد مضي اي فلما اتى به يوسف عليه السلام كلم الملك يوسف او كلم يوسف الملك
شفاها وشاهد منه الرشد وجودة الرأي قال الملك انك اليوم لدينا عندنا مكين
ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء قال الامام القشيري لما اتضح للملك
طهارة جيبه ونزاهة غيبه استحضره للاستصفائه لنفسه واختصاصه لانسه
فلما كلمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه وضمن بره واحسانه فقال انك اليوم
عندنا ذو جاه وحال امين على خزائن الاموال روي ان الملك قال ليوسف
اقصص رؤياي فاني احب ان اسمعها منك فقال يوسف رأيت سبع بقرات
سمانا عظاما شهبا غرا كنيف لك عنهن النيل فطلع عليك من شاطئه تشخب
احلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه
وبدا يبسه فخرج من حمائه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات
البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف لهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب

وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السباع
فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن
فبينا انت تنظر وتتعجب اذ سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد
وعروقهن في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك اني هذا وهؤلاء
خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء
اذ هبت ريح فذرت الارغاب من اليابسات السود على الخضر المثمرات
فاشعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت
من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا مرتاعا فقال الملك والله ما شان
هذه الرؤيا وان كان عجيبا بأعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي
ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام في سني الخصب وتبني
الاهواء والخزائن فتكنه فيها بقصبه وسنبله فيكون قصبه وسنبله علفا
للدواب ويكفيك واهل مصر ومن حولها الطعام في سني الجدب فياتيك
الخلق من النواحي ممتازون منك يجلبك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم
تجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن بهذا ومن يجمعه ومن يبيعه ويكفي الشغل
فيه قال يوسف عم ان الله اوحى الي اني اقوم به واكفي الشغل فيه
قال الملك ومن احق به دونك وذلك قوله سبحانه قال يوسف اجعلني على
خزائن الارض وليني على خزائن الاطعمة والاقوات والعلوفة التي في ارض مملكتك
وهي مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين فرسخا وفوض الي احرازها
وتفريقها وتقديرها ذلك منها اني حفيظ لما استيلاء ان يحفظها ان يجري فيه
خيانة اونسيان عليم بوجوه التصرف فيها حفظها يضع شيء ولا يوضع في غير
ايله وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن وقيل كاتب حاسب قيل لم طلب
يوسف الجاه وهو مذموم كما ورد ان حب الجاه والمال ينبتان النفاق في
القلب كما ينبت الماء البقل واجيب لعله لما رأى يوسف ان الملك يستعمله

في امره لا محالة اكثر ما يعم فوائده ويجل منافعه فانما سأل ذلك ليتوسل به
الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث
الانبياء عم الى الخلق ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك الامر
فطلب ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وكان الظلم في ذلك الزمان
كثيرا فاراد العدل وهو اقرب للتقوى سئل سفيان الثوري رحمه الله ان
اعز الخلق اي شخص قال اعز الخلق عند الحق خمسة رجال عالم زاهد وفقيه
صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وامير عادل قال بعض اهل التفسير
في الآية دليل على انه يجوز للرجل ان يصف نفسه بالصلاح والكفاية ولا يكون
بمعنى تزكية النفس لكن ان يصف نفسه بما فيه من علم وفضل لمن جهل امره
وفيها ايضا دليل على جواز طلب الولاية واظهار انه مستعد لها وبعلم ايضا انه
يجوز التولي من يد الكافر والفاسق اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وبتمكين الملك الكافر والفاسق وعن
مجاهد ان الملك اسلم على يوسف وفي الآية عجب ايضا حيث اعطاه الله
النبوة من غير طلبه ولم يعطه الدنيا الا بطلبه لان الدنيا للاعداء فاذا طلبها
الاحباء منعهم منها فاذا جاءهم غم وهم يقول تعالى هذا اختياركم قيل
ان مدح النفس مذموم فلم مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم
واجيب بان هذا ليس بمدح بل تحديث نعمة وهو واجب كما قال تعالى واما بنعمة
ربك فحدث قيل ان الملك لا يعترض على يوسف في كل ما رأى وكان في حكم
المطيع فيوسف ما طلب الا التصرف الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فرض
سيما اذا كان نبيا والولاية منحصرة فيه قال وهب فلما قال يوسف اجعلني
على خزائن الارض الآية قال الملك ليوسف قد وهبتك هذا السرير والخاتم
والتاج وقد تخليت لك منهن وانت احق بهن مني قال يوسف اما السرير
فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا من لباس آبائي

وفي المعالم عن ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمل من ساعته ولكنه اخره لذلك سنة فاقام في بيته سنة مع الملك وعنه ايضا انه قال لما انصرمت السنة من اليوم الذي سأل الامارة دعاه الملك فتوجه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه كلة اي سترا من استبرق وطول السرير ثلثون ذراعا [illegible] ثم امره ان يخرج فخرج متوجها وجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض اليه مصر فطغير وزير عما كان عليه [illegible] وقال ابن زيد كان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم [illegible] وجعل امره وقضاه [illegible]

ولامن

85

ولا من لباسي قال الملك فقد وضعته على رأسي اجلالا لك واقرارا بفضلك
فاتخذ الملك الاهراء والخزائن وامر بجمع الطعام انتظارا لسني الخصب فلما
اتت جاءت بشيء لا يقدر قدره كثرة وسعة وروي ان جبرئيل نزل على يوسف
فقال ان الله يقرأك السلام ويقول اني خلصتك من الجب والسجن وجعلتك
خاصة الملك ومتصرفه فلا تغفل فلما سمع يوسف كلام الله تعالى من لسان
جبرئيل القى التاج من رأسه وشق جيب لباسه الذي البسه الملك فلما
اخبر به الملك قال صدر منه جرم عظيم ولكن قلت قبله استخلصه لنفسي وكذا
المؤمن اذا صدر منه الذنب يقول الله تعالى اني قد قلت قبله ان الله يغفر
الذنوب جميعا وروي ان الملك لما سمع قول يوسف اجعلني على خزائن
الارض قال هذا طلب شركة في الملك لكن قد قلت انك اليوم لدينا مكين
امين فلا اخالف كلامي فاعطيه ما يطلبه فكذا المؤمنون اذا طلبوا شيئا
يعطيهم الله تعالى اياه لانه قال ادعوني استجب لكم فنحن نقول رب اغفر
وارحم فنرجو ان يغفر لنا ومن الخصصات ان المؤمن اذا اخرج من سجن الدنيا
يبكي لفراقه الاقرباء وهو يضحك بدعوة المولى حكي انه لما قرب وفاة هرون
الرشيد واشتد مرضه قال اجعلوني على جنازة واحملوني الى المقابر واحفروا لي
قبرا حتى ارى فحملوه كما يحمل الميت الى المقبرة ثم حفروا قبره وهو ينظر ويبكي
ثم قال وسعوا من هذا الجانب قليلا فوسعوه ثم رفع رأسه الى السماء
وقال يا من لا يموت ارحم من يموت يا من لا يزال ارحم من زال ملكه فبكى
ثم ذهبوا به الى البلد ومات بعد ثلثة ايام ومنها ان المؤمن اذا اخرج من الدنيا
الى سجن القبر يركب على مركب من الاخشاب مقيدا واذا اخرج منه يلبس
الحلة ويركب براقا والملئكة بين يديه يقولون طرقوا وينظر الحور والغلمان
اليه ويقولون انه اجاب في القبر وظهر صدقه وقد قال تعالى هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم ومنها انه روي ان يوسف تفكر فرقة ابيه وتذكر

حاله فيبكي وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلبس الحلة ويركب البراق
يذكر حال امته ويضطرب ويشفع لهم ومنها ان الملك راجع الى يوسف بقوله
فاترث ايها الصديق وامره يوسف بالزراعة ولذا قيل السلاطين
حكام على الناس والعلماء حكام على السلاطين فينبغي للعلماء ان يسددوا
امور السلاطين ويذكروا لهم ما هو المستقيم الموافق للشرع ومنها
ان يوسف سافر من عند ابيه الى الجب ومنه الى مصر ومنها الى السجن
ومنه الى محضر الريان فكذا المؤمن يسافر من الرحم الى الدنيا ومنها الى
القبر ومنه الى موضع الحشر ومنه الى الجنة ولقاء الله تعالى ومنها ان آدم
عم بحسب قول الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها صار مسجود الملئكة بعلمه و
يوسف بسبب تعليم الله تعالى اياه من تاويل الاحاديث صار عزيز مصر فالعلم
سبب العزة والنجاة والسعادة قال عليه السلام من اراد الدنيا فليتجر
ومن اراد الآخرة فليتزهد ومن اراد كليهما فليتعلم ومنها ان السجن صار
موضع عبادة يوسف وبه نال العزة قال علي بن محمود بن اسحق ما ضحك
يوسف بعد مفارقة ابيه الا في ثلثة مواطن احدها وقت القائه الجب
فقال اخوانه جن الغلام فقال ما جننت ولكن من لعب في خدمة مولاه يصير
في الجب مأواه وثانيها وقت ما باعوه فقيل جن الغلام فقال ما جننت
ولكن من لم يرض بالمولى القديم يبدل مولى حادثا وثالثها وقت سجن فقالوا
جن الغلام فقال ما جننت ولكن من لم يخدم حبيبه مطلقا قيد وحبس
ليخدمه مقيدا ومنها ان الملك لما رأى فضائل يوسف اختاره وقال
انك اليوم لدينا مكين امين كما قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر
في مقعد صدق عند مليك مقتدر ومنها ان يوسف علم مجيء القحط
فجمع الاطعمة في الخزائن للمحتاجين فكذا الله تعالى يعلم حال المحتاجين
يوم قحط العمل وقلة الثواب وهو يوم القيمة فجمع لهم المغفرة ليغفر لهم

قال

86

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة انزل رحمة واحدة
بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر
تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ومنها انه ينبغي للعاقل ان
يدبر امر الآخرة قبل وقوعها والعجب من الناس انهم غافلون عنها واذا وقعوا فيها
يندمون ولا ينفعهم الندم واذا اريد التفسير الانفسي يراد باستخلاص الملك اياه لنفسه
استخلاف الروح القلب على الملك بعد الكمال التام كما ورد في القصة ان
الملك اعتزل من الملك وجعله في يده وتخلى بعبادة ربه وتوفي العزيز اشارة
الى وصول القلب الى كماله وتزوجه بامرأة العزيز اشارة الى تمتع القلب من
النفس في استنباط اصول العلم والعمل وهما الابنان اللذان جاء في القصة
انها ولدتهما منه وهما افرائيم وميشا وللسؤال التولية على خزائن الارض ووصف
نفسه بالحفظ والعلم اشارة الى ان القلب يدرك الجزئيات المادية و
يحفظها دون الروح فيقتضي قبول ذلك المعنى من الواهب الذي هو ملك روح
القدس اعلم ان الله تعالى لم يحك عن الملك انه قال قد فعلت كما التمسته
مني لان مالك الملك ومعطيه حقيقة هو الله تعالى ولذا قال سبحانه و
كذلك مثل ذلك التمكين الظاهر الذي انعم به يوسف عم من الملك مكنا
ليوسف بامر الملك في الارض ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا
في اربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة والمكانة يتبوأ حال اي ينزل
منها من ارض مصر اي بلادها حيث يشاء حيث يهوى لاستيلائه على جميعها
ودخوله تحت ملكه وسلطانه وكانت خزائن جميع بلادها بيده وتحت حكمه
بعد ما كان ضيق عليه بالرق والحبس نصيب برحمتنا بنعمتنا وفضلنا في الدنيا
من الملك والغنى وغيرهما من النعم وفي الآخرة من الدرجات الرفيعة والرضوان
كما اجتبنا بها يوسف من نشاء مفعول نصيب ولا نضيع لا نبطل اجر المحسنين
بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا كما لم نضيع اجر يوسف وكان يحسن الى اهل السجن

الكاف منصوب بالتمكين وذلك اشارة الى ما انعم
الله عليه من نجاته من غم الحبس وجعل الملك اياه خالصا
لنفسه يمكنا لديه اي ومثل ذلك الانعام الذي
انعمنا عليه مكنا ليوسف فاللام في ليوسف زائدة
شيخ زاده

اي مكنا له اي جعلنا له مكانا ابو السعود

وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين
في الارض مسندا الى ضميره سبحانه من تشريفه و
المبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول
ذلك من اول الامر لانه حصل بعد السؤال
ما لا يخفى ابو السعود

قوله ولا نضيع اجر
المحسنين شهادة من الله ليوسف بالاحسان
ومن مدحه الله تعالى بانه من المحسنين يمتنع
ان يحمل الهم المسند اليه على الهم
بطبع الاختيار شيخ زاده

فينظر للضعفاء ويقوم بمصالح المرضى وغير ذلك وكان يجمع الصبر عن المحارم
وايثار طاعة الله والقيام باحياء دينه والنصح لعباده في كل حال وقال الامام
القشيري قدس سره لما لم يمكّن يوسف دواعي الشهوات من نفسه مكّنه الله
تعالى من ملكه وهو كما قال ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا وقال ولا نضيع
اجر المحسنين ثم اخبر عن حقيقة التوحيد وبيّن ان ما يولي عباده من الطاعة
فبفضله لا بفعلهم وبرحمته لا بجد منهم فقال نصيب برحمتنا من نشاء وقال ابن
عباس رضه يعني الصابرين وقال وهب وذلك بصبره في الجب والرق وعماه عنه
اليه زليخا والنسوة وفي السجن فهذا في الدنيا ثم ان الله تعالى رقّى همهم عما
اولاهم من النعم فقال ولاجر الآخرة ثوابها وهو الجنة ولقاء الله تعالى خير افضل
مما اعطي في الدنيا لعظمه ودوامه للذين آمنوا للمؤمنين الموحدين بالبعث وكانوا
يتقون الشرك والفواحش قال وهب روي ان الملك عزل قطفير وتوفي
في تلك الليالي او توفي قبل العزل فنصب يوسف مقامه فلما قُرّي زوّجه
الملك امرأة العزيز زليخا فلما دخلت عليه وجدها عذراء لان قطفير كان عنينا
فقال لها اليس هذا خيرا مما كنتِ تريدين فقالت له لا تلمني يا نبي الله فان
الله كساك من الحسن والجمال ما لا يقدر عليه احد وكان صاحبي لا يمس النساء
وكنت ناعمة في ملك الدنيا وغلبتني شهوتي يا يوسف ان الحرص والشهوة
صيّر الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيّر العبيد ملوكا ووقت تزوجها كان
يوسف ابن ثلاثين سنة فولدت له افرايم وميشا ابني يوسف في
اربع سنين من سني الخصب ذكر في رواية ان العزيز مات وبقيت زليخا
فجلست يوما على الطريق فمرّ عليها يوسف في حشمه فقالت زليخا الحمد لله
الذي جعل العبد ملكا حاكما بطاعته وجعل الملك مملوكا بشهوته وفي رواية
انها افتقرت وضعفت وعميت واتته وهي بتلك الحالة فرحمها
وقال ما تشتهين فقال ان افتح عيني مرة فاراك وبكت فبكى يوسف واتاه

ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكرت
الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد والاجر
اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة ابو السعود
[illegible]

جبريل

87

جبرئيل فقال ان الله تعالى يرد اليها بصرها وشبابها فتزوجها ففعل اي اعادها الى
جمالها وشبابها فتزوجها بامر الله تعالى روي ان يوسف كلما هم بها وجدها في الصلوة
قال يا عجبا لقد اجتهدت قبل امر الله لنصيبي الآن لما صرتِ حلالي فلم تمنعني فقالت
لانني كنت لا اعرف ربي في ذلك الوقت فكنت احبك والآن لما عرفت ربي ثبت
حبه في قلبي وغلب حبك فامر الله تعالى ان لا تصوم ولا تصلي تطوعا الا بامر يوسف
فعلم منه انه لا يجوز للمرأة ان تصلي النوافل وان تصوم نفلا بغير اذن الزوج كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة ان تصوم وزوجها شاهد الا باذنه
كذا في المصابيح رواه ابو هريرة رضه سبب ورود هذا الحديث قال ابو سعيد جاءت
امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان زوجي صفوان بن المعطل
يضربني اذا صليت ويفطرني اذا صمت قال وصفوان عنده فسأله رسول
الله فقال انها تقرأ بسورتين في ركعة وقد نهيتها فقال عم لو كانت سورة
لكفت فقال صفوان وانها تصوم وانا شاب ولا اصبر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يحل لامرأة ان تصوم وزوجها شاهد اي حاضر الا باذنه قال
العلماء المراد بهذا الصوم النفل المطلق ولا يجوز لها ان تصوم ذلك الا باذنه
وكذا الصلوة النافلة ولو صامت او صلت صحت وعصت ولا يجوز المنع
من صوم عرفة وعاشوراء وشبههما وكذا في الازهار شرح المصابيح ومن الحكم
ان الله تعالى مالك الملك والتصرف في قدرته يؤتيه من يشاء كما قال الله
عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء ومنها ان يوسف صبر فوجد عوضه فمن صبر على الرياضة وجد الاجر من الله
تعالى ومنها ان السالك اذا وجد القبول من سلطان السلاطين واكرم
الاكرمين يتبوأ في عالم الملكوت ومنها ان من ملك شهوته يجعله الله تعالى
مالك الملك في الدنيا بل في الآخرة ومنها ان الرحمة فضل من الله تعالى ومنها
انه لا يضيع اجر المحسنين بحسب وعده لا بالوجوب عليه ومنها ان منافع الآخرة

خير فلا عاقل ان يطلبها ومنها ان الله تعالى ارحم الراحمين يرحم الباكي واذا اريد
التفسير الانفسي يراد بتمكين يوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء استخلاف
الروح القلب بالبقاء بعد الفناء عند الوصول الى مقام التمكين ونهواج المحسن
اى العابد لربه في مقام الشهود لرجوعه الى التفصيل من عيان الجمع ولاجر الآخرة
اى الحظ المعنوى بلذة شهود الجمال ومطالعة انوار سبحات الوجه الباقي
خير للذين آمنوا الايمان الغيبي وكانوا يتقون بقية الانانية اعلم انه لما
فوض الامر الى يوسف امر ان يزرع اصناف الحبات في جميع الارض سبع سنين
وجمع الغلات في الخزائن ولما مضى تمام سني الخصب امر الله تعالى جبرئيل صيحة فقال
يا جبرئيل الا تنظر الى عبادي واماء من اهل مصر وغيرهم كيف يأكلون رزقي ويعبدون
غيرى اهبط فقد سلطت عليهم الجوع والقحط سبع سنين فهبط جبرئيل و
صاح في الهواء باهل مصر جوعوا سبع سنين فانتبه الرجال والنساء والصبيان
ينادون الجوع الجوع وكان الملك يأكل في كل يوم نصف النهار فلما كان الليلة
التي بالقحط فيها امر يوسف حتى اتخذ طعام الملك بالليل فلما اصبح الملك قال
الجوع الجوع فاتى بطعام المهيأ فقال وما يدريكم ذلك قالوا امرنا يوسف
بذلك قال ابن عباس رضه لم يكن في تلك السنين اليابسة حظ ولا نبات
ولا ريح ولا نهر يجرى ولا حمار تنهق ولا ثور يصيح ولا دابة تحمل ولا طير يتخذ عشا
ولا تفرخ وجاءت سنو الجدب بامر هول لا يعهد الناس مثله حتى اكلوا جميع ما
في ايديهم واحتاجوا الى يوسف وقصد الناس مصر من كل مدين ونلحية ممتازين
فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما اكثر من حمل بعير تقسيطا بين
الناس وكان يوسف لا يمتلئ شبعا من الطعام في تلك الايام فقيل تجوع
وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجايع كذا في الوسيط
فتزاحم اهل مصر عليه فباعهم اول سنة بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر دينار
ولا درهم وباعهم السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر في ايدى

الناس

88

الناس شيء وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب والانعام حتى جمعها
اجمع وباعهم السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لا امة ولا عبد في يد احد
وباعهم السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها وباعهم
السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم السنة السابعة برقابهم
حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا وامة له وقال الناس تالله ما رأينا
اليوم ملكا اجل واعظم من يوسف ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي
وما خولني من الملك فما ترى لي قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع وانا خول
لك فقال يوسف فاني اشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت
عليهم اموالهم واملاكهم ورددت عليك ملكك وروى ان يوسف لما رأى
ان الناس باعوا انفسهم تذكر بيعه وبكى فوقع عليه الوحي انما صيرتك عبدا
لتعرف حال العبيد فاعتقهم شكرا لما اعطاه الله تعالى من الملك بعد الرق و
من الخصص ان يوسف احضر ايام الخصب زاد ايام القحط فلا بد للمؤمن ان
يحضر في خصب القدرة والصحة زاد زمان القلة والعجز ومنها ان ترك
الشكر يورث زوال النعمة كما قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم ومنها ان كثرة الاكل من الابتلاء وانها مذمومة بيت
حيف باشد كه عمر انسانى • چو بهائم بخواب وخور گذرد ومنها
ان نسيان احوال المحتاجين نقصان ومنها ان اهل مصر لما ارادوا ان
يشتروا يوسف ويجعلوا عبدا لهم وقت العرض على البيع جعلهم الله تعالى
عبيدا له جزاء لما ارادوا بيوسف فان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا عجل عقوبته
في الدنيا ومنها ان يوسف حين نظر الى نفسه باعوه بثمن بخس وحين
نظر الى ربه صار اهل مصر كلهم مماليكه ليعلموا ان العبد اذا تكبر احتقر واذا نظر
الى ربه وتواضع يصير عزيزا ومنها ان الله تعالى امتحن يوسف بالبلاء ثم
بالرخاء ليعرف الناس ان بعد عسر يسرا فالمؤمن يبتلى بالبلاء في الدنيا

ومن الخصص ان الله تعالى افرد يوسف من بين الناس
بشيئين بحسن الخلق وزيادة العلم فصار جاهه بسبب
بلائه وصار علمه بسبب نجاته وعزه ليعلم فزيدة العلم
على غيره ولذا قيل العلم يعطي وان كان يبطي انه ينبغي
للعاقل ان يطلب امر الآخرة لان في الجنة ما تشتهيه
الانفس كما خرج البخاري عن ابي هريرة رضه قال عليه
السلام ان رجلا من اهل الجنة استأذن ربه في الزرع
فقال له اولست فيما اشتهيت قال بلى ولكني
احب ان ازرع فاسرع وبذر فبادر الطرف نباته
واستواؤه واستحصاده وتكويره امثال الجبال
فيقول الله دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك
شيء وروى مسلم عن انس رضي الله عنه انه عليه السلام
قال في الجنة لسوقا وهو سوق والمراد به مجمع
يجتمع اهل الجنة فيه وقد حفت به الملائكة بما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فيأخذون ما يشتهون بلا شراء وهذا نوع من الالتذاذ
يأتونها كل جمعة يعني في مقدار كل اسبوع فتهب ريح
الشمال بفتح الشين جهة تقابل القبلة فتحثوا
نشر تلك الريح في وجوههم وثيابهم يعني انواع
العطر فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم
وقد ازدادوا حسنا وجمالا لتشمول الهبوب لهم ايضا
فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا بعد
مفارقتنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيدل زيادة حسنهم
على زيادة حسنهم كذا في
مبارق الازهار

ويكرم عند الله تعالى ومنها ان يوسف الكريم اعتق عبيده الذين اعترفوا
بكونهم ارقاء له فكيف لا يعتق اكرم الاكرمين وارحم الراحمين عبيده المقرين
بالرق ومنها ان الله تعالى سلط على الناس القحط بسبب معصية بعضهم فكذا
عادة الله تعالى يسلط العذاب على الجميع بسبب ذنب بعضهم قال الله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة شكى بعض الصالحين بلاء
وقع فيه الناس الى رجل عارف فقال له ما ارى الناس فيه الا شوم ذنوبهم
فالشوم في الحقيقة هو المعصية فمن اصر عليها هلك وكذا المخالط قال ابرهيم بن
ادهم من اراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة العصاة فالعاصي شوم
على نفسه وعلى غيره فانه لا يأمن ان ينزل عليه عذاب فيعم الناس خصوصا
من لم ينكر عليه عمله اعلم انه اصاب الشام وارض كنعان ما اصاب مصر من القحط
فقال يعقوب لولده ان بمصر طعاما يباع وان هذا الرجل الصالح الذي يملكهم
بلغني عنه خير وصلاح وحسن سيرة وشفقة فامتاروا منه فان له سيرة
تشبه سيرة آل يعقوب وسيحسن اليكم ان شاء الله تعالى قيل قال يعقوب
يا بني اذا حضرتم عنده فاثنوا عليه واذا امركم بالجلوس فاجلسوا وان لم
يأمركم فقفوا الى ان يأذن لكم واذا قعدتم فلا تسبقوا بالكلام ولا تحولوا
ظهوركم اليه اذا خرجتم ولا تذكروا لاحد ما جرى بين يوسف وبينكم فان مجالس
الملوك لا تساعده ثم امسك يعقوب بنيامين اخا يوسف من امه
وارسل اخوته العشرة الى مصر لطلب الميرة فانطلقوا فلما دخلوا على يوسف
عرفهم وهم له منكرون كما حكى الله وجاء اخوة يوسف اي اخوته العشرة
فدخلوا عليه على يوسف فعرفهم عرف يوسف اخوته بأول ما نظر اليهم انما عرفهم لانه تعالى قد
اخبره حين ما القوه في الجب لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فلذلك
كان منتظرا لوصولهم اليه فظهر بذلك انهم اخوته وكلموه بالعبرانية فارسل
يوسف الى الترجمان وهو يعلم لسانهم ولكنه اراد ان يشتبه عليهم وروى

انه كان يوسف نصب في الطرق عيونا يخبروه بمن يجيء ولما جاء اخوته
من طريق كنعان اخبروه باسمائهم فعرفهم وان يوسف كان لم يقطع الرجاء
من لقائهم ولذا عرفهم واخوته نسوا منه ولذا لم يعرفوه فطالب لقاء الله
تعالى لا يخلو عن المعرفة وان مطلب الاخوة هو الطعام ولذا لم يعرفوه ومطلب
يوسف هو اللقاء وعمل لاجله فوصل اليه فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا او غلب عليهم هيبة يوسف فلم يعرفوه
للغيرة فكذا يوم القيمة اذا قيل للناس ماذا اجبتم المرسلين تحير الناس
وهم له منكرون واخوته لم يعرفوه لطول العهد كما قيل في هذا المعنى شعر
نسيت مودتي اذ طال عهدي نعم قد قيل طول العهد منسي او لمفارقتهم
اياه في سن الحداثة ولذهابه عن قلوبهم وتوهمهم انه هلك وبعد حاله
التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه اي كان يوسف على زي الملوك بخلاف
ما كانوا رأوه في الصغر ولقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام و
قيل انما لم يعرفوه لانه كان متنقبا وقيل لم يعرفوه لانهم كانوا جياعا وعين
الجائع تحار فلا يعرف ما يبصر وقيل لانهم جاؤا طامعين والطمع يغطي
العين وقيل لانهم كانوا جفوه والجفاء يزيل المعرفة وقيل لان الله تعالى
اخفى عليهم ذلك بلطف وكان له فيه سر وقيل لانهم نكسوا رؤسهم
تحيرين فلم ينظروا اليه فلذلك لم يعرفوه وروى ان يعقوب قال لابنائه
حين ارسلهم اطلبوا يوسف في كل موضع فتجسسوا من كلامه ظنا منهم انه هلك
وروى ان يوسف ارسل الى ابيه من مصر خمسين كتابا ما وصل اليه كتاب
لحكمة الله تعالى فيه وروى ان يوسف اراد عقوبتهم جزاء عملهم فنزل جبرئيل
وامره بالاحسان اليهم وقال انك كريم فينبغي لك ان تحسن اليهم فان الله تعالى
يكرم عباده العاصين لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وانما لم يظهر يوسف
نفسه لئلا يلحق بهم الخجلة وبتركوا عرض حاجتهم عليه فان الله تعالى لا يظهر عيب عبده

قال ابن عباس رض كان بين ان قذفوه
في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون
سنة فلذا انكروه

لانه كان على سرير الملك
وعلى راسه تاج الملوك

وذنبه ليطلبوا منه حاجتهم بسبب الغفلة قال وهب ولما عرفهم امر فتيانه
بانزالهم فى منزل واكرامهم ومكث ثلثا لا يكلمهم ثم قال لهم من انتم قالوا
نحن اولاد يعقوب بن اسحق بن ابرهيم من اهل كنعان فنظر اليهم
فاكثر وادام فيهم النظر وصعد وانزل فيهم البصر ونظر اليهم جميعا واشتاتا
كلما فرغ من واحد نظر الى الذى يليه ثم قال اعتزلوا عنى حتى افرغ لكم وكان
لا يصنع ذلك باحد وكان يعجل ويسارع للممارين فلما اعتزلوا عنه استمر ابوا
من نظره اليهم وقال بعضهم لبعض لقد نظر الينا هذا الملك ما نظر الى غيرنا
كذلك فاما ان يكون نظره على وجه الغبطة لنا بالنبوة آبائنا ابرهيم واسحق
ويعقوب او الغبطة لابينا بما رأى من عددنا وقوتنا وجماعتنا واما ان
يكون تفرس فينا النبوة من بعد آبائنا والوراثة لهم من بعدهم واما ان يكون
بلغه فعلتنا باخينا وتلك قصمت ظهورنا ولما رأوا لطف يوسف قال
يهوذا انه يوسف قالوا لو كان يوسف ما احسن الينا بل عاملنا بالعذاب
الشديد فكرم يوسف اغفلهم فكذا لطف الله بغفل العصاة ويمهلهم
كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
وانهم سكنوا فى منزل يوسف واكلوا نعمه ولم يعرفوه كما ان بعض الناس
يسكنون فى ملك الله ويأكلون رزقه ولا يعرفونه كما قال تعالى لهم
قلوب لا يعقلون بها ثم انهم دخلوا على يوسف يوما فقال لهم من انتم
قالوا قد اخبرناك اول يوم سألتنا انا اولاد يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
قال يوسف والدكم ثلثة انبياء الخليل والذبيح والصديق قالوا نعم
قال ما انتم لذلك اشباه وما انتم موسومون بسيماهم وما ارى من
احلام ولا وقار ولا سكينة ظاهرة ولا خشوع وما انتم بان تكونوا
لصوصا اشبه او جواسيس دسكم بعض الملوك فجئتم مناوين تنظرون
لهم فى العدة والقوة ثم تأتونهم بخبر ذلك فتسيرون الينا فتقاتلونا

وبركت بهذه الكرامة وانعم عليك بهذه النعمة

حدّا لما انعم الله علينا ولأيم الله لا تنفكون من حبسى ابدا حتى اعلم
علمكم فاشفقوا ان يحبث فعلتهم التى فعلوا بابيهم فقالوا له انا نسألك
ايها الملك بالذى بلغك هذه المنزلة لما عجلت سراحنا الى ابينا فانه
اليوم اعظم اهل الارض حقا فلا تستخف لحقه ولا تقصر فى شئ من امره
لانه نبى الله وابن نبيه
فانك لو تعلم علمه وكبره وضعفه وحزنه على ابن له هلك منذ حين
وكان احب الناس اليه واقربهم لعينه وعلم ما يكون ويعول ويتصدق
ويضيف اذا لاشتدت له رحمتك ولدمعت له عينك وحزن له قلبك
قال يوسف ءم ما احد اليوم اعظم حقا على وعلى جميع اهل الارض من يعقوب
ولو فرته من الميرة على ظهرى مقبلا ومدبرا حتى اعيته وعياله ما بلغت بذلك
حقه ولا حق آبائه على فحدثونى ما الذى احزنه وهو فى منزل الفرج والغبطة
اليس نبى الله وابن انبيائه اوليس ينظر اليكم فى مثل عددكم وجمالكم
وجلدكم اليس الحقه مع ذلك بشراه ونصب عينه يأملها فما الذى
يحزنه بعد هذا فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجفائكم
قالوا حاش لله ما نحن كذلك ولكن كان له ابن وكان اصغرنا
واحبنا اليه فهلك فلم يزل بعده واهن العظم باكيا محزونا قال
يوسف اوكلكم لام واحدة قالوا لا قال فما الذى عمل اباكم على ان ارسل
كلكم هلا احتبس رجلا منكم يسكن اليه ويأنس به قالوا قد فعل قد
احتبس منا ولدا هو اصغر ولده واحبهم اليه بعد الاول قال يوسف
اولا مخافة ان تكونوا صادقين لحبستكم حبسا اطول من هذا
ولعذبتكم عذابا شديدا فان كنتم صادقين فارجعوا الى ابيكم فبلغوه
منى السلام وقولوا له فليخبرنى ما الذى احزنه وابكاه وليبعث
الى جواب سؤالى مع ابنه الصغير الذى احتبسه حتى اصدقكم
واتركوا احدكم عندى واتونى باخيكم حتى انظر اليه قالوا اختر ابنا

واوهن عظم وما الذى يشبه
قبل اوان يشبه

ثبت فاختار شمعون اوساهم وافرخ قرعة وهو اشد عداوة من غيرهم وامر
يوسف بوفاء كيلهم كما قال الله تعالى ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم
بما جاؤا الاجله واعطى لكل واحد منهم حمل بعير واصل الجهاز ما يعد من الامتعة كعدد
السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف به المرأة الى زوجها فيوسف اعطاهم
الطعام في مقابلة بضاعتهم كان بضاعتهم الجواهر فكذا الله تعالى يعطي المؤمن
المخلص اكثر مما يعطيه غيره وكان بعير لاخيه بنيامين ولم يعطه طعاما فقالوا
ان بضاعته حاضرة قال ليس العبرة عندنا بالبعير والبضاعة بل العبرة بصاحبه
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم وهو بنيامين قيل لم يقل باخيكم وهو اخصر
مبالغة في عدم تعرفه لهم فان العرب فرقوا بين قولك مررت بغلامك وغلام
لك فان الاول تقتضي عرفانك بالغلام وانما قيده بقوله من ابيكم لانه ليس
اخاهم من جهة الام واعلم ان الامر باتيان الاخ كان تكليفا واتعابا في الظاهر لكن
مقصوده ايصال الخير فكذا يكلف الله عباده وليس الحكمة اتعابهم بل الاحسان
اليهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه مع عدم صدور الخدمة منكم والامتثال
بامري وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان حسن انزالهم
وضيافتهم فاذا صدر منكم الخدمة والاطاعة بامري ازيدكم فضلا فان لم
تأتوني به بالاخ فلا كيل لكم عندي فلا طعام لكم عندي يكال فلا تستقبلوه
ولا تقربون لا تقربوني ولا تدخلوا بلادي مرة اخرى وهو اما نفي او نهي
معطوف على الجزاء جمع يوسف بين الترغيب والترهيب واما الترغيب ففي
قوله الا ترون اني اوفي الكيل واما الترهيب فبقوله فلا كيل لكم عندي
ليمتثلوا امره وهم في نهاية الحاجة الى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا
من قبله وان يوسف لم يطلب منهم مالا بل الاخ الصالح فالله تعالى لا يطلب من
عباده الا الاخلاص ومن الخصص ان يوسف استقصى اولا في حالهم
ثم تسامح فالله تعالى يناقش المؤمنين يوم القيمة ثم يغفر له ومنها ان يوسف

اريناهم اسبابهم فاعطى لكل واحد وقر بعير
وكذلك لا يزيد لكل قادم على وقر
ثلا يضر بالاخرين

واينار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام
بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة
ابو السعود

ا رافضل من يضيف الضيف اذ انزل به
وقد كان احسن انزالهم وضيافتهم

استغفر لهم وهو عالم بحالهم وكذا الله تعالى يفتش احوال العباد وهو اعلم
باحوالهم وفيه حكم ومصالح ومنها ان يوسف منع الطعام من اخيه بنيامين
ابتداء وكذا الله تعالى يمنع الثروة من الاحباب ويؤخر فضله الى الآخرة ومنها
ان العبرة عند الله تعالى ليس بنفس العمل بل بحضور قلب صاحبه وخلوصه
ومنها ان دعوة يوسف اخاه للاحسان لا للاتعاب وكذا الله تعالى يدعوكم
ليغفر لكم ومنها ان الله تعالى قبل ان يصدر العمل منا احسن الينا كما قال
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله وجنات الفافا واذا
صدر العمل منا فكيف احسانه الينا كما قال تعالى ان المتقين في مقام
امين وقال وزوجناهم بحور عين وقال يلبسون من سندس و
استبرق متقابلين وقال ولحم طير مما يشتهون وقال تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا ولهذا يقول العباد الحمد لله الذي صدقنا وعده ومنها
ان يوسف الكريم مع كونه محتاجا الى الطعام انعم عليهم والله تعالى اكرم
الاكرمين وغني عن العالمين فكيف يكون انعامه على العباد ومنها
ان الجمع بين الوعد والوعيد مقتضى الحكمة ولذا قال نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم واذا اريد التفسير الانفسي
فالمراد بمجيء اخوة يوسف مجيء القوى الحيوانية بعد طول مفارقة القلب
اياهم في سجن الرياضة والخلوة بمصر الحضرة القدسية والاستغراق في عين
الجمع فدخلوا عليه متقربين بوسيلة التأدب باداب الروحانيين الا طمأنينة
النفس وتنورها وتنور تلك القوى بها وتدربها بهيئات الفضائل
والاخلاق ممتارين لاقوات العلوم النافعة من الحكم والشرائع فعرفهم
من حسن حالهم وصلاحهم بالزكاء والصفاء وفقرهم واحتياجهم الى ما
يطلبون منه من المعاني وهم له منكرون لارتقائه عن رتبتهم بالتجرد واتصاله
بما لا يمكنهم ادراكه من الاوصاف ولهذا استحضر القوة العاقلة العلمية

بقوله ائتوني باخ لكم من ابيكم اذ المعاني الكلية المتعلقة بالاعمال لايدركها
الا تلك القوى واما جهازهم الذي جهزهم به فافادته من الجزئيات التي
يمكنهم ادراكها وان لم تاتوني بالقوة العاقلة فلا كيل لكم من المعاني الكلية
الحاصلة عندي ولا تقربون لبعد رتبتكم عن رتبتي الا بواسطة ذلك الاخ
قالوا اي قال اخوته **سنراود عنه اباه** سنجتهد في طلبه من ابيه ان يبعثه
معنا **وانا لفاعلون** ذلك لا نتوانى فيه وقولهم لفاعلون اما بمعنى الاستقبال
يعني وانا لصانعون ذلك فنطلب منه ليبعثه قالوه تاكيدا للوعد و
يحتمل ان يكون بمعنى الحال على ان يكون مجازا عن القدرة اي انا لصامتون
ذلك **وقال يوسف لفتيانه** جمع فتى كالاخوان جمع كثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم ثمنهم **في رحالهم** في جوالقهم فانه وكل به بكل
رجل واحدا يعني ان يخفي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام او الرحال
جمع رحل وهو الوعاء الذي يجعل الماء فيه وان رحال الاخوة
ليس اقل من عشرين غرارة وكانت بضاعتهم نعالا وادما وانما فعل
ذلك توسيعا في زمان القحط وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن
الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به وقرئ لفتيته
جمع فتى ايضا قال للكيالين **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها
او لكي يعرفوها يعني كرامتي عليهم **اذا انقلبوا** رجعوا **الى اهلهم** بكنعان و
فتحوا اوعيتهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع
اي يعودون الينا ويردون البضاعة علينا وتكلموا في معنى رجاء
الرجوع بذلك فقيل معناه انهم ان عرفوا انها بضاعتهم تحرجوا عن
امثالها وتوهموا ان فتيان يوسف وضعوها في رحالهم غلطا فعادوا
لردها وقيل لخوف ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به وقيل ليرجعوا اليه
بما يظهر لهم من كرمه في ردها عليهم في زمان الجدب فيكون ذلك ادعى لهم

بالرجوع

الى الرجوع وقيل انما ردها ليصرفوها الى ابيه واخيه ومن يلزمهم تحمل مؤنتهم
لئلا يشق عليهم تكليف السفر واتيان الاخ فان قيل هلا اخبرهم بحاله
وعرفهم عن نفسه ليعظم سرورهم بوجوده وقد علم ان ادخال السرور
في قلب المؤمن افضل خصوصا في قلوب اخوته وفي ذلك صلة
الرحم ايضا وايصال الخبر الى ابيه لينفرغ عن حزنه والجواب عنه بوجوه
الاول انه لم يقدر ان يفعل من غير وحي والثاني انه علم ان انقضاء
المحنة بعد لم يات وقته فلذلك تربص و اخر الى وقته وقال في وقته
هل علمتم ما فعلتم بيوسف والثالث انه لو اخبرهم ساعة دخولهم
عليه وكان يلاطفهم في المعاملة ويسامحهم في تلك الميرة ويرد عليهم
بضاعتهم ربما لم يستطر فواضعه بمكانهم معتلين بالاخوة انها
موجبة لخصايص المعاملة فاحب ان ينصرفوا والسنتهم رطبة
بالثناء عليه متعجبين من حسن معاملته في عام القحط خصوصا
والرابع ان العام السنة لم يكن منقضيا بعد وحوايج الناس
الى الطعام قائمة فلو احتوا بمكانه رجعوا الخبر الى ابيهم فكان منقطع
المعاملة فلغلبة الاشفاق على الناس احب ان لا يحس بمكانه
حتى ينقطع السنة ويتفرغ قلبه عن هموم الجايعين ثم يستوفي
حظه من السرور والاجتماع مع ابيه واخوته **و**من لخصص ان الله
تعالى امر يوسف ان يطلب اخاه ليعظم اجر ابيه على فراقه ففعله
ذلك بالوحي فكذا الله تعالى ياخذ ولد عبده ليعظم اجره بفراقه
فينال الى المقامات الرفيعة **ومنها** ان اخوته لم يريدوا
ان يفعلوا اتيان الاخ بغير اذن ابيهم ولم يريدوا اخذه عنه
والضرر بالاخ فجعل الله تعالى عاقبتهم حميدة بخلاف ما سبق
من انهم لما ارادوا بيوسف منه كان غرضهم الخدعة والضرر

بالاخ فجعل الله عاقبتهم حميدة بخلاف ما سبق منهم انهم لما ارادوا
يوسف منه كان عن فهم الخدعة والضرر بيوسف ومنها
ان يوسف تلطف بالمسيئين اليه واراد احضار الاخ
باللطف فهذا صنع الكريم فكيف يكون صنع اكرم الاكرمين ومنها
ان يوسف اعان اخوته لمجيئهم فجاؤا بعونه فكذا التوفيق
الله تعالى وعنايته يعين العبد الضعيف فيخص ويجد فضله
ومنها واذا اريد التفسير الانفسي يراد ان القوة
العاقلة العملية اذا لم تفارق مقام العقل المحض الى مقام
الصدر لم يمكنها مرافقة القوى الحسية والقاؤها المعاني
الجزئية الباعثة اياها على العمل وتحريك القوة الشرقية نحو المصالح
العقلية ولذا قالوا استنزاوا دعنه اباه اي بتصفية الاستعداد
لقبول فيضه وقوله لفتيانه اشارة الى ام القلب فتيانه اي
القوى النباتية عند تمتع النفس حالة الاطمينان بايراد مواد
قواهم التي يتقوون بها ويقتدرون على مكاسب
كمالاتهم اذ هي بضاعتهم التي يمكنهم بها الامتياز ورحالهم
الآت ادراكاتهم ومكاسبهم لعلهم يعرفون قواهم و
قدرهم على الاكتساب اذا انقلبوا الى اهلهم من سائر
القوى الحيوانية كالغضبية والشهوانية وامثالها
لعلهم يرجعون الى مقام الاسترباح والامتياز من قوى
المعاني والعلوم النافعة بتلك البضاعة روي
ان يوسف ارتهن شمعون وحبسه وهو يبكي وقت وداع
اخوته ويقول انما ابكي لحزن ابي بسبب فرقتي ولفراق
اهلي واخويه وانما حبسه يوسف ليرى جزاء عمله

عمله فانه قد فعل ما ذكره في حق يوسف قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا احب الله تعالى عبدا عجل عقوبة ذنبه فلما ذهب اخوته اخرجه
من السجن فان شان الكريم هو الاكتفاء بقليل من العقوبة ثم
ان الله تعالى اخبر ما جرى بين اخوته ويعقوب عم حيث قال عز وجل
فلما رجعوا اخوة يوسف الى ابيهم يعقوب قالوا يا ابانا منع منا الكيل
فيما يستقبل اي حكم بمنع اعطاء الطعام كيلا بعد هذا ان لم يذهب بنيا
مين حيث قال العزيز فان لم تاتوني فلا كيل لكم عندي وذكر والاحسانه
وانه ارتهن شمعون فارسل معنا اخانا بنيامين نكتل نرفع المانع من
الكيل ونكتيل ما نحتاج اليه ولما شق عليه ذلك وخاف ضياعه
قالوا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال ابوهم يعقوب هل آمنكم
عليه استفهام بمعنى النفي اي لا اتكل على حفظكم وان قلتم وانا له لحا
فظون الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم فيه وانا له لحافظون
فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين
فارجوان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين روي انه قال ذلك
قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما فلما يئسوا من
ابيهم ان يرسله معهم شرعوا في فتح متاعهم ولما فتحوا متاعهم
المتاع اسم ما يصلح لان يستمتع به والمراد به هنا اما الطعام او
وعاؤه وجدوا بضاعتهم اثمان طعامهم ردت اليهم باذ وضعت
في رحالهم قالوا يا ابانا ما كلمة ما اما استفهامية نبغي اما
من البغية اي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا العزيز
واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او نافية اي لا نطلب
وراء ذلك احسانا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى اذ ردت
الينا بضاعتنا او من البغي بمعنى الطغيان والكذب اي لا نبغي في

القول ولا نكذب فيما نتكلم فى وصفه بمكارم الاخلاق وقرئ
ما تبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الدليل على صدقنا ومن الحصص ان يعقوب لم يعتمد على
قولهم لما رأى منهم خلف الوعد قال عليه السلام لا يلدغ المؤمن
من جحر واحد مرتين ومنها ان اخوة يوسف ذكروا وصفه اولا ثم
شرعوا فى حل امتعتهم فينبغى للمؤمن ان يقدم حق الله على امر معاشه
ومنها ان رد متاعهم كان ردا فى الصورة وكرامة فى الحقيقة و
دعوته اليه مرة اخرى فالله تعالى قد يرد دعاء العبد ليرجع الى
حضرته ويتضرع اليه هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف
موضح لقوله ما نبغى اى حصل الطعام لنا مجانا ونمير اهلنا عطف
على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى
الملك اى نأتيهم بالميرة وهى الطعام من بلد الى بلد هذا اذا كان ما استفهامية
اذ لا تعطف الجملة الخبرية على الجملة الاستفهامية لاختلافهما
خبرا وانشاء فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجملة
معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا بنيامين عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير اى
حمل بعير زائدا على اوساق اباعرنا اى نصيب اخينا معناه ابعثه
معنا لكى نحمل الطعام لاهلنا ونحفظه من الضيعة ونزداد حمل
بعير لاهله وعدم الملك لنا فيه دليل على ان يوسف لم يعط لاحد
ان يشترى اكثر من كيل بعير ولولا ذلك لاشترى الناس جملة ما
فى مصر فى مدة يسيرة وقيل كان وعد ذلك بغير ثمن ذلك حمل البعير
كيل يسير مكيل قليل لا يكفينا يجوز ان يكون الاشارة الى كيل
بعير اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظم وقيل انه

اى ثمننا الذى اعطيناه رد بجلب لهم الطعام فبهذه الكرة بهذه البضاعة مستغنين ونتقوى بها على مهماتنا

ثم الضيعة بقدر قوتنا لكى نحمل الطعام بسببه عليك قال وهب ولما وجدوا ابضاعتهم قالوا لابيهم الا يدلك على عدل هذا الملك وورعه انه رد بضاعتنا فى رحالنا مخافة ان لا نرجع اليه لما رأى من ضعفنا فبقى البضاعة فى يده بغير حلها فالمنتن قلب بعقد بهذه الدلالة وقال لابد لكم من ان تذهبوا باخيكم فانه لست ارسله معكم حتى معاهدونى لتأتننى به الا ان يحاف بكم فضرب ذلك يهوذا وكان ارحامهم عنده وهو الذى قال فلن ابرح ولم يكن اسنهم لكنه اعقلهم واوثقهم فدفعه اليهم فخرجوا ذكره الثعلبى

من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله
بالولد ومن الحصص ان العاقل ينبغى ان يستقلل ثواب الاخرة و
يقول هذا القدر لا يكفينا ويجتهد فى تكثيره ومنها ان مغفرة الله
كثيرة فينبغى للعاقل ان يطلبها ويقول لا يضايقنا الملك الكريم الجواد
البر الرحيم ومنها ان العمر جوهر شريف لا ينبغى للعاقل ان يخاطر
لحطام الدنيا به ولما طلب اخوة يوسف اخاهم بنيامين من ابيهم
وامتنع هو فقالوا ما قالوا مال الى كلامهم ولان قلبه فاراد ان يحلفوا
له كما قال الله تعالى قال يعقوب لن ارسله اخاكم بنيامين معكم اذ
رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون حتى تعطونى موثقا ما توثق به
من الله من عنده اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتننى به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به اى لتردونه الى وانما جعل الحلف
بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وتشدد الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا فيكون
عذرا والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم فلما آتوه موثقهم فلما اعطوه هذا
العهد قال يعقوب الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
رقيب مطلع روى ان يعقوب قال لابنائه ان تحولوا فى امر
اخيكم انتم بريئون من النبى الذى يأتى فى آخر الزمان وهو افضل
الانبياء وخير البشر وحبيب رب العالمين وامته خير الامم وانه
سيد يوم القيمة وشفيع الناس قالوا نعم وفيه بيان لشرف
محمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فالسعادة لامته ومن
الحصص ان يعقوب قبل وقوع الجرم من ابنائه اشار الى
جوابهم حيث قال الا ان يحاط بكم كانه ذكرهم للعذر كما

وفى الكبير فان قيل لماذا بعثه معهم وقد شاهد منهم ما شاهد قلنا لوجوه احدها انهم كبروا ومالوا الى الخير والصلاح وثانيها انه كان شاهد انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد ما كان بينهم وبين يوسف وثالثها انهم لضرورة القحط احوجهم الى ذلك ورابعها لعله اوحى اليه وضمن حفظه وايصاله اليه شاهدا وحافظا

ذكر الله العد ربقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
ومنها ان هذه القصة صدقت المثل السائل وهو قولهم البلاء
موكل بالمنطق فان يعقوب قال اولاً فى حق يوسف اخاف ان يأكله
الذئب فابتلى من ناحية هذا القول وقال ههنا لتأتننى به الا
ان يحاط بهم اى الا ان تغلبوا عليه فابتلى ايضا بذلك فينبغى ان
يجتنب عن الكلمات الضارة لا سيما للآباء على الابناء ومنها ان
المقدر كائن فتدبير العبد لا يفيد فى دفع تقدير الله تعالى كما روى
الحذر لا يغنى عن القدر • وروى ان يعقوب امر وبيل ان يكتب
كتاباً الى عزيز مصر اعنى يوسف من جانبه ويقول ان الشيب
ادركه قبل اوانه من خوف يوم القيمة وضعف بصره للبكاء
على فراق ابنه يوسف وان البلاء موكل عليه وابائه ويريد
ان يبيع العزيز الطعام ليكون قوة للطاعة وفيه اشارة الى
انه لا بد للعاقل ان يخاف يوم القيمة لانه يوم لا ينفع فيه مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والى انه اذا طلب من الكبار
شئ ينبغى ان يعد كلمات باعثة الى الشفقة والمرحمة • واذا
اريد التفسير الانفسى يراد ان القوى لما رجعوا الى العقل او
الروح بالتصفية وكمال الاستعداد طلبوا منه ارسال القوة العا
قلة معهم لامدادهم فى فضائل الاخلاق ومعنى نكتل نستفيد
من اخينا وانا نحفظه بالتعهد له ومراعاته فى طريق الكمال و
اخذ العهد منهم فى ارساله معهم واستيثاقه عبارة عن تقديم
الاعتقاد الصحيح والايمان على العمل اعلم ان ابناء يعقوب لما ارادوا
الخروج وصيهم كما حكى الله تعالى وقال يعقوب يا بنى ابنائى اذا
وصلتم مصر لا تدخلوا من باب واحد من سكة واحدة ومن طريق

واحد

اذا رأى اى علم احدكم من نفسه او ماله او من اخيه من النسب او الاسلام ما يعجبه اى ما يستحسنه ويرضاه فليدع
اى ذلك الاحد لذاى لما يعجبه بالبركة بان يقول اللهم بارك فيه ولا تضره ويندب ان يقول ما شاء الله
لا قوة الا بالله رواه ابو داود فان العين اى الاصابة بالعين حق كائن اى كائن مقضى به
فى الوضع الالهى لا شبهة فى تأثيرها فى النفوس فضلا عن الاموال وقد ذكر فى تعليق القاضى
حسين ان بعض الانبياء نظر الى قومه فاعجبوه فمات منهم فى يوم سبعون الفا فاوحى الله اليك
انك عنتهم وليتك اذ عنتهم حصنتهم بقول حصنتكم بالحى القيوم الذى لا يموت ابداً ودفعت عنكم
السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اخرجه الطبرانى والحاكم فى الطب عن عامر بن ربيعة
مناوى شرح جامع الصغير

العين اى اثرها حق وتحقيقه ان الشئ لا يعان الا بعد كماله وكل كامل يعقبه النقص ولما كان
ظهور القضاء بعد العين اضيف اليها ذلك فلو كان شئ سابق القدر اى غالبه فى السبق
سبقته العين اى لغلبة العين والمعنى لو امكن ان يسبق القدر شئ فيؤثر فى فناء شئ وزواله
قبل اوانه المقدر له سبقت العين القدر وحاصله ان لا هلاك ولا ضرر بغير القضاء والقدر ففيه مبالغة
لكونها سبباً فى شدة ضررها وتنبيه على سرعة نفوذها وتأثيرها فى الذوات
على القارى لخصا

اعلم ان التوكل ليس ترك الاسباب الظاهرة كما ذكر الامام الغزالى فى الاحياء ان زاهداً من الزهاد
وفارق الامصار واقام فى سفح جبل سبعاً وقال لا اسئال احداً شيئاً حتى يأتينى ربى برزقى فقعد
سبعاً فكاد يموت ولم يأته شئ فقال يا رب ان احييتنى فأتنى برزقى الذى قسمت لى والا فاقبضنى
اليك فاوحى الله اليه لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاء
هذا بطعام وهذا بشراب فاوجس فى نفسه من ذلك فالهم الله اليه اردت ان تذهب حكمتى بزهدك
فى الدنيا اما علمت ان ارزق عبدى بايدى عبادى احب الى من ارزقه بيد قدرتى فاذن التباعد عن الاسباب
كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض
التوكل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة وخفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب
الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب الى آخر ما قال وقد فصل قدس سره التوكل غاية
التفصيل فى كتابه احياء العلوم فى باب التوكل ومن اراد الاستقصاء فليطلب تم

واحد وادخلوا من ابواب من سكك او طريق متفرقة اذ كان
لمصر اربعة ابواب انما قال ذلك لانهم كانوا ذوي جمال مشتهرين
في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف ان يدخلوا كوكبة واحدة
وجماعة كثيرة فتصيبهم عين قيل لم لم يوصهم بذلك في المرة الاولى
اجيب لعلهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي الى التوصية خوفه
على بنيامين قيل اليس هذا بمنزلة الطيرة وقد نهى عنه واجيب لا
اذ امر العين حق لان للنفس اثارا منها العين ولذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم العين حق ويقول في دعائه اللهم اني اعوذ
بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة
وكان يعوذ الحسن والحسين من العين قال بعضهم وجه اصابة العين
ان الله تعالى يحدث عند النظر الى الشيء الحسن والاعجاب به نقصانا
فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى وامتحانا
لعباده حتى قيل سم الانسان في عينيه وسم الحية في نابها فالدفع
لتلك البلية الكلام بالمشية فلابد لكل احد اذا نظر الى شيء حسن
عجيب ان يقول ما شاء الله فاذا قال كذلك يكون مصونا
عن آفة العين كذا قال بعض الفضلاء وقيل انما امرهم بالدخول
متفرقين لانه كان عام الجدب فلو دخلوا من باب واحد مع
الرواحل ممتازين شق على اهل البلد اذا رآهم مجتمعين فامرهم
بذلك شفقة عليهم لئلا يدخل وحشة في قلوب الناس بسببهم
وقيل احب ان يتفطن بهم اعداؤهم فلا يحتالون لاهلاكهم
وهو دليل على عطفه وميله الى كل اولاده وانه لم يكن له حقد
عليهم بما سبق منهم في حقه وهو مع هذا كله كان ناظرا الى
حكم الله تعالى فيه وانه يصل الى العبد ما قدر الله تعالى ولا ينفع

فبلاغة يعقوب بنيه للمواثيق والايمان وخوفه عليهم التفرق حتى يدخلوا مصر لئلا يصابوا بالعين مباشرة الاسباب لان الانبياء لما قال الله عليه السلام الرجل ارسل بعيره توكل اعقلها ثم توكل ان زاده منه الا ان مباشرة الاسباب لا تنافي التوكل

وقد كانوا مجهولين في هذه الكرة اكثر منها في المرة الاولى

الهامة كل ذات سم وقوله عين لامة اي جامعة بكثرة على المعيون

يشير المحققون بقولهم هذا فعل الله تعالى قال هذا اثر العين وهو قول المعتزلة وبطلانه ظاهر

ويجوز ان يكون امرهم بذلك لئلا يظهر حاجتهم في اهل تلك البلدة وتنتشر حالة اضطرارهم ويحتمل انه امرهم بذلك لئلا يقع في اوهام اهل البلدة انهم حضروا المقاتلة الملك اذ انهم كانوا اصحاب مناظر وعدد وكان يبلغهم دعوة يعقوب ذكره المحشي

اعلم ان العين حق وهذا قول علماء الامة ومذهب اهل السنة وقد انكر طائفة من المبتدعة وهم محجوجون بالسنة
واجماع الامة ودل عليه الآثار الصحيحة وكم رجل ادخلته العين القبر وكم من جمل ادخلته القدر لكن ذلك بمشيئة الله
تعالى كذا ذكره القرطبي وفي تفسير الكبير قال عليه السلام العين حق فلو كان شيء سابق القدر سبقته العين
واذا استغسلتم فاغسلوا رواه مسلم عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف
يغتسل فقال والله ما رأيت اليوم مثل جلد سهل فسقط سهل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله
هل لك رأي في سهل بن حنيف والله ما يرفع رأسه فقال هل تتهمون له احدا فقالوا نتهم عامر بن ربيعة فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغلظ عليه فقال هل يقتل احدكم اخاه الا بركت اغتسل له فغسل له عامر
وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخل ازاره في قدح ثم صب عليه فراح مع الناس ليس به باس
رواه في شرح السنة قال محيي الدين النووي وصف وضوء العائن عند العلماء ان يؤتى بقدح ماء ولا يوضع
القدح على الارض فيأخذ غرفة فيتمضمض ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ما يغسل به وجهه ثم يأخذ بشماله
ما يغسل به كفه اليمنى ثم بشماله ما يغسل به مرفقه الايمن ثم بيمينه ما يغسل به كفه الايسر ثم يأخذ ما يغسل به مرفقه
الايسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى على الصفة
المتقدمة وكل ذلك في القدح ثم داخلة ازاره واذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه وهذا معنى لا يمكن
تعليله ومعرفة الا للشارع وذكر في القرطبي واجب على كل مسلم اعجبه شيء ان يبارك فانه اذا دعى
بالبركة صرف المحذور لما قال عليه السلام لعامر الا بركت والتغدت انما يكون اذا لم يبارك والتبريك
ان يقال تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه وان العائن اذا اصاب بعينه ولم يبارك يؤمر
بالاغتسال ويجبر على ذلك ان ابى ومن عرف باصابة العين منع من تداخله الناس دفعا لضرره وقد قال
بعض العلماء يأمره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه ما يقوم به ويكف اذاه عن الناس وقيل
ينفى ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فليرجع الى تفسير القرطبي وتفسير الامام الرازي فانه يجد فيهما
زيادة تفصيل

حذرم ولذاقال وما اغنى عنكم مااد فع عنكم من الله من شئ مما
قضى عليكم بما اشرت به اليكم فلابدّ للانسان ان يجمع بين رعاية
الاسباب وبين ان لا يعتمد عليها وان لا يراعيها الا لمحض التعبّد
ان الحكم الا لله ما القضاء الله ويصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء
ولا ينفعكم ما اشرت اليكم عليه توكّلت فوضّت امرى وامركم
اليه وعليه فليتوكّل المتوكّلون فليثق الواثقون ومن الحصص ان العبد
ينبغى ان يراعى احواله واحوال اولاده بحسب تدبير عقله فانه لا ينافى
التوكّل اذا علم ان الامر بتقدير الله تعالى ومنها ان الله تعالى
حاكم فى الخير والشرّ ومنها انه ينبغى للعبد ان يتوكّل على الله تعالى فى
كلّ الامور ومنها ان يعقوب كان يحبّ الكتمان ويعلم نفعه و
لذا قال ليوسف من قبل لا تقصص رؤياك على اخوتك ومنها
ان ابناءه غدروا فبل ذلك وهو لم يترك الفضل والاحسان
اليهم فكذا الله تعالى لا يترك فضله واحسانه وان عصوا عباده
فهذا مع هذا فكيف بالمطيعين ومنها ان الطرق الى الله تعالى كثيرة
ومختلفة كما قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق فلابدّ من
السلوك بالطرق المختلفة ومنها ان الاب لا يقدر على شئ سوى
النصح للاولاد وكذا المرشد لا يقدر على اولاد الطريقة سوى
النصح لهم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لكن لابدّ للسالك
التسليم التام والاستقامة والخلوص حتى يظهر الفيض
ويقطع المسافة وينال مرامه جعلنا الله تعالى من الواصلين
بحرمة نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم واذا اريد التفسير الانفسى
يراد بقوله لا تدخلوا من باب واحد لا تسلكوا الطريق بفضيلة
واحدة كالسخاء مثلا دون الشجاعة ولا تسيروا على وصف واحد

من اوصاف الله تعالى فان حضرة الوحدة هى منشاء جميع الفضائل
والذات الاحديّة مبداء جميع الصفات فاسلكوا طرق جميع الفضائل
المتصرّفة حتى تتصفوا بالعدالة وتسيروا على جميع الصّفات حتى
يكشف لكم عن الذات الحجاب ويراد بقوله وما اغنى عنكم من الله
من شئ لا ادفع عنكم شيئا ان منعكم توفيقه وحجبكم بعض الحجيب
بين كما لا تهم فان العقل ليس اليه الا افاضته العلم لا اجازة الاستعداد
ورفع الحجاب • ثم ان الله تعالى اخبر بان الحكم بيده لا بيد خلقه ولا
يكون الا ما اراده وانما الخلق يصرف قدرته ولا يدرى مآل الامر
حيث قال عزّ وجلّ ولما دخلوا اخوة يوسف من حيث امرهم ابوهم
من سكك وابواب متفرّقة ماكان يغنى يدفع عنهم دخولهم
كذلك او راى يعقوب واتباعهم له من الله من شئ فما قضاه
عليهم كما قال ابوهم فنسبوا الى السرقة واخذ بنيامين لوجدان
الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة فى
نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى
شفقته عليهم واحترازه من ان يعافوا قضيها اظهرها ووصى
بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحى نصب الحجج ولذلك قال وما اغنى
عنكم من الله من شئ ولم يغترّ بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ما يعلم يعقوب او سرّ القدر وان الحذر لا يغنى عن القدر روى
انهم لما بلغوا مصر تفرّقوا ودخل كلّ اخوين من باب واحد وبقى
بنيامين عند باب الشام ولم يدر اين يذهب ولم يجد احدًا
يعرف لسانه فنزل ملك الى يوسف وقال يا يوسف قم والبس
ثياب الغرباء واركب على ناقة بحيث لا يعرفك احد واقصد باب
الشام فان اخاك بنيامين واقف على ناقة وهو يسئل عن

التسبيل ولا يعرف الناس كلامه فخرج يوسف ووصل اليه و
قال يهوشا ميروانابيل معناه من اين الى اين وما تريد قال له
ميزاقون وهواسوهم معناه جئت من الشام طالبا للميرة قال
فمن انت ما فهم كلامي سواك قال كنت في ديار كم اياما فتعلمت
العبرانية ثم دخل فلما دنى يوسف ورائى اخوته ركبانا فقال
امض نحو اخوتك فبكى وقال لا اريد ان افارقك وقد مال قلبي اليك
قال يوسف انا عبد لاحد لا اقدر على ان اوافقك الا باذنه فذهب
بنيامين نحو اخوته لدى باب يوسف فالعبد اذا تحير في سبيله
وكان طالبا لوصاله فصاحبه يهديه ويرشده لانه دليل
المتحيرين جعلنا الله تعالى من المحبين الصادقين الواصلين الى
جنابه الاقدس ومن الحصص ان النبي لا يدرى ما يكون عاقبة
الامر الا ان يعلمه الله تعالى ومنها ان الامتثال بامر الاب اهم و
الزم في غير معصية الله تعالى وان لم يظهر نفعه فان الامر يريد الله
تعالى ومنها انه ينبغي للاب ان ينصح ابنه وان لم يقدر على
ايقاع الخير ومنها ان من دبر امرا وفوضه الى التقدير يمدح
شعر كنت عبدا كائنا في خدمته ان يشا يختصني من رحمته
ومنها ان العلم ممدوح اذا كان العالم عاملا بموجب علمه ومنها
ان اعظم القضاء على العبد الموت ولا مدفع عنه ومنها ان
الحاجة مرجعها الى علم ولهذا قيل من العلم ان يبذل الانسان
مجهوده طلبا للاصلح ثم يتوكل ومنها ان العالم بالقضاء قليل
ثم ان الله تعالى اخبر ما جرى بين يوسف واخوته حين الدخول
عليه من الاحوال والاقوال حيث قال عز وجل ولما دخلوا اخوة
يوسف على يوسف في مصر وقالوا له قد جئناك باخينا قال ا

احسنتم

احسنتم قال وهب قال لهم يوسف هل بلغتم اباكم ما قلت
لكم قالوا نعم وقد ارسل اليك الجواب مع ابنه هذا قال يوسف
بماذا ارسلك ابوك قال انه يقرئك السلام ويقول انك سألتني
عن خوفي وحزني وكبرى وشيبتي ووهن عظمي واني اطول
الناس حزنا واحقهم بذلك واخوفهم لربه واذكرهم لمعاده و
انما الكبر في قبل اوان الكبر تذكر يوم القيمة وشيبني قبل اوان
الشيب تذكر النار واوهن عظمي قبل اوان الضعف الحزن على
يوسف واضعف بصري بكائي له وانا من اهل اكرمنا الله با
لبلاء وشرفنا ورفعنا به فنحن معصومون بعصمته فلا
تصفوا لنا الدنيا ولا نزال فيها مفجعين مروعين وقد بلغني
تحزنك في واهتمامك بامري وعرفت حقيقة ذلك حين
سألتني عن حالي وسألت عني فكفى بالله جازيا ومثيبا
واعلم انك لن تكرمني بكرامة اعظم في صدري وابلغ في
سروري من ان تعجل لي ما تشبع به عيالي ثم تعجل الى سراح
ولدي فتصل بهم وحدتي وتونس بهم وحشتي فلما سمع
يوسف قول ابيه ورسالته بكى سرا فاشتد بكاؤه وحزن
فاشتد حزنه وعن ابن عباس رض ان بنيامين كان كتب على
ثوبه في مواضع يوسف شوقا اليه وتسليا بالنظر
الى اسمه مكتوبا في ثوبه فقال له يوسف ما هذا قال اسم اخ لي
اكله الذئب فجعت به فجعلت اسمه تذكرة لي وتسكينا لقلبي
فقال هل كنت هناك اذ اكله الذئب قال لا ولكن هؤلاء الاخوة
ذكروا لي ذلك فقال لهم اهو كذلك قالوا نعم قال سمعت ان فيكم
من قلع الشجرة باصلها ثم يضربها برجله فيجعلها قطعا قطعا

اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا الى روبيل فقال يوسف
اكله الذئب وانت فيهم هذا محال ثم قال سمعت ان فيكم من يدرك
الاسد بعدوه ويشق لحييه اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا
واشاروا الى شمعون قال اكله الذئب وانت فيهم وهذا محال
ثم قال سمعت ان فيكم من لو صاح على باب المدينة وضعت كل
ذات حمل حملها ولو صاح اخرى وضعت كل بهيمة حملها اهو كما
سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا الى يهوذا قال اكله الذئب وانت
فيهم هذا محال فسكتوا وخجلوا كذلك القاضى فى القيمة اذا الزمه
الحجة **آوى اليه** جواب لما اى ضم الى نفسه **اخاه** بنيامين على الطعام
او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى فبقى بنيامين وحيدا
فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على
مائدته فى الخلوة ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له
فيكون معى فبات عنده قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك
الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فلما قال كذلك **قال** يوسف **انى انا اخوك** يوسف او قال انى انا
بدل اخيك المفقود الهالك **فلا تبتئس** فلا تحزن او لا تبال
او لا تكترث وحقيقته لا تظهر من نفسك البؤس اى الشدة
بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فقد احسن الله تعالى الينا وما
ضرنا سعيهم فلا تعلمهم بامرنا روى ان زاهدا رأى اربعة صبيان
يتنازعون فى جوز فقال انا اكرم واقسمه بينكم قالوا رضينا
فلما اكرم وجده خاليا وسمع ها تفا لو كنت انت القسام فا
قسمه فعلم ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن
يشاء **و**من الحصص ان يوسف انزل اخوته الذين اساؤا

ضيفا لان شان الكريم العفو ثم الفضل وكذا الله تعالى يعفو
عن سيئات العاصى فيتفضل عليه كما يعتق السيد عبده ثم
ينزله فى داره لانه لا دار للعبد المؤمن سوى الجنة كما قال تعالى لهم
دار السلام عندهم **ومنها** ان الله تعالى يكلم عبده بعدما وضع
عليه كنفه ويقول تعرف ذنب كذا ثم يغفر **ومنها** انه ينبغى ان يكتب
العبد اسم الله تعالى على قلبه بان يكثر ذكره حتى يحصل له ولد القلب
بحيث لا يغفل عن ذكره طرفة عين لا حال اليقظة ولا حال النوم
ومنها ان الله تعالى يقحم العاصى بالحجة ثم يعفو **ومنها** ان الله تعالى
جليس المنفرد وانيس المنقطع كما ورد فى الحديث القدسى انا جليس
من ذكرنى وانيس من استأنسنى **ومنها** ان بنيامين لما سمع
كلام يوسف انى انا اخوك سكن روعه كما قال الله تعالى سلام
قولا من رب الرحيم فان اسم الرحيم يفيد الراحة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا راحة للمؤمن دون لقاء الله **اعلم** ان بنيامين
لما عرف يوسف قال واذ وجدتك فلا افارقك ولا ارجع مع
اصحابى فقال يوسف قد علمت اغتمام والدك واذا حبستك
ازداد غمه ولا ينهيأ الى وجه صالح ولا يمكننى اخذك وردك الا
بعد ان ارميك بامر فظيع فقال لا ابالى فافعل ما شئت وما بدا
لك فانى لا افارقك قال فانى ادس صاعى هذا فى رحلك ثم انادى
عليك بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال فافعل فوفى
يوسف الكيل لكل واحد من اخوته حمل بعير ثم دس فى رحل اخيه
السقاية وهى مشربة الملك وكان يسقى بها وهى الصواع و
كانت من ذهب مرصعة بالجواهر كال بها لاخوته اكراما لهم
فلما انفصلوا عن مصر نحو الشام ارسل من استوقفهم فوقفوا

كما حكى الله سبحانه وتعالى فلما جهزهم بجهازهم كال يوسف لهم
كيلهم جعل السقاية وضع ودس المشربة في رحل اخيه بنيا
مين يحتمل ان يوسف وضعها بنفسه فلما افتقد واطلبوا وبما
ظنوا اتهموا ويحتمل انه امر بعض خواصه بذلك ثم اذن مؤذن
ارسل الطالب في اثرهم ونادى مناد معلما ومسمعا واسم
المنادى افرائيم من فتيان يوسف اعلم ان كل صوت عال سمى
تاذينا دواذا دون ذلك يسمى صياحا ايتها العير اى القافلة التى
يحتمل الميرة والعير في الاصل اسم للابل التى عليها الاحمال لانها
تعير اى تجئ وتذهب فقيل لاصحابها انكم لسارقون قيل كيف
يليق بيوسف وهو رسول حق ان يتهم اقواما وينسبهم الى
السرقة واجيب بانه يحتمل ان المنادى قاله بظنه لا بامر يوسف
وانما امر يوسف بطلب الصواع او كان النداء برضا بنيامين
ومع هذا لا بد ان يراد بهذا الخطاب ان بعضكم لسارق اى فيكم
سارق او جماعة اشركوا في السرقة وقيل معناه لسارقون يو
سف من ابيه او انما قاله بالوحى قالوا اخوة يوسف واقبلوا
عليهم جملة حالية اى توجهوا الى من ارسلهم يوسف فقالوا
ماذا تفقدون اى شئ ضاع عنكم فجئتم تطلبونه قالوا اى
المنادى ومن معه نفقد صواع الملك وهو اسم تلك السقاية
قال قتادة اى اناء الملك الذى يشرب فيه وقال عكرمة هو اناء
من فضة وقيل كان من نحاس والفقد غيبة الشئ عن الحس
بحيث لا يعرف مكانه ولمن جاء به لمن رد علينا صواع الملك
حمل بعير من الطعام جعلا له وانا قائل هذا القول المؤذن به
بالحملة زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز

الكفالة

الكفالة بغير امر وعلى جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
ومن الحصص ان بنيامين وصل الى المرام فنسى الالام فالعبد
اذا وصل الى الحق نسى الفقر والغنى في الدنيا كما ورد في الخبر ما
ضركم ما فاتكم من الدنيا اذا كنت لكم حظا ومنها ان الاخوة
دخلوا على يوسف وما بقى عنده الا بنيامين ولهذا قيل الداخل
كثير والواصل قليل ومنها ان يوسف دبر امر بنيامين والا
فكيف يمكن له الوصول والقبول فكذا الحق تعالى يدبر في تقرب
عبده والا فكيف يتقرب اليه مع عوائقه الكثيرة ومنها ان
المنادى نادى جميع العير بقوله ايتها العير انكم لسارقون لئلا
يلزم الخجل لاحد بعينه وكذا قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله جميعا ولم يخص العصاة بالذكر لئلا يلزم الخجلة لهم
ومنها انه كم من عامل يظن بنفسه خيرا وهو سارق كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسوء السارق من سرق من صلاته
اى من ركوعه وسجوده ومنها ان نسبة السرقة من المنادى
سوء ظن والحال انها دليل القبول من يوسف وقد يكون
على احد دليل قبول وهو سارق مطرود ومنها ان طلب
الصواع مقصود ظاهرا والمقصود الاصلى هو بنيامين و
كذا طلب العبادة من العبد لله تعالى مقصود ظاهرا والمقصود
الاصلى مجئ العبد الى الحضرة الالهية فلا بد للعبد ان يروح اليها
قبل ان يذهبوا به واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقوله ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم الخ ان الحواس امتثلوا امر العقل
بسلوك طرق جميع السالكين وهو لم يغن عنهم من جهة الله
من شئ اى لم يدفع عنهم الاحتجاب بحجاب الجلال والحرمان

عن لذة الوصال لان العقل لا يهتدى الا الى الفطرة ولا يهدى
الا الى المعرفة واما التنور بنور الجلال والتلذذ بلذة الشوق
بطلب الوصال وذوق العشق بكمال الجلال والجمال بل جلال
الجمال فامر لا يتيسر الا بنور الهداية الحقانية الا حاجة فى
نفس يعقوب هى تكميلهم بالفضيلة وانه لذو علم لتعليم الله
اياه لا ذو عيان وشهود ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
فيحسبون الكمال ما عند العقل من العلم او الحواس لا يعلمون
علم العقل الكلى اوى اليه اخاه لتناسب بينهما فى التجرد جعل
السقاية فى رحل اخيه مشربه التى يكيل بها على الناس اى
قوة ادراكه المعقولات عند التجرد عن ملابسة الوهم والخيال
والقوة المدبرة لامر المعاش المشوبة بالوهم فى اول الحال و
نسبه الى السرقة لتعوده بادراك الجزئيات فى محل الوهم
من المعانى المتعلقة بالمواد وبعده عن ادراك الكليات و
المؤذن الذى نسبهم الى السرقة هو الوهم لوجدان الوهم بغيرها
حال الجميع عما كانت عليه وعدم مطاوعتها له وتوهمه لذلك
نقصا فيهم والحمل الموعود لمن يجئ بالصواع هو التكليف الشرعى
الذى يحصل بواسطة العقل العملى عند استنارته علم ذلك من
القلب والصواع هو القوة الاستعدادية التى يحصل بها علمه
قالوا اخوة يوسف تالله قسم فيه معنى التعجب اى يلازمه
التعجب غالبا والمعنى ما اعجب حالكم انتم تعلمون علما جليا
لا ريب فيه لما شاهدتم من احوالنا لقد علمتم بما رأيتم ما جئنا
من كنعان لنفسد فى الارض ما جئنا لنعمل المعاصى ونخون احدا
فى ارض مصر وما كنا سارقين اى لم نتصف بالسرقة قط احتجوا

يعلم يوسف وقومه من المؤذن وغيره على براءة انفسهم لما
عرفوا منهم فى كرة مجيئهم ومداخلتهم للملك فمما يدل على فرط
امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكشارفواه دوابهم
لئلا تتناول زرعا وطعاما فلو كانوا سراقا ما فعلوا ذلك
ومن الحصص انهم يدعون الفضل لانفسهم الآن ولا يذكرون
ما وقع منهم قبل مجيئهم بارض مصر والحال ان يوسف يعرف
احوالهم واعمالهم السابقة وكذا الشيخ يدعى البراءة زمان
شيخوخته وينسى حاله فى شبابه والله تعالى يعلم اعماله واحواله
فينبغى ان لا ينسى بل يتفكر ولا يغتر بهذه الحالة ومنها انهم
ظنوا ان الصواع ليس فيهم ثم ظهر خلافه وكم من مدعى الخير و
لا خير فيه قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ومنها انهم قبل ان يتفحصوا رحالهم ادعوا البراءة فللعاقل
ان يحاسب قبل ان يحاسب ثم يدعى البراءة قالوا اى فتيان
يوسف ابناء يعقوب وكان الحكم فى ارض مصر للسارق
الضرب والتضمين وكان الحكم بارض كنعان انهم يأخذون
السارق ففوضوا الحكم الى بنى يعقوب ليحكموا بحكم بلادهم
فقالوا فما جزاؤه اى عقاب السارق او الصواع على حذف
المضاف اى سرقته ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا اخوة
يوسف جزاؤه من الذى وجد الصواع فى رحله اى جزاؤه اخذ
من وجد فى رحله واسترقاقه بقيمة المسروق هكذا كان فى
شرع يعقوب عم كالقطع فى شرعنا فهو جزاؤه كرر لتقرير الحكم
وتاكيده كذلك نجزى الظالمين بالسرقة فى شرع يعقوب وقيل
لم يكن ذلك حكم شرع يعقوب بل كان حكم اهل مصر فبادروا

بالتزام هذا الحكم قبل ان يجبروا عليه وقيل لم يكن ذلك حكم
احد الفريقين وانما هو شئ اتفق لهم القول به ثقة منهم
بانهم لم يسرقوا فنفوا التهمة عن انفسهم بالتزامهم اغلظ ما
يكون رسمًا او حكمًا في السراق وكان ذلك امرًا اراده الله تعالى
اتمامًا بمراد يوسف من احتباس اخيه عنده فاجرى هذا القول
على السنتهم وقيل انما شرطوا على انفسهم ذلك الهامًا من الله
تعالى لهم واعلامًا ان من سرق الصواع استحق العبودية
بسرقته فكيف من سرق صاحب الصواع وايجابا عليهم ان
جميعهم يستحقون ذلك الجزاء فانظر كيف غفلوا عن حجة لهم
وهي ان يقولوا جعل الصواع في رحالنا ونحن لا نعلم ثم نطقوا بالحجة
عليهم وهو قولهم كذلك نجزي الظالمين بالسرقة والحصر انه
رب قائل يحكم على غيره ويعظه وحكمه يجزي عليه وهو غافل
وعن الاتعاظ ذاهل شعر يا واعظ الناس قد اصبحت متهما
ادعيت منهم امورًا انت تاتيها ومنها ان بنيامين حبس بما
وجد في رحله فانظر الى عملك هل تحبس به قال تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة ومنها ان الانكار لا يفيد اذ الامر يظهر بالتفحص
وهو سبب لهلاك البعض قال عليه السلام من نوقش
في حسابه فقد عذب ومنها ان الادعاء سهل والصدق
فيه مشكل لان الادعاء يتأتى باللسان ولا حاجز له بيت
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
ومنها ان بعض القصص ممدوحة وبعضها مذمومة فاجتهد
ان تبقى قصتك جميلة ثم ان اخوة يوسف لما افتوا بان جزاء
السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لا بد من تفتيش

او

101

اوعيتكم لانهم ردوا الى مصر فبدأ المؤذن او يوسف باوعيتهم
تفتيش اوعية غير بنيامين قبل وعاء اخيه نفيا للتهمة عن
قتادة قال كلما فتح متاع رجل استغفر تائبا مما صنع حتى بقي متاع
بنيامين فقال ما اظن هذا اخذ شيئا قالوا بلى وقيل قالوا والله
لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم
استخرجها السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه
بنيامين فحبسه عنده بمقتضى فتواهم قال وهب قالوا الا ولاد
يعقوب ماهكذا كان جزاؤنا منكم لم تكرم ضيافتكم ولو فيكم
ونحن نزلكم ونفعل بكم ما نفعل بغيركم الم ندخلكم في منازلنا
وبيوتنا فقالوا اما نعرف بهذا اولا نوصف به تالله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لكن كان ما كان فنكسوا
على رؤسهم وانكرت قلوبهم وانقطعت السنتهم وخلوا باخيهم
وقالوا يا ابن المشؤمة واخا المشؤم ما هذا من شومك
وشوم ولدها ببديع ولولا ائتمرنا في اخيك امرًا جازما يجر علينا
اعظم من جريرتك فما حملك على ان تسرق صواع الملك فتفضحنا
وتفضح نفسك وتزري بابيك الصديق وليس هذا باول ما
شامتنا امك بولدها حتى لقي يوسف حين صرف وجه ابينا
عنا فحملنا شومكم على ان اخرنا ابونا وبعنا اخانا ولو كنا فعلنا
ذلك بك لاسترحنا وتخلى لنا وجه ابينا فقال لهم بنيامين
اسمعوا مني يا اخوتاه ولا تعجلوا علي ولا تشتموني فاني سآتيكم
بوجه من الحق تعرفونه وتعرفون به رأيي وعذري الستم تعلمون
ان بضاعتكم قد دست في رحالكم يوم صددتم من عند هذا
الملك بغير علم منكم فان كنتم انتم سرقتموها ودسستموها

اي بتفتيش اوعية الاخوة العشرة ابو السعود

لازالة التهمة ع

الوعاء الظرف يوعى فيه الشيء اي يحفظ

ففتح رحله ع

من رحله بنيامين ع

فی رحالکم کنت انا سرقت الصواع ودسسته فی رحلی وان کنتم
لا تدرون من دس البضایع فی رحالکم فکذلک لست ادری من
دس الصواع فی رحلی والا فاعلموا ان هذا الملک یرید بکم امراً فهو
یمکر بکم من اجله فلما قال لهم هذا نظروا فیما قال فاخذ بانفسهم
وتعلق بقلوبهم فصد قوم فلما رجعوا الی یوسف ودخلوا علیه
قال لهم کیف رأیتم فراستی فیکم وعلی بامرکم الیس قد اخبرتکم
اول یوم رایتکم انکم سراق فانکرتم وحلفتم وایم الله لا ترجعوا
حتی اسأل الصواع عنکم فتخبرنی خبرکم فانه غضبان علیکم
من اجل انکم سرقتموه فهو خلیق ان یفضحکم وان لا یستر شیئاً من
مساویکم ثم قال یوسف لامینه سل هذا الصواع عن خبر
هذا القوم وحذره ان یکتم شیئاً من دخلة امرهم فنقره الامین
ثم قال اخبر الملک بالذی سألک عنه فطن الصواع ساعة و
الامین مصغ الیه باذنه فلما سکت الصواع قال الامین ان الصواع
یقول لک ایها الملک ان هؤلاء القوم لیس هذا باول ما سرقوا
انهم سرقوا قبل صواعک هذا غلاما حراً باعوه قال زد فسله
عنهم وقل له یخبرنی من اخبارهم فنقر الصواع فطن وهو
مصغ الیه باذنه فلما سکت الصواع قال الامین انه یقول ان
اخاهم الذی اخبروک انه قد مات حی ولکنه مغترب بارض
بعیدة وهو بها حی سلیم وزعم الصواع انهم لم یصدقوک
عن هلاکه کیف کان هلک وانه لا تنقضی الایام واللیالی
حتی یرجع الغلام فتخبر الناس اخبارهم قال زد فسله عنهم
وقل له یخبرنا من اخبارهم فنقر الامین فطن وهو مصغ الیه
باذنه فلما سکت الصواع قال الامین ایها الملک ان هؤلاء

القوم اخبروک انهم لام واحد کذبوا ولکنهم لعلات وانما جمع
الفتهم عذرة غدروها بابیهم ولولا ذلک لکان بینهم ما یکون
بین اولاد علات قال زد فسله عنهم وقل له فلیخبرنا من اخبارهم
فنقره فطن وهو مصغ الیه باذنه فلما سکت الصواع قال الامین
ایها الملک ان الصواع یقول لک ما علی ظهر الارض من عصابة
هی اکذب من هؤلاء القوم لقد کذبوا اباهم کذبة ما استقالوا
ها بعد ولا غفرت لهم قال زد علیه فسله عنهم فلیخبرنا فنقره
فطن وهو مصغ الیه باذنه فلما سکت قال الامین ایها الملک
ان الصواع یقول ما دخل علی ابی هؤلاء القوم مذ عقلواهم و
لا حزن ولا بلاء ولا بکاء الا من جهتهم وبسببهم وعلی ایدیهم
وبجرایرهم فلما خافوا ان یبلغ بهم الخبر ومسائل شان یوسف و
فعلهم الذی فعلوا به وبابیهم اکبوا علی یوسف فالتزموه یقبلون
رأسه وقدمیه ویسئلونه بالله ویذکرونه به ویقولون نسئلک
بالذی فضلک علی العالمین وشبهک بالنبیین لما سترت العورة
واقلت العثرة وکنت عند حسن الظن بک والرجاء فیک وحفظت
رسالة ابینا یعقوب الیک ووصیته فینا ورحمت ضعفه و
کبره ووحدته بعدنا ووحشته بغیبتنا فرق حین ذکروا ایاه
وادرکته الرحمة لهم فقال اما والله لولا حرمة یعقوب وحقه
ورسالته ووصیته لنکلت بکم من خلفکم ولشردت بکم
السراق واللصوص فانطلقوا فقد عفوت عنکم قیل لم فعل یوسف
باخوته ما فعل من التخویف والتعییر وهو کریم واجیب بانه انما
فعله تکفیراً لما فعلوه مع ابیهم فی امر یوسف وتفهیما لهم ما
یستحقونه علی ما قدموا لیتوبوا ویعترفوا فیغفر لهم لان العفو

يكون للمقر دون المصر كذلك مثل ذلك الكيد كدنا اخوة يوسف
ليوسف لاجله ليتهيأ له حبس اخيه اى علمناه اياه واوحينا
اليه لان حقيقة الكيد مستحيل فى حقه تعالى وقيل
اى فعلنا بهم من الكيد كما فعلوا بيوسف والكيد من الناس
الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالخلق وقيل اى اتممنا وقيل
هذا الكيد من الحيل الشرعية التى تتوصل بها الى مصالح دينية
كقوله تعالى لايوب عم وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها
ولا يحنث وكقول ابراهيم عم هى اختى لتسلم زوجته من يد الكافر
وما الشرايع كلها الا مصالح نافعة وطرق الى التخلص من
الوقوع فى المفاسد كما لا يخفى على العاقل ما كان ما يصح ليأخذ
يوسف اخاه بنيامين فى دين الملك مصر ملك لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد
قال ابن عباس رض فى دين الملك اى فى سلطانه وقال قتادة
فى قضائه وقال مجاهد فى سنة الملك الا ان يشاء الله الا
استثناء متصل اى ما كان ليأخذه فى حالة الا فى حال كونه ملتبسا
بمشية الله تعالى واذنه للملك اى ان يجعل ذلك الحكم حكم نفسه
فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن
اخذه بمشية الله تعالى واذنه وهذا على قول من جعل استرقاق
السارق حكم يعقوب دون اهل مصر واما على قول من عكس
هذا القول فتأويله كذلك كدنا ليوسف فى اظهار السرقة
على اخيه فما كان له اخذه فى حكم ملك مصر الا بالسرقة فالمشية
على هذا واقعة على وقوع السرقة منه ودلت الاية على ان افعال
العباد حسنها وقبيحها بمشية الله تعالى ودلت على ان جميع

اى مثل ذلك الكيد العظيم يعنى ما فعلوا فى الابتداء بيوسف من الكيد ع

قوله تعالى كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا فى ذلك من معنى البعد اى مثل الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم ومعنى قوله كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما فى قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشايع كذا ذكره ابو السعود

ويجوز ان يكون الاستثناء من اعم العلل والاسباب اى لم يكن ياخذ اخاه لعلة من العلل او سبب من الاسباب الا لعلة مشية تعالى او الا بسبب مشية تعالى ابو السعود

ما فعله يوسف كان بالوحى فلا يرد ان يقول كيف اخوف
اخوته واحزن ذلك الشيخ الكبير وغير ذلك نرفع بالعلم درجات
بالتنوين ظرف من نشاء كما رفعناه درجته فمحل الموصول نصب
على انه مفعول نرفع وقرئ بغير تنوين بالاضافة فى مفعول
وقال بعضهم معناه نرفع درجات من نشاء بتعليم العلم فى
كل باب والايصال به الى المحاب ولما ذكر رفع الدرجات بسبب
العلم الذى به يرفع من يشاء كقوله تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات اراد ان يبين ان لا نهاية للعلم
تنبيها على نباهة شانه وكمال فضله وشرفه فقال عز وجل و
فوق كل ذى علم عليم اى ليس فى العالم من عالم الا وفوقه اعلم منه
يعنى فضلنا بعضهم على بعض فى مقادير العلوم وقيل وفوق
كل ذى علم من الناس عليم حتى ينتهى العلم الى الله تعالى فلا يكون
فوقه عليم قيل ان رجلا سأل عليا رض عن مسئلة قال فيها
قولا فقال الرجل ليس هكذا ولكن هو كذا وكذا فقال على رض
اصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم وروى عن سعيد بن
جبير ان ابن عباس رض حدث بحديث فقال رجل عنده الحمد
لله وفوق كل ذى علم عليم قال ابن عباس رض ان الله هو العالم
وفوق كل عالم ومن الخصص انه بدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه
لانهم كانوا اكبر قبلا وهم اكثر ومنها ان السؤال عام قال الله
تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقال تعالى فوربك لنسئلنهم
اجمعين ومنها ان الصواع لما وجد فى رحل بنيامين نكسوا رؤ
سهم فالعصاة كذلك عند الله تعالى كما قال ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم ومنها ان الوانهم تغيرت بغير جرم

ونبا لنبرة عالية اسند نرفع الى نون العظمة ... ولك الدرجات من نشاء ابو السعود

وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة ابو السعود

والجملة مستأنفة

قال ابن الشيخ لما قال تعالى فى حقه عم وكذلك كدنا ليوسف يعنى علمناه ان يجعل السقاية فى رحل اخيه وان ينسبهم الى السرقة وان يسأل عنهم جزاء السارق عندهم بين ان ارتفاع درجته فى باب العلم بمشية الله وارادته وانه ذو حظ من العلم فقال نرفع درجات من نشاء اى بالعلم كما رفعنا درجة يوسف فيه والجملة استيناف مقرر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف

وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه تعالى وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى ابو السعود

منهم فى ذلك فكيف حال المجرمين عند الملك القهار ومنها
انهم عيروا بنيامين وهو يضحك لعلمه بحال يوسف فمن كان
له مع السلطان الحقيقى سر يضحك ويكون مسرورا ومنها
ان يوسف خلع على الاخوة خلعة ووضع على بنيامين تهمة وهم
محجوبون وهو مقرب فكم من نعمة تصير سبب البعد وكم من معصية
تصير سبب القرب يكون صاحبه نادما على ما فعله ومتوجها
اليه بخلوص البال روى عن على رض انه قال يقول العاصى
يوم القيمة اللهم رخص لى ان اشكر لك لما ابتليت بالمعصية
دون الكفر فيغفر الله تعالى له بلطفه وكرمه فقيل فى هذا المعنى
شعر الهى عبدك العاصى اتاك وجاء خائفا يرجو لقاك وان
يك يا مهيمن قد عصاك ولم يسجد لمعبود سواك ومنها ان الملك
اذا اراد امرا لا يمكن رده ومنها انهم طعنوا فى بنيامين و
لم يعلموا عاقبة امره فينبغى للعاقل ان لا يطعن احدا ولا يزدرى
به لانه يحتمل ان يفوق عليك ومنها ان التخويف والتعيير للا
صلاح ولفائدة ما مستحب ومنها ان تاخير التوبة مذموم
بل لا بد لمن صدر منه ذنب ان يتوب عقبه لان الموت بين
يديه ومنها ان الناس يخافون افشاء عيوبهم فى الدنيا ولا
يخافون يوما تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه ومنها
ان وجدان جزاء السيئة فى الدنيا اولى ليكون كفارة لها
ومنها ان اخذ الاخ تيسر ليوسف بالعلم فهو اشرف و
افضل فان اردت الوصول الى الله تعالى والقربة اليه فكن
ساعيا فى العلم بخلوص البال وتب عن المعاصى حتى يتيسر
تحصيله ومنها انه ما تيسر له اخذ الاخ على دين الملك

فلا يمكن له اخذ الاخ الدينى على عادة الحاكم الدنيوى
ومنها ان الاستثناء يدل على ان وقوع شىء على خلاف
العادة المشروعة نادر وان الله تعالى على كل قادر ومنها
ان علم يوسف انما كان نافعا له بمشية الله تعالى ومنها
ان افعال العباد كلها بمشية الله تعالى قال الله تعالى وما
تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين ومنها انه كم من عمل
يقع يرى ظاهره مكروها وهو خير محض ومنها انه ينبغى
للعالم ان لا يستكثر علمه لان المرء لا يحيط بجميع العلوم اذ
فوق كل ذى علم عليم كما قيل فى هذا المعنى شعر ما حوى العلم جميعا
احد ولو دارسه الف سنة انما العلم بعيد قعره فخذوا من
كل علم احسنه ومنها ان المرء لا يصير اعلم العلماء من كل الوجوه
ومنها ان اعتراف المرء بجهله من العلم سئل الشعبى عن مسئلة
فقال لا ادرى فقيل له اما تستحيى وانت مفتى العراقين
فقال ان الملئكة المقربين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا فمن انا
وقيل ان عالما سئل عن مسئلة وهو على المنبر فقال لا ادرى
فقال له السائل ليس هذا مكان الجهال فقال المكان للذى
يعلم شيئا ويجهل شيئا اما الذى يعلم ولا يجهل شيأ فلا مكان له
ومنها ان العوام لا ينبغى لهم ان ينسبوا العلماء بعدم الجواب
لبعض المسئلة الى الجهل لانه ازدراء بهم وفيه خوف عظيم
واذا اريد التفسير لا نفسى يراد بالمفتش اى مستخرج الصواع
من رحل اخيه الفكر الذى بعثه القلب ليتجسس رحل العقل
ولما كان دين روح القدس تحقق المعانى والمعارف والحقايق
النظرية مما يتعلق بالعمل يصير العقل عند القلب لان القوة

الاستعدادية وجدت عنده وما كان ليأخذ اخاه بالبعث
على العمليات والاستعمال على الفضائل فى دين الملك لان
دينه العلم الا ان يشاء الله اى وقت تنور النفس وتفتح
الصدر القابل للعمليات وذلك هو رفع الدرجات لان النفس
ح ترتفع الى درجة القلب والقلب الى درجة الروح فى مقام
الشهود وفوق كل ذى علم عليم كالعقل العملى فوقه العقل النظرى
وفوقه الروح وفوقه القدس والله تعالى فوق الكل لانه علام
الغيوب كلها اعلم ان الصواع لما خرج من رحل بنيامين افضح
الاخوة وارادوا تبرئة ساحتهم عن السرقة قالوا اخوة يوسف
ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له يعنون يوسف من قبل
اختلف فى وجه اضافتهم السرقة اليه قال ابن عباس و
مجاهد كانت لابرهيم منطقة كان يتوارثها الكبراء من اولاده
فورثها ابنه اسحق ثم وقعت الى رحمة بنت اسحق اخت يعقوب
وكانت اكبر اولاد اسحق وماتت راحيل فحضنت رحمة يوسف
وكانت تربيه الى ان شب وكانت لا تصبر عنه ساعة فلما
شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها الى منزله فعلمت بذلك
اخته فشدت المنطقة على وسط يوسف وبعثت به الى
يعقوب ثم اتت على اثره فقالت فقدت المنطقة ولم اجدها
فى بيتى ففتشوا ثياب يوسف فاذا المنطقة على وسطه و
كانت سنة آل يعقوب استرقاق اللصوص والسراق
ثلثة اشهر فردت يوسف الى منزلها ثلثة اشهر فذلك
قولهم فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان يوسف سرق
المنطقة وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء

وقال

وقال كعب كان يوسف فى المنزل يعقوب جونة فيها صنم
لجدام يوسف فحمله يوسف والقاه فيما بين الجيف وغطاه
بالتراب وقال سفيان بن عيينة سرق يوسف دجاجة
كانت فى بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقيل دخل كنيسة
واخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه ومقصود
الاخوة ان هذه الوقعة ليست ببعيدة منه فان اخاه الذى
هلك كان ايضا سارقا ونحن لسنا على طريقتهما لانهما من
ام اخرى قيل يفهم منه ان الاولى بالرجل ان لا يتزوج بامرأتين
خوفا عما يقع بين الاولاد ومن الحصص ان يوسف اكرمهم وانعم
عليهم وهم لم يتركوا القبيح فكذا الله تعالى يعطى العصاة النعم
وهم لا يتركون العصيان ويسندونه الى الله تعالى بان يقولوا
قضى الله علينا فى الازل ومنها ان حسن الصورة قد يصير
سبب التهمة ومنها ان الصنم لا يقدر على رفع السارق عنه
والكفار يعبدونه لكمال جهلهم روى انه كان راع فى زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع كل يوم صنمه فى المخلاة
ويعبده فى المفازة فبال الكلب على الصنم فضرب الكلب وكذلك
الى اربعة ايام فترك الكلب فى البيت فذهب بصنمه وغنمه الى
الجبانة ووضع الصنم ليحرس الغنم فجاء ثعلب فبال عليه فلما
رأى ذلك جاء الى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم
فاسلم وانشأ يقول هذه الابيات قطعه ارب يبول الثعلبان
برأسه لقد ذل من بال عليه الثعالب ولو كان ربا يمنع
نفسه ولا خير فى رب تزدريه المطالب برئت من الصنم
والشرك كله فآمنت بالله الذى هو الغالب ومنها انهم

وتفصيله انه كان لجد يوسف ابى امه صنم كان يعبده فقالت ام يوسف ليوسف خذ هذا الصنم الذى يعبده جدك فغيبه لعله يترك عبادة الاصنام وكان صنما من ذهب فغيبه يوسف فلم يقدروا عليه فمن اجل الصنم قالوا فقد سرق اخ له من قبل

اعتذروا وعذرهم اشدّ من جرمهم ومنها انّ كرم يوسف
كان فوق الحدّ ولذا لم يكافيهم من جهة الفعال ولا من جهة
المقال كما قال تعالى فاسرّها اخفى هذه المقالة او الاجابة او
نسبة السّرقة اليه يوسف فى نفسه حلماً منه وشفقة عليهم
ولم يبدها لهم لم يظهرها لهم اى لم يقل انا يوسف وما
سرقت قطّ فلم كذبتم علىّ وقيل كناية بشريطة التفسير تفسّرها
قوله قال يوسف انتم شرّ مكاناً فانه يدلّ من اسرّها والمعنى
قال فى نفسه انتم شرّ منزلةً عند الله فى السّرقة لسرقتم اخا
كم وكذبتم بقولكم اكله الذئب او فى هذا الصّنيع ممّا كنتم عليه
لانّ يوسف اخذ الوثن لئلّا يعبد وليس هذا بمذموم والله اعلم
بما تصفون بما تقولونه من السّرقة اى وهو يعلم انّ الامر
ليس كما تصفون وعن ابن عبّاس رضى قال عوقب يوسف
ثلث مرّات احدها فى السّجن بمقالة زليخا والثانى حين قال اذكرنى
عند ربّك فلبث فى السّجن بضع سنين والثالث حين قال
انّكم لسارقون فردّوا عليه وقالوا فقد سرق اخ له من قبل و
فى هذا الفعل حصص منها انّ القول الكاذب ربّما يكون سبب
الكربة فان صبرت عليها تنال اجراً عظيماً ومنها انّ من كان
فى قرب الحضرة الاحديّة اذا التفت الى الغير ياد بى الثقات
نبّه فى الحال لينزجر عنه ومنها ان نسبة السّوء الى قريبه
لا تليق بشان الكرماء وان كان متّصفاً به لانّ الكرم مقتضى
العفو فاذا عمل بخلافه نبّه فى الحال فالاولى للكريم ان يتجاوز
عن المسئ واذا كان الّائق بكرم العباد هذا فكيف كرم
اكرم الاكرمين وارحم الراحمين غفر الله تعالى ذنوبنا وادخلنا

اى كلمة بما فى قوله اسرّها ضمير مبهم تفسّره الجملة التى
بعدها وهى قوله قال انتم الخ
اى تجاهل عنها ونزّل نفسه منزلة من لم يسمعها
وعلى هذا يكون قوله قال انتم شرّ مكاناً كلاماً مستانفاً

اى عالم علماً بالغاً الى اقصى المراتب بان الامر ليس
كما تصفون من صدور السّرقة منّا بل انما هو افتراء
علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه تعالى
على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم ابو السعود
فانّ ما نسبتم الى يوسف من السّرقة لم يقع الا
طلباً لمرضاة الله تعالى والمراد الايلام به بخلاف
ما وقع منكم من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم
بان اخذتم قرّة عينه من عنده بالحيلة
بالجب ثم قلتم لابيكم اكله الذئب وانتم كاذبون
ثم بعتموه بعشرين درهماً ثم لم يزل ما فى
قلوبكم من الحقد والبغض بانقضاء السنين
والاعوام حتى رميتموه بالسّرقة ذكره ابن الشيخ
ثم ان يوسف لما اخذ اخاه بنيامين من اخوته بحكم
السّرقة مع انهم اعترفوا بانّ حكم الله فى السارق
ان يسلم الى المسروق منه ليستعبده سلكوا سبيل
الشفاعة والاستعطاف وقالوا انك وانّ
اخذته بحق الا ان العفو والصفح واخذ الفداء
ايضاً جائز مشروع فتوقع من فضلك وكرمك
ان تنظر الى كبر قدر ابيه عند الله وكبر سنّه وان
تعفو عنه وترسله وتاخذ احدنا مكانه كما قال
تعالى قالوا يا ايها العزيز الآية ذكره ابن الشيخ

بفضله وجوده دار النعيم وشرّفنا بمشاهدة جماله بحرمة
نبيّه الحليم واذا اريد التفسير الانفسى يقال معنى قالوا ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل ان القلب استعدّ لهذا المعنى
من قبل دون القوى فبقوا منكرين القلب والعقل مبقين
ايّاهما عند اباهما لتحصيل مطالبها وما قيل من انه كان لابرهيم
منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها من اسحق عمّة يوسف
لكونها كبرى من اولاده الخ كما مرّ فهى اشارة الى مقام الفتوّة
التى ورثها من ابرهيم الروح قبل مقام الولاية وقت شبابه
وقد حضنتها عليه النفس المطمئنّة وحضنت القلب بعد
وفاة راحيل اللوّامة واراد يعقوب المربىّ انتزاعه منها
واحتالت هى حتّى توفّيت بالفناء فى الله فى مقام الولاية او
اشارة الى انّ العقل يريد الترقّى الى كسب المعارف والحقايق
واذا وجده موصوفاً بالفضائل فى مقام الفتوّة رضى به وتركه
عند النفس المطمئنّة سالكاً فى طريق الفضائل حتّى توفّيت
بالفناء فى الله فى مقام الولاية ويراد باسرار يوسف كلمة
علمه بقصورهم عن ادراك مقامه وتقصانهم عن كماله
فهذا معنى قوله انتم شرّ مكاناً والله اعلم قالوا اخوة يوسف
يا ايّها العزيز لقّب بذلك لعزّته فى الدولة لان العزيز المنيع
وقد لقّب به سيّده من قبل ان له لبنيامين اباً شيخاً ضعيفاً
كبيراً فى السنّ او القدر ريحبّه كثيراً تشقّ عليه فراقه ذكروا
لله حاله استعطافاً له عليه والكبير فى القران جاء احدها على سعة معان
هذا المعنى والثانى الكثير قال الله تعالى ولا تسأموا ان تكتبوه
صغيراً او كبيراً الى اجله يعنى قليلاً او كثيراً والثالث العظيم

قال تعالى الكبير المتعال والرابع الطويل قال تعالى ان انتم الا في
ضلال كبير اى شقاء طويل والخامس الشديد قال تعالى
نذقه عذابا كبيرا والسادس الاعلم قال تعالى انه لكبيركم اى
اعلمكم والسابع الاعقل قال تعالى قال كبيرهم وهو يهوذا وكان
روبيل اكبرهم سنا وانما استشفعوا بكونه شيخا كبيرا ولم
يقولوا رسولا او نبيا لان الشيوخ لهم حرمة والكبر في السن
داع الى المرحمة فقالوا ذلك استعطافا كما قال في قصة شعيب
وابونا شيخ كبير وفي قصة ذكريا وقد بلغت من الكبر عتيا فخذ
احدنا مكانه فخذ واحدا منا عبدا بدله فان اباه كثير البكاء على
اخيه الهالك مستأنس به انا نريك من رؤية القلب من
المحسنين الينا في الانزال والضيافة والكيل ورد البضاعة
وقد تحسن في معاملات الناس فاحسن الى ابينا برد هذا الولد
اليه واحسن الينا بصرفه معنا فتزول مواخذة ابينا عنا
وقيل اى من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك والجملة
استينافية لبيان الموجب وقال الامام القشيري قدس
سره ظنوا ان واحدا منهم يقوم مقامه فيما هو مقصوده ولا
بدل عن المحبوب قال قائلهم ابى القلب الا حب ليلى ويغضت
الى نساء ما لهن ذنوب ولذا قال يوسف معاذ الله نعوذ
بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا لم يقل من سرق
تحرزا عن الكذب عنده اى نعوذ بالله ان ناخذ غير الجاني
في حقنا ولم يكن التعوذ من ترك اخذ بنيامين بل من اخذ
غيره فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه
انا اذا لظالمون في مذهبكم او ان مراده ان الله تعالى اذن ان

اخذ من وجدنا الصواع في رحله لمصلحته ورضاه فلو اخذت
غيره كنت ظالما بالعمل على خلاف ما اذن الله تعالى فيه قال
وهب قال لهم يوسف تزعمون انكم اولاد الانبياء افتجدون
في حكم النبوة ان يؤخذ البريء ويترك المذنب اهكذا احكم
يعقوب فغضب يهوذا حتى قامت شعرة في ظهره كانت
تقوم اذا غضب فلا تسكن تلك الشعرة حتى يمسه بعض ولد
له يعقوب فقال والله لترسلنه او لاصيحن صيحة لا يبقى حبلى
في ملك الا وضعت ما في بطنها فلما هم ان يصيح قال يوسف
لابنه اذهب فخذ بيده فاتى به فاخذه بيده فجاء به الى ابيه
فسكن غضب يهوذا قال والله لقد اصابتني كف انها لمن ولد
يعقوب فكف من هي قالوا كف ابن الملك قال فوالله انه لينبغي
ان يكون من ولد يعقوب فلما استيئسوا منه يئسوا من
يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة او
من بنيامين ان يرد عليهم خلصوا اعتزلوا وخرجوا من بين
الناس نجيا جماعة متناجين اى يتناجون بينهم ليس معهم
غيرهم وهو مصدر في الاصل فصلح للواحد كما في قوله و
قربناه نجيا وللجمع كما في هذه الاية وقيل النجي جمع الناجي كا
لندى جمع النادي وخلصوا نجيا من فصيحات القران وصله
الصفاء عن الشوب اى لم يبق معهم غيرهم يقول لما قنطوا
من رده اليهم انفردوا خالصين لا يختلط غيرهم بهم يتنا
جون اى يتسارون في الامر الذي عرض لهم ماذا يصنعون
ايرجعون الى ابيهم ام يقيمون بمصر الى ان يعلموا خبر اخيهم
ويقاتلوا يوسف في استنقاذ اخيهم ومن الحصص

(Interlinear gloss: اى كانوا خالصين من ان يختلط فيهم غيرهم)

[illegible]

(Margin:)
ومن الحصص ان يوسف لما ظهر نفسه لبنيامين
وقال له انا اخوك وقرة عينك اشتغلا وبكيا
بكاء شديدا او خبر بنيامين منغضبا عليه ونسي
النعم كلها الا استلذاذه بلذة جماله والنكتة فيه
ان المؤمنين يدعون الى الضيافة الله تعالى فينظرون
الى جماله تعالى فيبقون والرهين ثمانمائة الف سنة
في نشوقهم حتى يطلب الحور العين والولدان
من الرحمن فيقولون الهنا وسيدنا ان لهن
اللذة بيننا وبين احبابنا فكثير الكتاب ينتظرونه
ثم اخذتهم عنا فيرسل الله الحجاب عليها ولبابه
فيقولون يا ربنا ومنا نتظر اليك لحظة او لحظتين
ثم افعل بنا ما تريد فيقول الله تعالى انتم في فنا جنتى
يقولون لحظة فيقول الله تعالى انتم الساعة ثمانمائة
ثمانمائة الف سنة فلا تشبعون فارجعوا وراءكم
فان الحور والولدان ينتظرونكم ولا يخفى على العاقل ان هذه
الرفعة والسعادة لا تحصل الا للعباد المخلصين
فمرتبة العبودية اعلى المراتب كما قال في النبي
صلى الله عليه وسلم لما وصل الى الدرجات العالية في المعراج
اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتي الى
نفسك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده الاية ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشغولا بامته كيف يكون حالهم قال سبحانه ليلة المعراج
يا حبيبي انظر امامك فنظر عليه السلام فرأى بحرا عظيما
لا حد له ولا نهاية له وفيه شجرة وعليها طير وفي منقاره
تراب فقال ارجعه عذب فقال الله تعالى هذا بحر
رحمتي لا نهاية له والشجرة هي الدنيا والطير هو امتك
والتراب الذي في منقاره ذنوبهم لو سقط ذلك
الطير في هذا البحر هل يرى اثر التراب فلا تغتم لذنوب
امتك فاني خلقت العالمين لاجل محبتك انت
حبيبي وعبدي وجعلت بحر رحمتي لامتك انظر يا محمد
لا مكان رفعتك ليس بيني وبينك حاجب ولا
ترجمان وكن منبسطا فاني وهبت لك
امتك واهب لك الشفاعة
يوم القيمة

ان اخوة يوسف كانوا يريدون العزة لانفسهم والذلة ليوسف فصار الامر بالعكس حيث قالوا امسّنا للين يا ايها العزيز ومنها ان بنتى شعيب قالتا وابونا شيخ كبير فحصل مرامهما واخوة يوسف لم يقولوا ان لنا ابا شيخا كبيرا فلم يحصل مرامهم ومنها انهم ذكروا كون يعقوب شيخا كبيرا لان له عزة وكذا الشيخ عزيز عند الله تعالى ومن شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيمة ومنها ان يوسف لم يسلّم بنيامين الى اعدائه فكذا الله تعالى لا يسلّم العبد الى الاعداء بل يأخذ عذره بسبب من عذره فيغفر له ومنها ان المواخذة فى القيمة للمجرم لا للمطيع ومنها ان اخذه بنيامين كان للشفقة عليه فكذا الله تعالى يوم القيمة يأخذ العاصى سترا ويغفر له ومنها ان يوسف كان وضع الصواع ولذا لم يقل من سرق فكذا الله تعالى قضى الذنب على العبد ولذا قال توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون ولم يقل ايها المذنبون ومنها ان المراد اذا لم يحصل فى الكثرة لا بدّ من الرجوع الى الخلوة واذا اريد التفسير الانفسى يراد بالذى افترح اذ يأخذ يوسف القلب مكان اخيه العملى وهو الوهم لمداخلته فى المعقولات ولمّا وجد القلب متاعه من ادراك المعانى المقبولة عند العقل العملى دون الوهم قال معاذ الله الخ ان اخذنا الوهم مكانه انا اذاً لظالمون اى لو وضعنا الشئ فى غير محله والمراد بيأسهم حرمان القوى من تدبير الوهم قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى العقل وهو يهوذا او فى الرياسة وهو شمعون وقيل لاوى الم تعلموا الجملة مقول القول ان اباكم يعقوب

وانما حصل لهم اشد الياس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده فى اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله تعالى ومن تسميته ظلما بقوله انا اذاً لظالمون كذا ذكره ابو السعود

قد

108

قد اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا من الله فى هذا الغلام لتأتننى به اى لتردّونه الى وانمّا جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن هذا ايضا الم تعلموا ما فرطتم قصّرتم فى يوسف فى شانه وما فرّطتم له ثلثة اوجه احدها ما مع الفعل مصدر واعرابه الرفع وهو خبر من قبل هذا تفريطكم وقيل نصب بوقوع الم تعلموا عليه اى الم تعلموا تفريطكم فى امر يوسف وقيل ما صلة زائدة وتقديره ومن قبل فرّطتم فى يوسف اى قصّرتم فى امره وضيّعتموه فلن ابرح الارض من جملة المقول اى فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى الرجوع اليه وقيل فى القتال او يحكم الله لى او يقضى الله لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بان يظهر عذرى عند ابى فارجع او يحكم الله بالسيف ان احاربهم واخذ الاخ منهم وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ولا خطاء فى حكمه ولا زلل ولا رشوة ولا حشمة ومن الحصص ان كلام الكبير والمجرّب للامور هو الكبير عند العقل فينبغى ان يعتمد عليه ويعمل به ومنها انه ينبغى ان يحترز العبد عن نقض العهد الواقع بينه وبين المخلوق فكيف نقض العهد الواقع بينه وبين الخالق اذ قال الست بربكم قالوا بلى ومنها انه احترز عن نقض عهد واحد فينبغى للعبد ان يحترز عن نقض عهود كثيرة اذ كم من تائب عن ذنوب ونقض توبته مرارا ومنها انه ينبغى للعاقل ان يتذكر ما وقع منه من التقصير ولا يغترّ بمدحة الناس لان مدحهم لا يفيد قربا من الله تعالى ومنها ان المرء يقول لن ابرح الارض ولا يدرى ان الاجل بغتة يتركها البتة فينبغى للعاقل ان يجتهد فى استعداد الموت ولهذا قيل امرا لا تعرفه

قيل فى القصة انهم غضبوا غضبا شديدا وكانوا اذا غضب لم يقم لغضبه شئ منهم روبيل وكان اذا غضب لم يقم لغضبه شئ ... واذا صاح صيحة القت كل امرأة حامل ولدها ... ثم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة فقال اكفونى ... انتم الاسواق وانا اكفيكم او عكس ذلك فدخلوا ... على يوسف فقال روبيل لتردّن معلينا اخانا ... والا صحت صيحة لم يبق بمصر امرأة حامل الا القت ولدها فقال يوسف لابن صغير له بعد رؤيته ... الى جنبه وهو لا يعلمه فمسّه فقام وذهب غضبه ثم ... روبيل ان ههنا البذر من بذر يعقوب فقال ... يوسف من يعقوب فغضب ثانيا فقام يوسف ... يركضه برجله واخذ بتلابيبه فاوقعه على الارض فقال انتم معشر العبرانيين تحسبون ان لا احد اشد قوة منكم ولما صار امرهم الى هذا خضعوا وذلوا فقالوا يا ايها العزيز الى قوله وهو خير الحاكمين كذا فى العيون
اى اعدل العادلين وافضل القاضين فى الحكم

متى يلقاك استعد له ان يفجاك واذا اريد التفسير الملا
نفسى يراد بالكبير القوة الفكرية التى هى احسن رأيا فى يوسف
القلب اذ منعت سائر القوى عن قتله ومعنى قوله فلن
ابرح الارض الخ انه لا اتحرك الا بحكم العقل دون الوهم
او بامر الله دون هوى النفس اعلم انهم لما تناجوا وتفكروا وقال
كبيرهم ان ابانا قد اخذ علينا ميثاقا غليظا ونحن متهمون فى
حق يوسف بل التفريط هدر منا فانا لا افارق ارض مصر الا
ان ياذن الخ قال هذا الكبير لاخوته ارجعوا الى ابيكم وانا مقيم
بمصر واوضحوا له عذركم فقولوا ايها الاخوة يا ابانا اضافوا
الى انفسهم تشريفا لانفسهم وتعظيما له ان ابنك بنيامين
سرق اى حكم عليه بسرقة صواع الملك قيل كيف حكموا عليه
بانه سرق بمجرد ظهور الصواع فى رحله مع قيام احتمال ان
يضعه غيره فيه لحكمة مع ان بنيامين قال لهم ان كان هذا
مصححا لنسبة السرقة يلزم ان تكونوا سارقين لوجود
البضاعة فى رحالكم كما مر واجيب بان حكمهم بناء على ما
شاهدوا ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا و
ما شهدنا عليه الا بما علمنا بما رأينا ان صواع الملك استخرج
من وعائه ولا نقطع عليه بالسرقة وما كنا للغيب بباطن الحال
من اموره فى ليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين فلا ندرى
انه سرق او سرق ودس الصواع فى رحله او ما كنا لعواقب الامور
عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق ان ابنك سيسرق او
وانك تصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لما
ذهبنا به ولما اعطيناك موثقا من الله تعالى فى رده اليك

وكنا

وكنا ضمنا لك حفظه مما يمكننا ان نحفظه عنه من الآفات
فى الطريق فاما السرقة فمما لم يكن لنا الى حفظه منها سبيل
وقيل ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما
علمنا من الحكم ان ذلك هو الواجب فى الحكم ولم نعلم فى الحقيقة
هل سرق ابنك ام لا الا انه وجد الصواع فى متاعه ثم انهم
لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف امرهم كبيرهم بان يبالغوا
فى ازالة التهمة عن انفسهم ويقولوا واسئل القرية اى
اهلها اضمر لدلالة الحال عليه التى كنا فيها يعنون مصر او قرية
بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم
عن القصة بالتمام والعير التى اقبلنا فيها واسئل اصحاب العير
اى القافلة التى توجهنا فيهم وكنا معهم والمراد باصحاب العير قوم
من الكنعانيين صحبتهم متوجهين الى كنعان وانا لصادقون
فيما نخبرك به انه سرق والمراد به تاكيد ما يدل عليه قولهم
واسئل القرية والعير ومن الخصص ان كبيرهم لما كان نقض
عهد ابيه استحيى ان يذهب اليه والعبد العاصى بنقض العهود
الكثيرة ويذهب الى الله تعالى البتة فكيف لا يستحيى منه فينبغى
ان يجتنب عن المعاصى حتى لا يستحيى يوم القيمة ومنها انهم
لم يقولوا ان اخانا سرق بل قالوا ان ابنك سرق كانهم استنكفوا
من اخوة السارق والعبد العاصى كيف لا يستنكف عن اخوة ا
الشيطان ومنها انهم قالوا واسئل القرية الى قولهم وانا
لصادقون والعبد العاصى لا يقدر على ان يقول يوم القيمة بين
يدى ربه واسئل الارض التى كنا فيها ورفقاءنا اى الكرام
الكاتبين لان الارض تحدث ما فعله عليها وان الكرام

الكاتبين يعلمون ما تفعلون واذا اريد التفسير الانفسى
يراد بامرهم بالرجوع الى ابيهم سياستهم اياه بامتثال الاوامر
العقلية وما شهدنا الا بما علمنا اى انا لم نعلم الا كون
ذلك المتاع عند العاقلة العملية الا نقصا وسرقة لعدم
شعورنا به وبكونه كمالا وما كنا حافظين للمعنى العقلى
الغيبى لانا لا ندرك الا ما فى عالم الشهادة وكذا اهل قريتنا
التى هى مدينة البدن من القوى النباتية والعير التى اقبلنا
فيها من القوى الحيوانية واسئلهم ليخبروك بسرقة ابنك
اعلم ان ابناء يعقوب لما رجعوا من مصر الى ابيهم بذلك
القول اى قالوا له ما قال لهم اخوهم الكبير كذبهم واتهمهم
وساء ظنه بهم وقال كلما خرجتم من عندى نقصتم واحدا
فذهبتم مرة فنقصتم بيوسف وذهبتم مرة فنقصتم شمعون
وذهبتم الآن فنقصتم بنيامين فقد صرتم كالذئاب يأكل
بعضكم بعضا توشكون ان لا يبقى منكم احد وظن يعقوب ان ابنه
الكبير انما تخلف عنه مكرا وحيلة ليصدقهم ولذا قال
يعقوب بل سولت لكم زينت وسهلت لكم انفسكم قاله
كما قال فى شان يوسف ذلك امرا اردتموه فقدرتموه
والا فما درى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته ظن يعقوب
انهم افتوه بان جزاء السرقة ان يأخذ السارق بعد
ظهور الصواع فى رحله قيل انما قال لهم ذلك لان من عرف
بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقهم
فقال لهم ثانيا كما قال لهم اولا ثم قال فصبر جميل فامرى
صبر جميل او صبر جميل حالى اى لا ارجع الا الى الصبر الجميل

وانما حذف قصة رجوعهم للايذان
بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم
الى ابيهم امر مسلم غنى عن البيان
وانما المحتاج اليه جواب ابيهم

قوله تعالى بل سولت اضراب لا عن صريح كلامهم
فانهم صادقون فى ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء
البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر
منهم ما يؤدى الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك
كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم فتياكم باخذ السارق
ذكره ابو السعود
من الامور بربد بذلك
بسرقته او
وهو حلا فكم الى مصر لطلب نفع عاجل

الذى اكظم عليه ولا ابثه الى مخلوق عسى الله لعل الله ان يأتينى
بهم بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر جميعا
لان اثر الصبر الوصول بالمطلوب وفيه اشارة الى ان الصبر
مفتاح الفرج خصوصا الصبر على مشاق الاعمال فان اجره
لا يعد ولا يحصى قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
انه ان الله تعالى هو العليم بحالى وتوحدى وتصبرى وبصدقكم
وخلفكم الحكيم فيما يدبره امور عباده فليس يدبر امرى الا
بما هو صلاح لى ونفع فى دنياى ودينى فانا مسلم لتدبيره قيل
المؤمن المحقق كلما ازداد بلاء ازداد رجاء وقال الامام القشيرى
قدس سره لما وعد من نفسه الصبر الجميل لم يمض عليه يومه
حتى قال يا اسفى على يوسف ليعلم ان عزم الاحباب على الصبر
منقوض غير محفوظ قيل انما قال ذلك ايمانا بان جميع ما يفعله
الله تعالى بمقتضى العلم والحكمة يجب الصبر الجميل عليه ولهذا
قال لهم اولا والله المستعان على ما تصفون اى من الكذب
لانه استشعر بكذبهم اولا وقال هنا انه هو العليم الحكيم
استشعارا بان قولهم ربما كان صحيحا وان الله تعالى اعلم
بذلك وهو يحكم ما يشاء ثم ان يعقوب لما بلغه خبر
بنيامين تحمل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض
عنهم حيث قال الله تعالى وتولى اعرض يعقوب عنهم عن ابنائه
كراهة لما صادف منهم ولما اعرض عن بنيه اقبل على بث
نفسه حيث اخبر عز وجل وقال يعقوب يا اسفى اصله بكسر
الفاء فتحت للتخفيف وقلبت الياء الفا ليحصل الخفة وامتداد
الصوت الذى هو المقصود فى النداء اذ المعنى يا اسفى تعال

فهذا اوانك ونداء الاسف مجاز والمراد انشاء التأسف
والاسف اشد الحزن والحسرة على الفائت وهو اشد الغضب
ايضا ويجوز ان يجتمع له المعنيان الحزن على فقد يوسف و
الغضب على اخوة يوسف او على نفسه يبعث بنيامين معهم
يقول يا حزن هذا وقتك فاحضر والالف فى آخره للندبة كذا
قال بعض المفسرين على يوسف انما تأسف عليه دون اخويه
والحادث مصيبتهما والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر
اثرا لان رزاه كان قاعدة المصائب وان الرزاء فيه مع تقادم
العهد كان طريا عنده ولانه كان واثقا بحياتهما دون حيوة
يوسف قال بعض المفسرين لم يقل يعقوب عم انا لله وانا اليه
راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور فى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون لان الا
سترجاع من خصايص امة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فى
الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا يرى اذ يعقوب
عم حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى ومن الحصر
انه لا ينبغى الافتاء فى كل امر واعلام العوام بكل مسئلة فان حبس
بنيامين لزم من الفتوى ومنها ان من اتهم بكذب لا
يصدق فى قوله فلا بد الاجتناب عن الكذب ومنها ان
الصبر محمود ولذا ذكر الله تعالى خمسة انبياء بالصبر احدهم
موسى فانه قال ستجدنى ان شاء الله صابرا والثانى اسمعيل
فانه قال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين والثالث ايوب
فان الله تعالى قال فى شانه انا وجدناه صابرا والرابع يعقوب

فانه

فانه قال فصبر جميل والخامس سيد الكونين ومفخر الثقلين و
رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى
امره بالصبر حيث قال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وهو صبر
حتى قال فى مقابلة الاذى الكثير اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون
ومنها ان يعقوب عم كان فى حال توجهه الى الاولاد ويفقد
فى كل سفر واحدا منهم تولى عنهم وجد المفقودين كلهم فالعبد
اذا توجه الى الخلق لا ينتفع من احد ولا يصل الى مقصود واما
اذا انقطع عن الخلق وتوجه الى الحق يصل الى مقصوده ومنها
ان يعقوب لما وعد نفسه الصبر الجميل لم يمض عليه يومه حتى
قال يا اسفى على يوسف فيعلم منه ان عزم الاحباب على الصبر منقوض
غير محفوظ لان مرارته انما تظهر بعد الفراق فلا يفيد الوعد
السابق ومنها ان يعقوب قال عسى الله ان يأتينى بهم وقد اتى بهم
لكمال رجائه من الله تعالى فينبغى للعبد ان يحسن ظنه بالله تعالى حتى
ينال مناله وقال عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم فالمرجو منه ان يرحمنا
بكرمه ومنها ان الوصول الى المقصود انما يحصل بالتضرع والابتهال
فان يعقوب وصل به الى المطلوب وزليخا لم تصل اليه لعدم تضرعها
الى جناب الكريم وكونها ساعية الى الحيلة ثم وصلت بالذلة و
المسكنة والتضرع ومنها ان يعقوب عم لما ظن الخير فى حق نفسه
وجده كما ورد فى الحديث القدسى قال تعالى انا عند ظن عبدى بى
خرجه البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله قال شراح الحديث
الظن هنا بمعنى اليقين يعنى اذا اعتقد عبدى انى مجيب الدعوات
اجبت له وان اعتقد انى غفور غفرت له يؤيده ما جاء فى الحديث
ان رجلين كانا متساويين اذا دخل الجنة رفع احدهما فى الدرجات

العلى فيقول صاحبه يا رب رفعته عليه ولم يكن هو فى الدنيا
اكثر عبادة منى فيقول الله تعالى هو كان يسئلنى الدرجات العلى وانت
كنت تسئلنى النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون
كريما وقال القاضى فى لفظ الظن اشارة الى ان رجاء المغفرة ينبغى ان
يكون عند الاستغفار لانه اذا كان معنى المعصى يكون موهوما لا مظنونا
وقيل المراد به الحث على حسن الظن بالله تعالى وتغليب الرجاء على العفو
كقوله عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وتمام الحديث
قوله وانا مع عبدى اذا ذكرنى اراد به المعية بالرحمة والتوفيق وقيل اراد به المعية
بالعلم يعنى انا عالم به لا يخفى على شئ من قوله كذا فى مبارق الازهار شرح
مشارق الانوار فعلى العبد ان يحسن ظنه بالله تعالى لا سيما وقت احتضاره
روى ان صحابيا مرض واتى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان فلانا يجود بنفسه فدخل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخذ رأسه ووضعه فى حجره فقال ما تشتهى قال اشتهى
مغفرة ربى يا رسول الله فنزل جبرئيل فقال يا رسول الله ان ربك يقرأ
عليك السلام ويقول لو لقينى عبدى بقراب الارض خطيئة للقيته بقرابها
مغفرة فاعلمه النبى عليه السلام بذلك فصاح صيحة فخر ميتا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وصلى عليه ثم احتمل الى قبره فاقبل
رسول الله يمشى على اطراف انامله فقالوا يا رسول الله رأيناك تمشى على
اطراف انامك قال لم استطع ان اضع رجلى على الارض من كثرة اجنحة الملئكة
ومنها ان البلاء اذا اشتد وكمل قرب زواله ويظهر المراء مما لا يليق واذا
اريد التقرير الانفسى يراد بقوله بل سولت لكم انفسكم امرا معنى زينت طبايعكم
الجسمانية لكم امر التلذذ باللذات البدنية والشهوات الحسية فحسبتموها

كما لا فصبر جميل على الاستمتاع على وجه الشرع اجمل بكم من الاباحة و
الاسترسال بحكم الطبيعة اوفا مرى صبر جميل فى بقاء يوسف القلب واخوته
على استشراف الانوار القدسية واستنزال الاحكام الشرعية واستخراج قواعدها
التى لا مدخل لى فيها عسى الله ان يأتينى بهم جميعا من جهة الافق الاعلى والترقى
عن الطورى الى ما يقتضيه نظرى ورأيى انه هو العليم بالحقايق الحكيم
بتدبير العوالم وتولى عنهم اى اعرض عن جانبهم وتوجه الى يوسف القلب
وانجذب به الى جهته والله اعلم وابيضت عيناه عينا يعقوب عم من الحزن
من الهم الغليظ عن النفس كناية عن غلبة البكاء فكان العبرة محت سوادهما
او كانهما ابيضتا عن بياض ذلك قيل ما جفت عيناه من وقت فراق يوسف
الى وقت لقائه وما على الارض يومئذ اكرم على الله منه وقيل ضعف لان
كلمة من فى قوله من الحزن للتعليل والحزن لا يكون علة لضعف البصر فضلا
عن العمى وانما يكون علة لكثرة البكاء وقيل عمى ولم يبصر ست سنين البصر
والظاهر انه لم يذهب بصره بل صار على عينه كالبياض من كثرة بكائه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبرئيل ما بلغ من وجد يعقوب
على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد
وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع من غير رفع الصوت
وشق الجيوب قيل كيف جاز على يعقوب ان يتأسف بهذه الرتبة واجيب
بان ذلك لا يدخل تحت التكليف لان الانسان لا يملك نفسه عند
الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابرهيم لمحزونون وقد مر الكلام ايضا فى هذا عند قوله والله المستعان
على ما تصفون وقال الاستاذ ابو على الدقاق لم يقل عمى لانه لم يذهب
بصره ذهاب فوات لكن كان حجابا عن رؤية غير يوسف وكان اخوته

اى محق البكاء الذى سبب كان البكاء
يمحق سواد العين ويقلبه الى البياض من
غير عمى وقيل كان يبصر بصرا ضعيفا

غيبوه ليخلو لهم وجه ابيهم فيخلص لهم نظره فلم يرضوا بنظره اليهم ففاتهم اصلا وكذلك من طلب الكل فاته الكل وقال الامام القشيري قدس سره كان ذهاب بصر يعقوب في غيبة يوسف لطفا من الله بيعقوب حتى لا يحتاج الى رؤية غيره اذ لا شيء على الاحباب اشد من رؤية الاغيار قال قائلهم في هذا المعنى اللطيف لما تيقنت اني لست مبصركم غمضت عيني فلم انظر الى احد **فهو كظيم** مملوء كربا وقيل اي مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له قلبه لا يظهره او على نفسه بما فعل من ارسال بنيامين معهم هذا فعيل بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ والاول فعيل بمعنى المفعول قال ابن عباس رضي كظيم مهموم وقال مقاتل مكروب يتردد الحزن في جوفه وقال مجاهد ساكت وقال قتادة كظيم على الحزن لم يتكلم بسوء **قالوا** قال الامام الرازي الاظهر ان الذين قالوا له تالله تفتأ تذكر يوسف ليسوا هم الاخوة الذي تولى عنهم بل هم الجماعة الذين كانوا في الدار من اولاد اولاده وخدمه وارادوا بهذا القول منعه عن البكاء كانهم قالوا انت الآن في بلاء شديد ونخاف ان يحصل ما هو ازيد منه واقوى وحلفوا على ذلك بناء على الظاهر فان تحمل المشاق على الاستمرار يؤدي الى فساد البنية واختلاف القوى غالبا **تالله تفتأ** اصله لا تفتأ حذفت لا كما في قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كنون التاكيد واللام كان على النفي فلو كان اثباتا لزمه النون واللام او احدهما ولا تفتأ من الافعال الناقصة بمعنى لا تزال فرفع الاسم وهو المستكن فيها والخبر هو جملة **تذكر يوسف** اي لا تزال تذكره تتفجع عليه **حتى تكون حرضا** مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وقيل

فساد

فساد الجسم وذوبانه من العشق وهو في الاصل مصدر ولذا لا يؤنث ولا يجمع **او تكون من الهالكين** اي الميتين وفيه وجوه اخر قال الامام الرازي وتلخيص المعنى لا تزال تذكر يوسف حتى تقارب الموت او تموت قال الامام القشيري قدس سره هددوه بان يصير حرضا وقد كان حرضا وخوفوه بما كان يبالي ان يصيبه في حكم الهوى حيث قالوا او تكون من الهالكين وقيل الذ الاشياء في حكم الهوى الهالك في حب من يهوى ثم حكى الله تعالى عن يعقوب جوابه **قال** يعقوب **انما اشكو بثي** همي الذي لا اقدر الصبر عليه قال ابن عباس رضي اي همي يتبث وان كتم اي ينتشر بآثاره وقيل البث ما يشكوه المرء من حاله الى صاحبه ليرق له **وحزني** وهو ما يغلظ على النفس احتماله وقيل هو ما يضمر ولا يظهر الى الغير وقيل هو اعم و قيل البث ابتداؤه والحزن انتهاؤه وخلاصة المعنى لا اذكر الحزن العظيم والحقير الا **الى الله** لا الى احد منكم ومن غيركم من الخلق فخلوني وشكايتي **واعلم من الله** من صنيعه ورحمته وانه لا يخيب دعاء ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الهام **ما لا تعلمون** من حياة يوسف يشير الى حسن ظنه وقوة رجائه بربه جل جلاله ان يعيد اليه يوسف **روي** ان يعقوب عم قام ليلة فجعل يبكي ويتضرع اليه سبحانه ويقول اللهم اقض حاجتي فجاءه جبرئيل وقال له قل ما تشاء فان الله يقول لك اطلب ما شئت قال قد فني عمري وقرب اجلي فاسأل ربي ان يجمع بيني وبين يوسف فغاب جبرئيل ثم جاء فقال قال الله تعالى قد قضيت حاجتك فلما سمع يعقوب ذلك قوي جسمه ولذا قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل انما رجا ذلك لما قص عليه يوسف من رؤياه وعلم

تأويله وقيل اخبرهم بذلك ملك الموت قال وهب ولما اراد الله
ان يرفه عنه ويرحمه ويبلغه الى بنيه ارسل اليه ملك الموت قال
انى كنت اتمنى ان القاك منذ حين قال له ولم ذلك قال لاسألك
عن شان يوسف قال وعن اى شانه تسألنى قال انشدك و
اسئلك بالذى ملكك الانفس وسلطك على الارواح واعطاك القوة
فى الاجساد هل قبضت روح يوسف قال لا والذى نشدتنى به
ما قبضت روحه فاطلب ابنك فانه حى سالم فانتبه ولذا رجاه
وروى عن انس رض عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب
اخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى اذهب بصرك وما
الذى قوس ظهرك قال اما الذى اذهب بصرى فالبكاء على يوسف
واما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فاتاه جبرئيل فقال يا يعقوب
ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك اما تستحيى ان تشكونى الى
غيرى قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله تعالى فقال جبرئيل الله اعلم بما
تشكو يا يعقوب يا رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصرى وقوست
ظهرى فاردد على ريحانتى اشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بى يا رب
ما شئت فاتاه جبرئيل فقال يا يعقوب ان الله عز وجل يقرأ عليك
السلام ويقول لك ابشر وليفرح قلبك فوعزتى لو كانا ميتين
لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان احب عبادى الى الانبياء
ثم المساكين أتدرى لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع اخوة
يوسف بيوسف ما صنعوا لانكم ذبحتم شاة فاتاكم مسكين وهو
صائم فلم تطعموه منها فكان يعقوب بعد ذلك اذا اراد الغداء امر
مناديا ينادى الا من اراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب
واذا كان صائما امر مناديا ينادى من كان صائما من المساكين

فليفطر

فليفطر مع يعقوب وقيل كان فصل عجولا عن امه اياما وقيل
ذبح ولد غنم بحضرة امه وقيل باع ولد جارية كانت له وتركها فبكت
حتى عميت كذا ذكره الامام النسفى ومحيى السنة وغيرهما وقال الامام
الرازى والصحيح انه غير مبنى على سبب والله يمتحن عباده وخواصه
بما شاء ليرفع لهم بذلك درجاتهم ويظهر صدقهم واخلاصهم و
من الخصص ان ليعقوب كان هموم ولم يذكر منها الا هم يوسف فالعاصى
هم النزع وهم القبر وهم احوال القيمة ولا يذكرها يوم القيمة بل
يقول يا ويلتى قد كنا فى غفلة من هذا ومنها ان يعقوب بكى وحزن
لفراق يوسف وكان له اولاد اخر لكمال محبته له بخصايص له لم
توجد فى اخوته فكان مبكيا عليه حتى وصل ولذا قيل من طلب وجد
وجد فكذا العبد اذا توجه الى الله تعالى وبكى لفراقه وصل اليه تيسير
الله تعالى ومنها ان يعقوب احب من يموت ويفترق منه فابتلى بما
بالبكاء والحزن عن ابى يزيد البسطامى قدس سره انه رأى رجلا
يحب عبدا له فمات العبد وبكى عليه المولى وحزن على فراقه فقال
ابو يزيد احببت الحى الذى يموت وهلا احببت الحى الذى لا يموت
قيل لاحد عند ابرهيم بن ادهم استكثر من الاحباب لعلك تنجو
بسبب حبيب واحد فقال لا بل اتخذ الحبيب الواحد الذى ينجيك
من الاحباب كلهم ومنها ان الذى اصابه مصيبة ينبغى ان يقول
انا لله وانا اليه راجعون ليحصل له الاجر العظيم ومنها ان آدم
وداود عليهما السلام بكيا اكثر من يعقوب ع م ولم تبيض عينا
هما وابيضت عيناه لان بكاءه كان لمخلوق بخلاف بكائهما
ومنها ان الاجر والثواب بقدر التعب كما ورد فى الخبر اجركم
بقدر تعبكم ومنها ان البشر لا يخلو عن زلة ونقصان فالله تعالى

يسلط البلاء عليه ليكون كفارة له فهذا من جملة كرمه ومنها
ان بنيه هددوه بان يصير حرضا وقد كان حرضا والعاشق لا يبالي
به ومنها انهم خوفوه بان يكون من الهالكين ولم يعلموا ان الذ
الاشياء في حكم الهوى الهالك في حب من يهوى كما قيل فيه
شعر ايا طالب اهراق دمي بالبنين سفكا ومسله على الخدين
ما الحاجة ان تهرقه من بدني جهدا فانا اهرقه من عيني ومنها انهم
ذكروا لفظ المستقبل حيث قالوا تفتأ تذكر يوسف ليعم الحال و
الاستقبال اذ ينبغي للمحب ان يدوم على ذكر محبوبه وحبه وطلبه
ومنها ان المحبة معرض المحنة فمن كان محبا لله تعالى فلا ينفك
عن الآلام بل ينبغي له ان يستسلم له ويبذل نفسه روى انه كان في
زمن يحيى عم ملك له زوجة ولها بنت من غيره فارادت المرأة ان
تزوج بنتها لزوجها غيرة خوفا من ان تزوج غيرها فاتخذت وليمة
ودعت يحيى عم فاستأذنت منه في هذا الامر فقال يحيى عم هذا
حرام في ديني وخرج من عندها فغضبت عليه واحتالت في قتله
فسقت زوجها من الاشربة المسكرة فلما سكر زينت بنتها و
عرضت عليه وقالت ان يحيى عم يأبى ان ازوجك هذه فاحضره
واقتله فدعى يحيى عم وقال له ما تقول في هذا الامر قال انه حرام فامر
بذبحه فذبحوه كما يذبح الشاة فبكت اهل السموات وقالوا يا ربنا باي
ذنب قتلوا يحيى عم قال الله تعالى ما ذنب يحيى ولا هم بذنب ولكن
احبني فاحببته فلا بد في الحب من القتل كما حكي عن منصور الحلاج
قدس سره انه حبس ثمانية عشر يوما فجاءه الشبلي قدس سره فقال
يا منصور ما المحبة فقال لا تسئلني اليوم واسئلني غدا فلما جاء
من الغد اخرجوه من الحبس ونصبوا الجذع لقتله فمر الشبلي بين يديه

فنادى منصور يا شبلي المحبة اولها حرق واخرها قتل ويحكى عن
ابي يزيد البسطامي انه كان يمشي في البادية فرأى اربعين شابا من
اصحاب الطريقة قد ماتوا عطاشا جياعا فناجى ابو يزيد فقال ما
الحكمة في قتل الاحباب فسمع هاتفا يقول يا ابا يزيد اقتلهم واعطي
ديتهم قال ما دية هؤلاء فهتف هاتف دية مقتول الخلق الدينار
ودية مقتول الحق الديدار يعني رؤية جمال الجميل الجليل الجبار واذا
اريد التفسير الانفسي يراد بقوله يا اسفى على يوسف اقباله على
يوسف القلب وانجذابه الى جهته وان معنى ابيضت عيناه من
الحزن ان عينيه ابيضتا اولا بوقوعه في غيابة الجب وكلال
قوة البصيرة لفرط التأسف على فراقه ثم بترقيه عن طوره وفنائه
في التوحيد وتخلفه عنه وعدم ادراكه لمقامه وكماله فبقي بصره
حسيرا غير بصير بجمال يوسف وهو كظيم مملو من غيظ فراقه و
قولهم تفتأ تذكر يوسف اشارة الى شدة حنينه وانجذابه الى
جهة القلب في تلك الحالة وزعمهم لشدة المناسبة بينهما في التجرد
والميل الى العالم العلوي وقوله اعلم من الله ما لا تعلمون اشارة
الى علم العقل برجوع القلب الى عالم الخلق ووقوفه مع العادة بعد
الذهاب في الجهة الحقانية وانخلاعه عن حكم العادة عن قريب
اعلم ان يعقوب لما طمع في وجدان يوسف بما ذكر من العلم من ملك
الموت او جبرائيل قال لبنيه على سبيل اللطف يا بني اذهبوا الى
مصر فتحسسوا اطلبوا خبره وتفحصوا من الحس وهو العلم با
لحاسة والتجسس بالجيم قريب منه وقيل هما واحد وقيل
بالحاء في الخير وبالجيم في الشر وقيل التحسس بالحاء الطلب لنفسه
وبالجيم لغيره ومنه الجاسوس من يوسف اي تفحصوا بحواسكم

من يوسف اذ التحسس طلب الشئ بالحاسة قال الامام
القشيرى قدس سره امرهم بطلب يوسف بجميع حواسهم يطلبونه
بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره وبالشم
لعلهم يجدون ريحه لتوهم انهم مثله فى الارادة قال تعالى خبرا
عنه انى لاجد ريح يوسف واخيه وتحصصوا من اخيه بنيامين و
الخطاب على وجه اللطف لايتانى التولى عنهم لانه كان ملتجئا الى
الله تعالى والحال قد تنقلب وقال الامام ابو منصور قال اهل التا
ويل استخبروا عنه واطلبوا والاقرب ان يكون معناه اذهبوا من
هذا الجانب الذى كنتم فانظروا اليه والى اخيه فانه ان حمل على
الاستخبار فى حق يوسف لا يستقيم فى قوله واخيه وهم يعلمون
اين هو فمعناه ايقاع حاسة البصر على الذى راوه وهو لوقوع
الرجاء لدان يوسف بمصر لكن لم يخبر بنيه بذلك انه هناك لما
علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب سأله فقال ذلك
تعريضا لا تصريحا قال الامام القشيرى قال يعقوب فى حق يوسف
انى ليحزننى ان تذهبوا به وقال فى حق سائر اولاده اذهبوا
ليعلم بون ما بينهم فى المحل عنده ثم ان يعقوب وصى بنيه بعدم
الاياس من رحمته تعالى فقال ولا تيأسوا من روح الله بفتح
الراء وهو الاستراحة اى لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ
بضم الراء اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح
الله من تفريج الله من المكروه بين الا القوم الكافرون الذين لا
يعرفون الله وصفاته وقدرته على ما يشاء فان العارف لا يقنط
من رحمته فى شئ من الاشياء قال وهب لما قال يعقوب لبنيه
ذلك قالوا كيف تكلفنا ان نتحسس من اهل القبور اما يوسف

فقد

116

فقد اخبرناك خبره اول يوم انه اكله الذئب ولا نحسبه اليوم الا
رميما تحت التراب واما ابناك اللذان ذهبا معنا فقد اخبرناك ان
احدهما سرق فارتهن بسرقة واما الآخر فمقيم لطلب فكاكه قد
اقسم بالله جهد يمينه والى على نفسه ان لا يبرح الارض حتى تأذن
له او يعى لك بموثقك او يحكم الله بما شاء وهو خير الحاكمين ونحن
راجعون فنتحسس عن اخواتنا ومتعرضون للملك وانا قد عهدنا
بك رحيما ولعل الله قد احدث له رايا وزاده لك رحمة قال يعقوب
فبلغوه عنى السلام وقولوا له ان ابانا يعقوب يقول لك بينا انت
مهتم بمصيبة محزون عليه معنى بامره تبكى عليه وتدعوله اذ فجعته
بابنه ما هذا منك بمشبه لاول فعلك فارحم ترحم وقيل انهم قالوا له
اكتب اليه بشئ فامر فكتب بسم الله هذا كتاب من يعقوب اسرائيل الله بن
اسحق ابن ابرهيم خليل الله الى ملك مصر عبد الله اما بعد فانا اهل بيت
موكل بنا اسباب البلاء اما جدى ابرهيم فالقى فى النار فصبر لامر الله
واما عمى اسمعيل فابتلى بالغربة فى صغره فصبر لامر الله واما ابى اسحق
فابتلى فصبر لامر الله واما انا فاضعفهم ركنا واقلهم حيلة واعظمهم
مصيبة بكيت على فراق ولدى يوسف حتى ضعف بصرى والذى
اخذته سارقا فليس بسارق ما ولدت سارقا فامنن على برده وخل
سبيله واخذ رد دعوة المظلوم والسلام ولما اخذوا هذا الكتاب
توجهوا الى مصر ولما انتهوا اليها دخلوا على يوسف كما حكى الله تعالى
فلما دخلوا عليه على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية وهى
مجيئهم مرة ثالثة قالوا يا ايها العزيز والمتصرف فى الملك مسنا واهلنا
الضر اصابنا ونساءنا واولادنا الفقر والقحط وجئنا وقد جئنا
ببضاعة مزجاة ردية قليلة لا يؤخذ قاله ابن عباس وسعد بن

قالوا

جبير رص وقيل كانت دراهم زيوفاً وقيل كانت صوفا وسمنا وقيل
الصنوبر وحبّة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل وقيل كانت خلق
الغرائز والحبال وقيل كانت الأدم والنعال وقيل كانت من متاع
الاعراب من الصوف والاقط **فاوف لنا الكيل** فاتمّ لنا الكيل ولا تنظر
الى نقصان بضاعتنا كما وعدتنا الا ترون انّى اوفى الكيل **وتصدّق**
علينا اسقط ما بين الجياد والرديّة من التفاوت وهب كان دراهمنا
جيادًا تفضّلاً منك وقيل تصدّق علينا بردّ اخينا الينا او با
لمسامحة او بالزيادة على ما يساويها قيل كيف طلب اخوة يوسف
الصّدقة وهي محرمة على الانبياء واجيب بانّه اختلفت في انّ حرمة
الصدقة تعمّ الانبياء او تخصّ نبيّنا فمن خصّص الحرمة بنبيّنا لا
يرد السؤال عليه ومن لم يخصّها به فهو يفسّر الصدقة بردّ الاخ
او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها او بلا
بالتّفضّل مطلقا ويمكن ان يجاب بانّ حرمة الصدقة على الانبياء
بعد صيرورتهم انبياء واخوته لم يصيروا انبياء وقت طلب الصدقة
انّ الله يجزى المتصدّقين احسن الجزاء لم يقولوا انّ الله يجزيك لانّهم
لم يعلموا بحال الملك ودينه فتحرّزوا واطلقوا وقالوا انّ الله يجزى
المتصدّقين وهم المؤمنون قال ابن عباس لو علموا انّه مسلم لقالوا
انّ الله يجزيك بالصدقة يعني انه كان يلبس عليهم ولا يعرفوا حاله
ومذهبه قال الامام القشيري قدّس سره لمّا طالعوا فقرهم نقطوا
بقدرهم فقالوا وجئنا ببضاعة مزجاة ولمّا شاهدوا قدر
يوسف سألوا على قدره فقالوا فاوف لنا الكيل كانّهم قالوا
جئنا ببضاعة لا تنفعك الا بمنع الحضرة فاوف لنا كيلا لا يليق
بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا ثمّ تركوا هذا اللسان وقالوا

وتصدّق علينا نزلوا اوضع منزل كانّهم قالوا ان لم تستوجب
معاملة البيع والشراء فقد استوجبنا بذل العطاء وعلى الله
المكافات والجزاء وقال الامام ابو منصور رح قوله يا ايها العزيز
سمّوه عزيزًا لانّه كان امين الملك وهو اسم لامين ملك
مصر او لانّهم كانوا محتاجين اليه وكان هو غنيًا عمّا في ايديهم
قال وهب وخافوا ان يذكروا في اوّل ملاقاتهم حديث اخيهم
مخافة ان يعيد لهم التقريع والتوبيخ وقالوا ان كان في نفسه لا
لابينا رقّة فقد اخبرناه انا مضرورون محزونون مجهودون وعرضنا له
ان كان يريد ان يخلّى سبيل الغلام وكان يوسف سأل اخاه
بنيامين عن عدد ولده فقال هم ثلثة اسم الاكبر يوسف فقال له
ولم سمّيته يوسف قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي كلّما
دعي تحرك لذلك قلبي قال وسمّيت الاخر ذئبا قال ولم سمّيته ذئبا
قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي فقد زعم اخوتي انّ الذئب
اكلك قال وسمّيت الاخر دمًا قال ولم سمّيته دمًا قال اردت ان
لا يذهب ذكرك من قلبي كلّما دعي ذكرتك فبكى يوسف عند
ذلك حتى كاد ينصدع قلبه من البكاء ثمّ رفع يديه ودعا ربّه ان
يجمع اليه اباه وخالته واخوته فاستجاب الله له وقال لاخوته بعد
ما قالوا يا ايّها العزيز الخ كيف تركتم يعقوب قالوا تركناه باكيا
محزونا كظيما فقال يوسف على اىّ ابنيه حزنه وبكاؤه اشدّ
أعلى هذا السارق المرتهن بسرقة ام على الاوّل الذي اخبرنا
الصاع خبره فقالوا امّا الاوّل فقد يئس منه ونسيه وذهب
عنه حزنه ولكنّما بكاؤه على هذا المحبوس عندك وقد ارسلنا
فيه اليك رسالة لولا مخافتك ومخافة ان لا تصدّقنا لبلّغناك

قوله قال فاخبروني فانكم آمنون ان صدقتموني فلما بلغوا
رسالة ابيه لم يملك نفسه حزنا وبكى باعلى صوته وفي بعض
القصص ان يوسف اخرج اليهم كتابا وقال هذا كتاب بالعبرانية
فهل احد منكم يحسن قراءتها قالوا نعم فاخرج كتاب بيعه من
مالك بن ذعر فنظروا فيه فبهتوا وقالوا في انفسهم كتاب كتبنا عند
بيعه لمشتريه وهو من اهل مصر ولعله تداولته الايدي فوقع عند
الملك فقالوا هذا كتاب كتبناه في بيع عبد لنا بعناه فقال اقرؤا فقرؤا
بسم اله ابرهيم هذا ما اشترى مالك بن ذعر الخزاعي من آل يعقوب
غلاما يقال له يوسف بعشرين درهما ونقد لهم الثمن وضمنوا
الدرك واشهد والله بذلك على انفسهم وكفى بالله شهيدا
فقال لهم يوسف كنتم تقولون ان يوسف اخونا وقد اكله الذئب
وقد كنتم في هذا انه غلام بعناه فقد ظهر لي انكم سرقتم اخاكم و
عققتم اباكم واستوجبتم عقوبة شديدة وانا معاقبكم على
ذلك ومنتقم منكم لابيكم ودعى بالسياف فصاحوا باجمعهم
يتضرعون ويبكون ويقولون له ان قتلتنا لا محالة فلطخ ثيابنا
بدمائنا وابعثها الى ابينا فلا حظ له من اولاده الا الثوب الملطخ
بالدم ورق لذلك يوسف واضطرب الناس وجاء جبرئيل و
قال يا يوسف قد بلغ التخويف النهاية في حق هؤلاء فحسبك
وقد انقضت مدة المحنة فاظهر لهم نفسك ومن الخصص
ان ابناء يعقوب وان كانوا عصاة لم ينف عنهم اسم البنوة
حيث قال يا بني وكذا الله تعالى لا ينفي اسم العبودية عن العصاة
كما قال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ومنها انهم لما احتالوا
ليوسف بان يلطخوا قميصه بدم عاملهم بمثل احتيالهم بناء

على ما الحوا عليه ومنها ان يعقوب امرهم بطلب يوسف بجميع حوا
سهم فيا سا على نفسه فالمحب ربما لا يميز الاجانب ويقيس على
نفسه ومنها ان المحنة اذا بلغت غايتها انتهت فلما بلغ فراق يعقوب
الى الغاية انتهى كما قيل اذا اتضايق امر فانتظر الفرج وكذلك الانسان
في كبد فاذا بلغ الغاية وصل الراحة ومنها انهم قالوا اما يوسف
فانه ميت اكله الذئب ولم يقل يعقوب انكم كذبتم بل قال لا تيأسوا
من روح الله لان الكريم يستحيي الرد فكذا الله تعالى اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين يستحيي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما
صفرا ومنها ان اخوة يوسف نجوا من قهره بالتضرع فكذا العاصي
ينجو بالتوبة والانابة عن عذاب الاخرة ومنها ان البضاعة المزجاة
صارت سبب دفع الضرورة والنجاة وكذا العمل اليسير يصير سببا
للعفو والمغفرة ومنها ان ذنب اخوة يوسف كان كثيرا وعذر
هم قليلا فقبله يوسف وكذا الله تعالى يقبل التوبة عن عباده
وان كان ذنوبهم كثيرة ولهذا قيل العذر وان قل يمحو الذنب وان
جل فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له ومنها ان اخوة يوسف
مدحوا يوسف بقولهم يا ايها العزيز وذموا البضاعة بقولهم
وجئنا ببضاعة مزجاة فقبلها يوسف فمن يحمد الله تعالى يقبل
عمله وان كان قليلا ومنها ان يعقوب امرهم ان يتحسسوا يوسف
واخاه وهم عدلوا عنه الى ايفاء الكيل اذ المتحسس يتوصل الى
مطلوبه بجميع الطرق وما ذكروه سبب لرقة يوسف فيسهل
لهم به الوصول الى المقصود وقد حصل ومنها ان يوسف لم
ينظر الى قلة البضاعة بل نظر الى الحاملين فكذا الله تعالى لا ينظر
الى نفس العمل بل الى العامل ومنها ان اخوة يوسف اقروا بقراءة

الكتاب فكذا المرء يوم القيمة بقراءة كتابه حيث يقال اقرأ كتابك ومنها ان الاخبار يظهر اخبار المراء هذا كتابنا ينطق بالحق ومنها ان الرسول امن ما لم يظهر كذبه ومنها ان يوسف خوفهم بالقتل جزاء لما فعلوا فى حقه حين القوه فى غيابة الجب واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقوله يا بنى اذهبوا الخ الرجوع الى البداية بعد النهاية كما سئل احدهم ما النهاية قال الرجوع الى البداية وذلك عند الفراغ عن السلوك بالكلية ووصول اثر ذلك الفراغ الى العقل بقربة الرتبة فى التنزل والتدنى فيأمر القوى باستر اليه الى مقامهم بطلب الحظوظ فى صورة الجمعية البدنية وتدبير معاشهم ومصالحهم وذلك هو الروح اذ المؤمن يجد هذا الروح فى الحيوة الثانية التى هى بالله فيحيى به ويتمتع بحضوره بجميع انواع النعيم ولذات جناب الافعال والصفات والذات بالنفس والقلب والروح دون الكافر كما قال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقوله مسنا واهلنا الضر اشارة الى عجزهم وسوء حالهم وضيقهم فى الوقوف مع الحقوق قوله وجئنا ببضاعة مزجاة اشارة الى ضعفهم فى قواهم وقوله فاوف لنا الكيل استعطافهم اياهم بطلب الحظوظ ولما بلغ امر يوسف مع اخوته هذا المنزل اى منزل الاظهار لهم بقه بامر جبرئيل كما سبق قال يوسف هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه فتبسم عنه وانما قدر لفظ قبح لانه لا شك انهم كانوا عالمين بنفس ما فعلوه بيوسف واخيه وما فعلوه بيوسف ظهر لك مما تقدم من الآيات واما ما فعلوه باخيه فافراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة وكان اخوه يشكى ليوسف منهم فعلما

قبتم

فعلوه به منه اولما رأى منهم تعريضا لاخيهم عند استخراج الصواع من وعائه حسبا نا منهم ان اخاه كان سرق المتاع فاستقبلهم المكروه من سببه فضلوا عليه ولم يعلموا حقيقة الحال فبنوا المعاملة على ظاهر ما بدالهم من حاله اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمهم عليه او عاقبته او حقيقة الحال وانما قال ذلك تذكيرا لهم ما سبق من فعلهم بمكانه وتنصيحا حتى يجددوا الانتباه والاهتمام وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم ومسكنتهم لا معاتبة وتثريبا حيث حملهم على الاعتراف بالذنب والاستغفار ولم يرد بذلك المعاتبة والتثريب وانما جهلهم لان فعلهم وافق فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ شابين لم يبلغوا الكمال فمعنى قوله اذ انتم جاهلون شابون غير فارقين الخير والشر ولهذا قال اذ انتم ولم يقل وانتم جاهلون او المعنى اذ انتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته واخيه اذ لو علموا ذلك لما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة وقيل هو تلقين العذر وهو غاية الكرم والفضل وعلى هذا الوجه قول الله تعالى الذين يعملون السوء بجهالة وقالوا الكريم لا يعاتب ولو عاتب لا يستقصى وكذلك فعل يوسف لم يعاتبهم فى المرة الاولى والثانية وعاتبهم فى الثالثة على خفاء ولم يستقص وقيل الكرم ترك العتاب وترك الاستقصاء فى العتاب وتلقين العذر فى العتاب والعفو بعد العتاب وقد فعل ذلك كله يوسف فى هذه المرة وبيانه فى الآية وفى قوله هل علمتم ما فعلتم الخ تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ومن الخصال ان يوسف كريم احسن لمن اساء ولهذا قال سيد الكونين محمد صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم

ومنها انه ذكر كلاماً متلطفاً حيث اقام العذر مقام العتاب و
ارشدهم الى التوبة ودفع العقوبة والعذاب عنهم ومنها انه ذكر
الكلام على وجه يتضمن العتاب لان بيان عيب المرء له كرم كما قال
عمر الفاروق رض رحم الله امرأ ابتدى الينا عيوبنا ومنها انه لم يطول
الكلام على وجه العتاب لما قيل طول العتاب وحشة وترك العتاب
فرقة وقيل النصيحة فى الملأ فضيحة ومنها ما قيل ان ما ذكره
ليس بعتاب بل شكر نعمة فمعنى الكلام انكم نصبتم انفسكم لاذائ
واذاء اخى وقد اوصلتمونا الى الفرح حيث صرت عزيز مصر
وصار اخى معززاً عندى ومنها ان الجهل عذر عند الكريم وتلقين
العذر كرم زائد فان قيل كان مقتضى الكرم ان لا يوقعهم واباه
فى الانتظار وان لا يخدع فى اخذ اخيه قلنا قد تقدم ان فيما فعله
حكماً لا تحصى ومنها انه حرضهم على التوبة وحثهم على الانابة
اليه تعالى ليذهب عنهم عذاب الاخرة فهذا كرم عظيم ومنها ان ذنبهم
كان بكنعان وكان تخجلهم بمصر فكذا العبد يذنب فى الدنيا و
يعاتب ويعاقب فى الآخرة عصمنا الله تعالى من عقابه بحرمة
نبيه ومنها انه لو اعلمهم ابتداء انه يوسف لهربوا خوفا منه ولم
ينالوا امنا لهم فهذا اكرم منه ايضا ومنها تعظيم قدر الفرج و
السرور لان وجود الشئ بعد اليأس ابلغ ومنها ان اجر الاب
يزداد بصبره الجميل ومنها ان اباه لما احبه واخاه استحق المكافاة
بوصلها فهكذا حال المحبين الصادقين فينبغى لهم الصدق والوفاء فى
حب المولى والانس به لا بغيره حكى من سرى السقطى قال
صعدت يوما بجبل لكام فرأيت اناساً قاعدين فسلمت عليهم
وسألتهم عن قعودهم فقالوا انه يخرج فى كل سنة من هذا الكهف

شيخ فيدعو للمعلولين فيما فيهم الله تعالى ببركة دعائه فترقبت وقته
وكان فى القوم اعمى والاصم والابكم وزمن فخرج الشيخ من ذلك الكهف
ودعا للمعلولين فعافاهم الله تعالى فقمت وتعلقت بذيله فقلت
ايها الشيخ لى علة باطنة فقال خل عنى يا سرى فان الحبيب غيور
فلا تأنس بغيره تسقط من نظره فالحصة انه لا بد من طرد سواه
حتى ينال ما نواه فلما قال يوسف هذا الكلام وقد قال لهم ابوهم فتحسسوا
من يوسف واخيه نظروا اليه بالامعان فعرفوه قالوا اخوة يوسف
ائنك لانت يوسف استفهام تقريرى ولذا حقق بان واللام قال
الامام البغوى قال ابن اسحق كان يوسف يتكلم من وراء ستر فلما قال
يوسف هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه كشف عنهم الغطاء ورفع
الحجاب فعرفوه فقالوا على التحقيق انك لانت يوسف وقال الضحاك
عن ابن عباس رض لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ
المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاماً وانك لانت يوسف
وفى رواية عن ابن عباس رض ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع
التاج وكانت له فى قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق
مثلها ولسارة مثلها شبه الشامة فعرفوه بها فقالوا انك ليوسف
قال انا يوسف صرح باسمه العلمى ليفيد كمل تميز وهذا اخى بنيامين
من ابى وامى لا عبدى تظنوننى قد اخذته عبداً وليس كذلك بل هو
اخى وعزيزى وانما تعرض فى الجواب لاخيه مع ان السؤال عنه فقط
لكمال التعريف لذاته لان بنيامين كان اخاه لاب وام اولرد ظنهم
انه اخذه عبداً كما سبق قد من الله انعم الله علينا بالسلامة والكرامة
وباجتماعى باخى وانجائنا من الشدائد وقيل ان يجمع ما فرقتم وصله
ما قطعتم وقيل اى من الله على بانجائى من البئر والعصمة من الهم

والتخليص من السجن وتمليك مصر انه من يتق يتق الله بان يعمل
الطاعة ويترك السيئات ويصبر على البليات او على مضض الطا
عات وعن ارتكاب الشهوات وقال ابن عباس رض من يتق الزنا
ويصبر على الغربة وتقديره فهو محسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين
ثوابهم وضع الظاهر موضع المضمر للتنبيه على ان المحسن من جمع
بين التقوى والصبر ودل الاية على ان التقوى والصبر سببا رفعة و
سعادة قال الامام القشيري قدس سره قالوا في خطابه قبل ان
يعرفوه يا ايها العزيز فلما عرفوا قالوا ائنك لانت يوسف لان
الاجنبية اذا ارتفعت سقط تكلف المخاطبة وانشدوا فيه
اذا صفت المودة بين قوم ودام ولاؤهم سمج الثناء وقال بعضهم
فيه اذا مال حبال الود وتشتد بيننا فلا بد ان يطوى بساط
التكلف ومن الخصص انه لم يقل انتم اخوتي لان المسيء ليس
كالمحسن في القدر ومنها ان يوسف عم صبر على البليات كما
سمعته وصبر عن المعاصي فظهر اثره ولهذا شكر عليه ومنها ان
التقوى مبنى الطاعات واساسها وسبب القربة والكرامة عند الله
تعالى كما قال سبحانه ان اكرمكم عند الله اتقيكم روى ان عائشة رضها
لما مرضت استاذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة
بالمرض فاخبرت فقالت اخشى ان يثني علي وانما خشيتي لانه يورث
العجب فقيل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وجوه المسلمين
قالت ائذنوا له فدخل وقال كيف حالكم قالت بخير ان كنت من اهل
التقوى وفيه اشارة الى ان الثناء بالمواجهة مذموم كما ورد به الخبر
والى ان السعادة والخير بالتقوى جعلنا الله تعالى من اهل التقوى ومنها
ان الله تعالى لا يضيع اجر المحسنين فان يوسف وصل الى سعادة الدارين

باحسانه فمن اراد الفوز والنجاة فليكن من المحسنين اعلم ان يوسف لما
قال انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين واحال استحقاق الاجر
على ما عمل من التقوى والصبر انطقهم الله تع حتى اجابوه بلسان التوحيد
قالوا اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا
بحسن الصورة وكمال السيرة من الصبر والحلم والعقل فاعتذروا اليه
بقولهم وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما صنعنا
في حقك والخاطئ هو الذي ياتي بالخطيئة عمدا والمخطئ من ياتيها
سهوا ولذا قيل لمن يجتهد في الاحكام ولا يصيب انه مخطئ لا خاطئ
وفي قولهم هذا سؤال الصفح والعفو عنهم اعلم ان اخوته لما اعترفوا بذنوبهم
وان يوسف لم ير تقواه وصبره من نفسه حيث نبهوه عليه لم يرجفاهم
منهم فنطق عن يمين التوحيد والخبر عن شهود التقدير كما حكى الله تع
قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال ابن عباس وسفيان لا تعيير عليكم
وقيل لا ملامة عليكم وقيل لا تقريع عليكم وقيل لا تقرير عليكم اي
لا اقرركم بذنبكم وقيل لا افساد عليكم وقيل لا اعتد عليكم ما فعلتم
وقيل غير ذلك وقوله اليوم ليس هذا القصر عليه لكن اذا لم يوبخهم
في اول الصدمة فما بعد ذلك اولى ان لا يوبخهم به يغفر الله لكم هذا
منه دعاء لهم بالمغفرة عفى بنفسه وطلب لهم غفور ربه وهو كمال
المروة والديانة قال تعالى فمن عفى واصلح اي عفى حق نفسه واصلح سأل
الله العفو عن ظالمه وقيل انه قطع منه بان الله غفر لهم بصدق توبتهم
وهو وان كان حكما فهو عن وحي اليه به وهو ارحم الراحمين من غيره
فانه يغفر الذنوب جميعا ويتفضل على التائب ولان كل راحم يرحم
برحمته قيل لما عرفوا يوسف نكسوا رؤسهم وبكوا ثم قالوا يا
يوسف لا تنظر الى ما فعلنا ولكن انظر الى ما فعل بك فقام وضمهم

الى صدره ومن الحصص ان اعترف بالحق والعصيان يستحق العفو
والغفران قال انس بن مالك رض سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن التوبة فقال الندم توبة اى معظم اركانها روى جابر
رض ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر وصلى فلما فرغ من صلاته
قال له على رض يا هذا ان سرعة اللسان بلا استغفار توبة الكذابين
وتوبتك هذه يحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة و
لتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة
كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ومنها ان يوسف اظهر الكرم
حيث عفى بنفسه عنهم المؤاخذة فى الدنيا لان الكريم اذا قدر غفر
ومنها انه بعد ما ازال عنهم تثريب الدنيا طلب ازالته فى الاخرة
اظهارا لكمال الكرم قطعه خذ العفو وامر بعرف كما امر بعرف كما
امرت واعرض عن الجاهلين ولين فى الكلام لكل الانام فتحسن
من ذوى الجاهلين ومنها ان الطعن فى العاصى مذموم ومنها ان
العباد اذا اقروا بذنوبهم واستغفروا الله تعالى يقول الله تعالى لا خوف
عليكم روى ان ابليس لما طرد قال وعزتك انى لا افارق ابن ادم
من الاغواء حتى يفارقه روحه فقال الله سبحانه له وعزتى
وجلالى انى لا اقبل التوبة من العبد ما دام يتوب ومنها ان الله
تعالى هو خالق الرحمة فى الراحمين فكيف لا يرحم هو وقد قال صلى
الله عليه وسلم ان لله تع مائة رحمة انزل رحمة واحدة بين الجن
والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون

و

واخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ومنها ان اخوته
عصوا الله ويوسف فاذا عفا يوسف عنهم بكرمه ورحمته فكيف لا
يعفو الله تعالى عنهم بل عن العصاة وهو ارحم الراحمين ومن كرم يوسف
انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى
الطعام ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ وقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم اخوتى
وانى من حفدة ابرهيم عليه السلام ومنها انه ينبغى للعاصى ان يستحيى
من الله تعالى ويعلم قبح المعصية ويتنفر منها قال بعض الصلحاء لان
ادخل النار وقد اطعت احب الى من ان ادخل الجنة وقد عصيت روى
ان شخصا قال لموسى يا موسى اشفع لى عند ربك فانى عصيت و
تبت واجتهدت فى العبادات سنين كثيرة ولا ادرى قبل توبتى
ام لا فلما حضر موسى المناجاة قال يا رب هل قبلت توبة فلان
التائب قال لا فقال يا رب شفعنى فيه فقال له وعزتى وجلالى لو
شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته لان حلاوة ذلك
الذنب الذى تاب منه فى قلبه ومنها ان العاقل يقدم التوبة فى الدنيا
قبل ان يقدم الى قدام مالك الملوك السلطان الحقيقى ومنها انهم
ما عرفوا عزة يوسف وقت اذائهم به ثم اذا ظهر خافوا منه كما
الانسان الغافل لا يعرف اليوم مقام ربه غدا قال لقمان لابنه
يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة يا غافل تب قبل انقضاء
العمر واياك ان تامن مفاجاة الامر فقد حذرتك الحادثات نزولها
ونادتك الا ان سمعك ذو وقر تنوح وتبكى للاحبة ان مضوا
ونفسك لا تبكى وانت على الاثر واذا اريد التقرير الا نفى يراد بقوله

هل علمتم ما فعلتم بيوسف انه اشارة الى تنزل القلب الى مقامهم
فى محل الصور ليعرفوه فيتذكروا حالهم فى البداية وما فعلوا به لحازمانه
الجهل والغواية وقوله ائنك لانت يوسف تعجب منهم عن حاله بتلك
الهيئة النورانية وبعدها عن حال بدايته وقوله قد من الله علينا
اشارة الى علمه ذلك وسبب كماله وقولهم تالله لقد اثرك الله علينا
اشارة الى تهدى القوى عند الاستقامة الى كماله وقوله لا تثريب
عليكم اليوم لكونها مجبولة على افعالها الطبيعية وقوله يغفر الله لكم
اشارة الى برائتها من الذنب عند التنور بنور الفضيلة والتأمر بامره
بامره عند الكمال ولما اظهر يوسف نفسه لاخوته ورفع الوحشة
بينهم دبر ملاقاة ابيه واهلهم فجمع الاخوة فسألهم ما فعل ابى بعدى
قالوا ضعف بصره من البكاء والحزن حيث كان يضع قميصك ا
الملطخ بالدم على وجهه ويبكى فدبر علاجه حيث قال اذهبوا بقميصى
هذا اشارة الى القميص الذى كان عليه او القميص المتوارث الذى
كان فى التعويذ لما روى عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال اما قوله اذهبوا بقميصى هذا فان نمرود الجبار لما
القى ابرهيم فى النار نزل اليه جبرئيل بقميص من الجنة وطنفسة من
الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسى
ابرهيم ذلك القميص اسحق وكسى اسحق يعقوب فجعله فى قصبة من
فضة وعلقها فى عنقه فالقى فى الجب والقميص فى عنقه فلما جاء جبرئيل
اخرجه منها فالبسه فكان معه الى ان قال اذهبوا بقميصى هذا و
قيل هو الذى خرقته زليخا لتظهر براءته عند ابيه ولهذا لم يقل
بهذا القميص او بقميص بل نسبه اليه ثم خصصه بقوله هذا فقميصه
وهو عبد شهد ببراءته والقميص وهو ملك شهد بمعجزته و

قميصه

123

قميصه الاول صار ابوه به ضريرا وقميصه الاخر عاد ابوه به بصيرا و
الله على كل شئ قدير فالقوه القميص على وجه ابى يعقوب قال الامام
القشيرى قدس سره علم يوسف ان يعقوب لما يلحقه من فرط السرور
لانطاوعه يده فى اخذ القميص فقال القوه على وجه ابى قبل لم يقل على
عين ابى لانها نظرت الى غير يوسف واما وجهه فلم يتوجه الى الغير
فاستحق التشريف او الوجه بمعنى العين ولم يصرح بالعين لاتهامه
بالمعصية فكانه يشير الى انه لا ينبغى ان تفتح يات بصيرا بعد بصيرا
وقيل اى يأتنى بصيرا وهو حال اى ذا بصر كما كان اول مرة وانما عرف
ذلك بالوحى وكان معجزة له وذلك اعلام لهم بالملك الباطن بعد الملك
الظاهر ثم قال واتونى انتم وابى على تغليب المخاطبين على الغائب
باهلكم اجمعين من النساء والاولاد والموالى وكانوا اثنين وسبعين
انسانا او المعنى واتونى بابيكم واهله اجمعين وانما دعا يعقوب
واخوته واهاليهم الى نفسه ولما يأت اياه لا اخلالا باجلاله بل
ابقاء على حاله لانه علم ان يعقوب لا يقوم بكفاية امور يوسف و
تقصر ذات يده عنه فحملهم تخفيفا عليهم واحسانا اليهم قال وهب
ثم كسا يوسف اخوته واجازهم وحملهم وبعث الى ابيه بجائزة وكسوة
ومائتى راحلة وجهازها وجهاز اهلهم لنقلهم اليه وعجل سرحهم
وحملهم فخرج يهوذا مبشرا وقال انا احزنته بالقميص الملطخ بالدم
فاخرجه بهذا القميص فشرع الطريق مسرعا حافيا راجلا متشكرا
لله تعالى بالمشى والحفاء والرجلة ما بين مصر والشام وبينهما
مسيرة ثمانية ايام ومع يهوذا القميص وسبعة ارغفة تزودها
فلم يأكلها حتى ورد على الله فلما فصل من مصر استروح يعقوب ريح القميص
وذلك قوله تع ولما فصلت العير خرجت من مصر قال ابوهم يعقوب

نحو وجهه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال بعض المحققين انما دعى يوسف اباه الى نفسه
اظهارا للوجاهة والنبوة وشرف لله وليعلموا انه لم يعم
لكامن غير اصل بل له اصل ضخيم وليعاين اهله
نعمة الله عليه بعد انقضاء المحنة من اعطاء
الملك ولو كان يوسف ترك الملك وذهب اليهم
لم يقع موقع الاعظام فى الاخبار اذ ليس الخبر
كالمعاينة

فلما فصلت

لمن حضره من ولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف
قال الحسن وجدها من مسيرة شهر وقال ابن عباس رضي من ثماني ليال
جعله الله تعالى واجدا ريح ما خلط بقميصه معجزة له روى ان ريح الصبا
طلبت الاذن من ربها في ان ياتي يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه
البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها ولذلك يستريح كل محزون بريح
الصبا وهي التي تاتي من المشرق وقيل ان وجود الريح مجاز عن وجود
دلائل الوصال لولا ان تفندون تنسبون الى الفند وهو نقصان عقل
يحدث من هرم اعلم ان يعقوب تفرس فيهم انهم يلومونه فقال ذلك وهو
مختصر وتقديره اني لاجد ريحا يشبه ريح يوسف واريد ان اقول هي
ريح يوسف لولا كراهة ان تفندون وهو كمن وجد شيئا يبعد في العرف
وجوده فيقول اني وجدت شيئا اريد ان اخبركم به لولا ان تكذبون وجواب
لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لعلمتم ان يوسف قريب وقال الامام
القشيري قدس سره العجيب انه كان عند اقبال المحنة ويوسف منه على
اقل من مرحلة حيث القوه في الجب لا يجد ريحه واستتر عليه حاله وخبره
ولما ادبرت ايام المحنة وجد ريحه وبينهما مسيرة شهر او مسيرة ثمانين
فرسخا وقيل انفرد يعقوب بريح يوسف ووجدها لانفراده بمقاساة
المحن على فقد يوسف وانما يجد ريح يوسف من وجد على فراق
يوسف ويقال لا يعرف ريح الاحباب الا الاحباب قالوا اي الحاضرون
تالله انك لفي ضلالك القديم لفي خطائك القديم قاله ابن عباس رضي وهو
يرجع الى قول بنيه في الابتداء ان ابانا لفي ضلال مبين وقال مجاهد اي
حبك القديم وكذلك الاول وعلى هذا قول الله تعالى ووجدك ضالا فهدى
اي محبا فهداك الى شرائطه وطرائقه وقال الحسن انك لذاهب عن
الصواب في امره ترجو لقاءه وقد مات منذ دهر طويل وفي كتاب عصمة

الانبياء ليس هذا من حقد ته قصدا اندائه وانما هو التسلية لهم
لكن لم يحسنوا نظم الكلام على ما يجب مقابلته به وقال الامام القشيري
قدس سره ان البلاء اذا هجم هجم بمرة واذا زال زال بتدريج حل البلاء
بيعقوب بمرة حيث قالوا اكله الذئب ولما زال البلاء وجد ريح يوسف
اولا ثم قميص يوسف ثم يوم الوصول رأى سبعين حاجبا بين يدي يوسف
قبل ان رأى يوسف فلما ان جاء البشير يهوذا القيه اي البشير القميص
او القى يعقوب على وجهه وجه يعقوب فارتد بصيرا عاد بصيرا كما كان
ولما كان سبب حزن يعقوب قميصه كان فرحه ايضا بقميصه روى
ان يعقوب سأل البشير عن يوسف فقال ملك مصر قال وما اصنع بالملك
على اي دين هو قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة قال يعقوب للذين
حضروه ممن كانوا يفندونه ويقولون انك لفي ضلالك القديم الم اقل لكم
ايها الحاضرون اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج
او المراد به ما مر في قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما
لا تعلمون وهو علمه بما يبتلي الله به عباده الانبياء من المحن التي
تنكشف عن حميد العاقبة او اعلم من لطفه لعباده ورحمته وقيل اني
اعلم كلام مستانف والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح
يوسف ثم انهم اعتذروا اليه لما فعلوا به وطلبوا منه ان يستغفر لهم
كما حكى الله تعالى قالوا اخوة يوسف يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا اشفع
لنا الى يوسف ليعفو عنا وقيل استغفر الله لنا انا كنا خاطئين اعترفوا
بانهم كانوا مذنبين قصدا فالمعنى انا كنا مسيئين اليك والى يوسف و
عاصين لله بذلك قال لهم ابوهم سوف استغفر لكم ربي قيل اخر ذلك الى
ان ينظر ماذا يقضي الله في امرهم وماذا يقول يوسف والحق لم يكن ليعقوب
خاصة فاخر الى ان يتوصلا ثم يستغفر لهم وقيل اخر ذلك الى ان يقوم

للصلوة فيستغفر فيها او بعدها قيل اخره الى وقت السحر وقيل الى ليلة
الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل كان يستغفر لهم فى كل ليلة جمعة فى نيف
وعشرين سنة قيل انما اخره الى وقت السحر لان للدعاء وقتا مخصوصا
وهو وقت السحر وقد كان ذلك وقت دعاء موسى عند حضوره فى طور
سيناء وان الدعاء فيه لا يرد كما دل عليه الخبر الصحيح وان يعقوب ع
وجد ريح يوسف عند السحر وجاء البشير بالقميص عنده فاستبرك بذلك
الوقت وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان
عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى
نزل جبرئيل وقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد
مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما
صدر عنهم كان قبل استنبائهم قيل ان اولاد يعقوب قالوا فى
البداية يا ابانا مالك لا تامنا وفى النهاية قالوا يا ابانا استغفر لنا
فاعترفوا بذنوبهم وافتضحوا بها بعد ثمانين سنة كذلك المذنبون
يوم القيمة انه هو الغفور الرحيم المبالغ فى المغفرة والرحمة قيل قام
الى الصلوة وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزعى
على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما فعلوا فى حق يوسف
فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين ومن الحصرات
من عادة الله تعالى جعل سبب الهم سبب الفرج حيث كان سبب
بلاء يوسف الرؤيا وصار سبب نجاته الرؤيا وعبارته وكان سبب
ضعف بصر يعقوب القميص وصار سبب ازالته وفرحه القميص ايضا
كما ان هم موسى كان من البحر اذ به التقطه آل فرعون وكذا صار نجاته
منه ومنها ان العين آلة مشاهدة الجمال فالاهم للعاشق ليرى

بها

بها جمال المعشوق واذا اراد الله تعالى بعبد ان يرى جماله فتح عينه
يسرنا الله تعالى ومنها ان النعم الظاهرة انما تدرك بالعين ولهذا دبر
فتحها ومنها ان الدولة والنعمة تطيبان بالاقرباء ولهذا طلب يوسف
اتيان الاهل قال الله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا
بهم ذريتهم ومنها ان يوسف امرهم ولابيه واهلهم بالهدايا والذوات
لتكون لهم وسائل الى وصوله فكذا الله تعالى يعطى عباده المال والقدرة
ليجعلوها هدايا ووسائل الى وصوله ومنها ان الملك يكتب المعاصى و
يبشر قائلا ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ومنها ان وجدان الريح
من مكان بعيد معجزة ومنها ان ريح الصبا سبب الفرج والنصرة قال
صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ومنها
ان الريح يورث الانتباه قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها وقال بعض الزهاد فضل خدا ناكاه آيد ولى
بردل آكاه آيد ومنها ان فراسة المؤمن حق قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة مؤمن فانه ينظر بنور الله تع ومنها ان الدين الحق اولى
من الملك ومنها ان الانبياء يعلمون من الله ما لا يعلم الامة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم
قليلا ومنها ان يعقوب قال ولا تيأسوا من روح الله فوصل الى
المقصود فالطالب ما دام لا يقطع رجاءه يصل الى مطلوبه كما روى
من بعض الكتب السماوية كلام مضمونه بالعربية انا المطلوب فاطلبنى
تجدنى و روى من طلب وجد وجد ومنها ان يعقوب وجد ريح
يوسف والذين حضروه لم يجدوه واعجب منه ان يهوذا كان يحمله و
هو فى رحله كان لا يجد ريحه وكذا المؤمن يجد ريح الجنة من مسيرة
خمسمائة سنة والكافر لا يجد ومنها البلاء اذا هجم هجم بمرة واذا

زال زال بتد ريح روى ان تحت العرش ريحا يقال له ريح الاحزان
وبحرا يقال له بحر الغم فامر الله تعالى الريح حتى امطرت من بحر الغم
على طينة آدم اربعين سنة وبقي فيه كذلك ثم انجلى عنه مقدار ساعة
فلذا كثر الاحزان في الدنيا على بني آدم وانما دار السرور والراحة دار
القرار بشرنا الله عز وجل بفضله وكرمه ومنها ان المقر بذنبه تائب
وان الله يغفر له ومنها ان من حق المعترف بذنبه ان يفضح عنه ويسئل
له المغفرة ومنها انه كان ليعقوب احوال ثلثة وجدان الريح وسماع
البشارة ثم رؤية جمال يوسف فالعبد اذا وجد ريح الله تعالى يسمع
البشارة بان يقال ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ثم يرى الله تعالى
كما قال سبحانه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها ان يعقوب
وجد الريح وجد في طلب وجهه فرائي في النهاية ومنها ان عقوق
الوالد عصيان فلا بد من الاستغفار ومنها ان يعقوب لم يستغفر
لهم حالا ولم يقنطهم حتى يكونوا بين الخوف والرجاء فالله تعالى يرسل
البشارة في اخر العمر لا في اوله حتى يكون العباد بين الخوف والرجاء ومنها
ان العاصي لا ينبغي له ان تقنط من رحمة الله تعالى وان كثرت ذنوبه
لانهم ندموا واقروا واستغفروا واتوا بشفيع ومن كانت له هذه
الاربعة فهو تائب على الحقيقة ومنها ان البكاء في مدة العمر لا بأس
به اذا كان اخره الفرح ومنها ان العفو بالامضاء الخصم بعيد و
منها ان يوسف قال لا تثريب عليكم اليوم ويعقوب قال سوف
استغفر لان الشاب يستعجل والشيخ يؤخر ومنها ان نسئة الله تعالى
خير من نقد الدنيا ومنها ان الامر قد يرى في اوله سهلا ثم يظهر
صعوبته ومنها ان الله تعالى يحب انين المذنبين والحاح الملحين على
ما ورد به الخبر واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالقميص الذي كان

عليه

126

عليه هو الهيئة النورانية التي اتصف بها القلب عند الوصول الى الوحدة
في عين الجمع والاتصال بصفات الله تعالى والقميص الارث الذي كان في
تعويذه حين القي في الجب اشارة الى نور الفطرة الاصلية والاول اولى
بتبصير عين العقل فان العقل لما لم يكتحل بصيرته بنور الهداية الحقانية
عمي عن درك الصفات الالهية ومعنى قوله واتوني باهلكم اجمعين
ارجعوا الي عن اخركم في مقام الاعتدال ومراعاة التوسط في الافعال
فان القلب يتوسط بين جهتي العلو والسفل وانضموا الي وائتمروا باوامري
واقربوا مني ولا تبعدوا عن مقامي في طلب اللذات البدنية بمقتضى
طباعكم وريحه الذي وجد من بعيد هو وصول اثر رجوع القلب الى
القوى الحيوانية بجهاز الحظوظ على حكم العدالة وقانون العقل والشرع
وضلاله القديم هو تعشقه بالقلب اولا وذهوله عن جهتهم وقوله
الم اقل لكم الخ اشارة الى سابق علمه برجوع القلب الى مقام العقل
واستغفاره لهم تقريره اياهم على حكم الفضائل العقلية بالاستقامة
بعد صفائهم وزكائهم وقبولهم للهيئات النورانية بعد خلع الا
لبسة الظلمانية يسر الله تعالى لكافة الطالبين انه هو الغفور الرحيم
قال كعب ووهب فلما القى يهوذا القميص على وجه ابيه عاد بصيرا الحال
فقال يهوذا البشارة يا ابتاه ان الملك العزيز الذي ملك مصر و
اهلها هو ابنك يوسف وقد بعث اليك جهازا ومائتي راحلة و
سألك ان تخرج ومن معك اليه فتهيأ يعقوب للخروج وخرج
معه اثنان وسبعون من ذكر وانثى فلما قربوا من مصر واخبر
بذلك يوسف تلقاه ومعه ثلثمائة الف فارس كل واحد منهم
معه جنة من فضة وراية من ذهب الافراس مراكبه والفرسان
غلمانه فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب

تالاً ومعه اولاده وحفدته ونظر الى الصحراء مملوة من الفرسان
مزينة بالالوان نظر اليهم تعجبا فقال له جبرئيل انظر الى الهواء فان
الملئكة قد حضرت سرورا بحالك كما كانوا باكين محزونين مدة
لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال ايهم ولدى يوسف فقال
جبرئيل هو ذلك الذى فوق رأسه ظلة فلم يتمالك ان اوقع نفسه
من البعير فقال جبرئيل يا يوسف ان اباك يعقوب قد نزل لك فانزل
له فنزل عن فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو الى الآخر قيل ان يعقوب
يمشى وهو يتكأ على يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك
يوسف حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الفرسان بعضهم
فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملئكة وضرب بالطبول والبوقات
فصار كانه يوم القيمة فلما دنى كل واحد منهما قال يعقوب السلام
عليك يا مذهب الاحزان ثم ادخلهم يوسف فى الصحراء خيمة او
منزلا هناك فالله سبحانه يحكى ملاقاته وما جرى بينهم حيث قال
عز وجل فلما دخلوا باهلهم على يوسف فى الصحراء وكان ذلك
اليوم يوم عاشوراء ويجوز ان يكون قد خرج فى قبة من قباب
الملوك التى تحمل على البغال اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته
واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب اولان يعقوب
تزوجها بعد امه لان امه راحيل كانت قد ماتت فى نفاس بنيامين
وتزوج ابوه خالته ليا والرابة المربية تدعى اما روى ان يوسف قال
لابيه بكيت حتى ذهب بصرك اما علمت ان القيمة يجمعنا قال
خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فقال يحق لك يا ابتا
ثم امرهم بدخول البلد كما قال الله تعالى وقال يوسف لابيه واهله
ادخلوا مصر الدخول الاول كان خارج البلد حين استقبلهم كما

عرفت انفا ان شاء الله امنين القحط وسائر المكاره قيل
الاستثناء اى المشية كيف يدخل تحت الامر اجيب المشية متعلقة
بالدخول المكيف بالامن قال الامام النسفى رح والاستثناء داخل فى
الامن لا فى الدخول لانه امر بالدخول ووعد الامن والاستثناء
يدخل فى الوعد لا فى الامر وكذا كانت مواعيد الانبياء عليهم السلام
قال الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله وانما وعدلهم الامن لانه كان بلدا فيه كفار
وملكهم الذى اقام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا فوعدلهم
الامن معلقا بالمشية رجاء لذلك من فضل الله تعالى وكان د
دخولهم عليه مصر اربع مرات الاول فدخلوا عليه فعرفهم و
الثانى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه والثالث فلما دخلوا عليه
قالوا يا ايها العزيز والرابع ولما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه و
قال لابويه ولمن معهما ادخلوا الخ قيل لما دخلوا مصر كانوا اثنين
وسبعين انسانا وكثروا فيه وكانوا لما خرجوا منه هاربين من
فرعون ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى قالوا وكانت الذرية والهرمى الف الف ومائتى الف
ومما يؤيده ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جبرئيل
اى شئ رأيت من عجائب الدنيا قال قافلة دخلت بالنهار وقافلة
خرجت بالليل اما قافلة النهار فقافلة يعقوب واما قافلة الليل
فقافلة موسى فان الاولى فليلون طالبون يوسف والثانية كثيرون
هاربون من فرعون قال الامام القشيرى قدس سره اشترك القوم
فى الدخول ولكن تباينوا فى الايواء فانفرد الابوان به لبعدهما من
الجفاء كذا غدا اذا وصلوا الى الغفران يشتركون فيه وفى دخول الجنة

ولكنهم يتنا بنون في بساط القربة فيختص به اهل الصفاء دون من
اتصف اليوم بالالتواء فلما عاد يوسف الى مصر ودخل داره جلس على
سريره وجمع الناس واخوته حوله ورفع ابويه على العرش ورفع
والده يعقوب وخالته راحيل على سرير الملك الذى كان قاعدا عليه
فقعد احدهما عن يمينه والآخر عن شماله قيل لم يقل واجلس ابويه
اعلاما لنا انه اجلسهما فوق قامته وخروا ابواه واخوته فالرفع مؤخر
عن الخرور لكنه قدم لفظا للاهتمام بالتعظيم له ليوسف سجدا تحية
وتكرمة له حال مقدرة لان السجود يكون بعد الخرور قال وهب انحنوا له
كما يفعل الاعاجم ولم يضعوا جباههم وانما يوضع الجباه بالسجود
لله تع وهذا كان تحية منهم له وكذلك فعلت الملئكة حين امروا با
السجود لادم ولم يزل تحية الناس السجود حتى جاء الله بالاسلام
فذهب بالسجود وجاء بالمصافحة واكثرهم على انه وضع الوجه على
الارض وهو المتعارف المتفاهم من اطلاق وقال ابن عباس رضى
سجدوا لله شكرا له على ما انعم عليه بالاجتماع والاظهر الاشهر انه كان
ليوسف لان الرؤيا كانت على ذلك قال رايتهم لى ساجدين وكان
ذلك تحية للملوك الى ان نسخ فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم
وفى الاية دليل على انه لا باس بامساك السرير والجلوس عليه اذا لم
يكن للتعظيم والمباهاة وانما كان للانتفاع والارتفاق ولامساك
الناس على حدود الاداب اذا نظروا اليه بعين المكانة والمنزلة والجاه
فيسهل على الوجيه تنفيذ اسباب المعاملة ومن الحصر ان يعقوب
لما وجد ريح يوسف لم يسكن حتى اذا وصل البشير تهيأ ووصل اليه
فلطالب الحق ان لا يقعد روى عن ذى النون انه قال رأيت شابا
عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت انك تكثر

الرفع النقل الى العلو

اى سقطوا لاجل يوسف على الارض

الركوع والسجود قال انظر الاذن من ربى فى الانصراف قال فرأيت
رقعة قد سقطت عليه مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العزيز
الغفور لعبدى الصادق انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ومنها ان يعقوب تحير فى كثرة الناس فى الصحراء مع كون
الوقت وقت السرور فكيف يكون حال الناس فى كثرة الخلائق يوم
القيمة مع الشدة والدهشة قال مقاتل بن سليمان الخلق يوم القيمة
مأة سنة فى العرق ملجمون ومأة سنة فى الظلمة متحيرون ومأة
سنة يموج بعضهم فى بعض عند ربهم يختصمون وهكذا ويقال ان
يوم القيمة مقدار خمسين الف سنة وانه ليمضى على المؤمن المخلص
كما يمضى عليه ساعة واحدة فعليك ايها العاقل ان تصبر على شدائد
الدنيا فى طاعة الله تع ليسهل عليك شدائد يوم القيمة ومنها ان
يعقوب سلم على يوسف فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان
ونحن نرجوان نقول الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ومنها ان ابويه
كانا غريبين بفراقه فاوى اليه اياهما وادخلهما داره ورفعهما على
عرشه فكذا الله تع يعين الايتام والغرباء لانه اكرم الاكرمين وارحم
الراحمين لتريد خلهم جنة النعيم ومنها ان يوسف قال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين فكذا الله تعالى يقول لاهل الجنة ادخلوها بسلام
آمنين سئل زاهد هل لك رغبة فى حال احد قال انا راغب فيمن مات
على الايمان وحصل له الامان ودخل الجنان ووصل الى الغفران
ومنها ان الاب ينبغى ان يبكى على فراق ابنه فى القيمة بان لا يدخل
الجنة ومنها ان الاستقبال مستحب واكرام الضيف مسنون
وصاحبه مأجور قال ابو الحسن المدائنى خرج الحسن والحسين و
عبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاؤا وعطشوا ومروا

فجاعوا

بعجوز في خبائها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها و
ليس لها الا شويهة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك
ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم
حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم
هيات لهم طعاما فاكلوه فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش
نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا
ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل
ثم بعد مدة الجاء بهما الحاجة الى دخول المدينة فمرت العجوز في بعض
سكك المدينة فاذا الحسن بن علي رض جالس على باب داره فعرف
العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها
يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت
العجوز بابي وامي انت فامر الحسن فاشتروا لها من شاة الصدقة
الف شاة وامر لها معها الف دينار فالحصة ان اكرام الضيف
لم يكن ضايعا في الدنيا فكيف في الاخرة **ومنها** ان الله تع اذا اراد
عصمة عبده يعصمه في اي موضع كان ولو كان ذلك الموضع دار
الكفار **حكي** ان عالما من المسلمين قد اسر بيد الكفار فيخرجون في
كل اسبوع الى مجالس العلم في دينهم فقال العالم منذ زمان انا فيكم
اسير وكنت احب استماع القران والعلم في الاسلام ان مكنوني
اسمع معكم فخلوه وكان مغلولا الى مجامعهم فصعد الراهب على
كرسيه وجلس فحضر ولم يمكنه الكلام فقال الراهب يا معشر
النصارى ان فيكم اليوم عالما من علماء الاسلام فمنعت الكلام
لاجله فقالوا ليس فينا احد غير هذا الاسير فقال قدموه فقال
الراهب بحق معبودك لا تخفي نفسك انك عالم ام لا فقال انا عالم

فتعجبوا

فتعجبوا من كرامته فقال الراهب اسئلك عن امرين ان تجيبني فلك
الخلاص والا ليس لك المناص فقال سل قال السوال الاول قرات في
الانجيل ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة طوبى ما من دار فيها الا
وفيه غصن من اغصانها فما مثالها في الدنيا السوال الثاني قرات
في الانجيل ان ثمار الجنة ونعيمها لا تنقضي بالانفاق بل زادت فما
مثالها في الدنيا فاجاب عن السوال الاول بالشمس وعن الثاني بالعلم
فاستحسنه فرفعوا اغلاله فقال العالم انا اسئلك مسئلة فقال
سل قال كيف قرات في الانجيل اي شيء مكتوب على باب الجنة
فسكت الراهب فقالت النصارى اجبه والا فنقتل انفسنا او
نقتلك فقال الراهب لا تقتلوا انفسكم ولا تقتلوني فاني لست
بعاجز عن جوابه ترضون بالاسلام قالوا رضينا فاجبه فقال
اخلعوا زناركم فحلوا فقال مكتوب على باب الجنة لا اله الا الله محمد
رسول الله **ومنها** انه لا باس بامساك السرير والجلوس عليه
اذا لم يكن للتعظيم والمباهاة بل المصلحة مثل الهيبة في عيون
الناظرين اذا كان من اولي الامر والا فلا ينبغي للعاقل ان يفعل به
ومنها ان تعظيم الابوين من الامور المهمة روي ان رجلا من بني
سلمة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابوي قد ماتا فهل
بقي من برهما علي شيء قال صلى الله عليه وسلم نعم الاستغفار لهما وانفاذ
عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما **ومنها**
ان القوم وان اشتركوا في دخول دار يوسف لكنهم تباينوا في الايواء
فانفرد الابوان بالجلوس معه على السرير كذلك غدا اذا وصلوا الى الغفران
يشتركون فيه والدخول في الجنة ولكنهم تباينون في القربة فيختص به
اهل الصفاء والوفاء لان مراتب الناس في دار الاخرة بحسب احوالهم

في الدنيا روى عن جعفر الخلدي رأى بعض الصالحين في منامه
انه داخل الجنة فرأى رجلا على مائدة وملك يطعمه وملك يسقيه
واخر يقول كل يامن لم ياكل من اجله والاخر يقول اشرب يامن لم يشرب
من اجله ورائيت رجلا شاخصا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن
حورها وولدانها وقصورها واشجارها وثمارها وهو لا يطرق
قط فسئلت رضوان من الذي يطعمه ملك ويسقيه ملك فقال
ذلك بشر الحافي مات جايعا وعطشان فوكل الله به ملكين يطعمانه
ويسقيانه قلت من الذي شخص بصره نحو العرش قال معروف الكرخي
مات مشتاقا الى الله تعالى فاباحه الله النظر اليه فقد اشتغل به عمن سواه
ومنها ان السجدة سبب التقرب والاومان ورد به الخبر ومنها ان
من شرب هذه الامة ان لا يجوز لهم السجدة الا لله تعالى كما قال
سبحانه لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله ومنها ان اظهار
نعم الله تعالى وارادته مستحب والمذموم الاغترار بها والغفلة عن
شكرها قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال عز وجل لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد واذا اريد التفسير الانفسي
يراد بدخولهم على يوسف وصولهم الى مقام الصيد رحال الاستقامة
وبدخول مصر كون الكل في حضرة الجمعية الالهية الواحدية مع
تفاصيل مراتبهم في عين جمع الوحدة ورفع ابويه على العرش عبارة عن
ارتفاع مرتبتي العقل والنفس عن مراتب سائر القوى وزيادة قربهما
اليه وقوة سلطنتهما عليه وخرورهم له سجدا عبارة عن انقياد
الكل وطاعتهم له بالامر الوحداني بلا فعل وحركة بانفسهم بحيث
لا يتحرك منها شعرة الا بامر الله تع اعلم ان ابن عباس رض قال لما رأى
يوسف سجود ابويه واخوته له هاله ذلك واقشعر جلده منه واراد

ومن قال السجدة لاخوته دون ابويه سيفهم
لان الرؤيا كانت على سجود الكل قال تعالى
خبرا عن يوسف عليه السلام والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين فعلم ان الكل تاويلها ذكره الثعلبي

تذكير سبب لعدم رضا يوسف في قلبه كما حكى الله تعالى قال يوسف
يا ابت هذا اي السجود لي تاويل رؤياي عبارة رؤياي وتعبيرها وقيل تحقيق
تحقيق رؤياي وقيل تصديق رؤياي التي قصصتها عليك من قبل
رأيتها ايام الصبا قد جعلها اي الرؤيا ربي حقا صدقا باذ سجدكم
لي في اليقظة كما رأيته في المنام روى عن ابن عباس رض انه قال
كان بين رؤيا يوسف وبين تاويلها اربعين سنة قيل واليه ينتهي
الرؤيا وقال السدي كان بينهما سبع وثلثون سنة وبقال حين رأى
كان يوسف ابن سبع سنين فظهر تاويلها وهو ابن اربعين سنة وقد احسن بي
الي وحروف الادوات تتناوب وقيل هو على حقيقته اي احسن الي اهل الزمان
حيث ملكني ونفع الناس بحسن تدبيري اذ اخرجني من السجن فقال يعقوب
او كنت في السجن قال لا اشكو السجن ولكن اشكر الخلاص من السجن ولم
يذكر الاخراج من الجب لئلا يكون تثريبا عليهم ومن تمام الصفح والعفو ان
لا يذكر ما تقدم من الذنب وقيل لم يذكر الخلاص من البئر لان مدة تلك
كانت قصيرة ومدة هذه كانت طويلة وكان السجن من اهل مصر فلم يبال
بذكر فعلهم وقيل كان ايقاعهم اياه في البئر لحسد منهم فلم يخف ان يكون
عقوبة له والسجن كان بعد قوله رب السجن احب الي فخاف ان يكون
معاتبة او معاقبة فعد الخلاص منه غنيمة عظيمة وقيل اخرج من الجب
عبدا ومن السجن ملكا وجاء بكم معافين سالمين من البدو ومن البادية التي
يبدو فيها من كان دخلها وانما قال وجاء بكم من البدو ولانهم كانوا بادين بارض
كنعان وهي بادية بلاد فلسطين وقيل قال ذلك لانهم كانوا اهل مواش من
بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قال ابن عباس رضي القى الحسد في
قلوب اخوتي وقال مقاتل بن حيان اغرى الشيطان وقيل هيج وقال
عكرمة افسد وهو حقيقته لغة اضاف الى الشيطان تمهيدا للعذر

اى انعم على عه

مع كونه اشد من الجب عه

اخوته واصل الفساد يكون من وسوسته ثم يقبله الانسان فيقع
فيه او يمتنع عنه بالاجتهاد والاستعاذة بالله فيسلم منه ان ربى
لطيف لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بى اى احسن الله بى بهذه النعم
لانه يوصل الى الشئ فى سهولة وخفى موقع وقيل عالم بدقايق
الامور وحقايقها وسرها وعلنها وقيل المعنى انه تع يفعل ذلك ومثله
لا لاستحقاق العباد ذلك او يميل الى احدهم دون الآخر بل المشية
بمقتضى الحكمة والعلم انه اى الرب تعالى هو العليم بنا وباحوالنا من وجوه
المصالح والتدابير وقيل اى العليم بسرائر عباده الحكيم فيما اجرى
بيننا اى الذى يضع كل شئ مواضعه ويفعله لوقته على وجه يليق
به وقيل اى العليم بما فعلوا بى الحكيم بما فعل هو بنا وفى بعض
التفاسير المقبولة ان الله لما جمع بين يوسف وابويه واخوته اخذ
بيد ابيه وجعل يعرض عليه الخزائن فعرض عليه خزانة الذهب والفضة
والحلى والحلل والاسلحة حتى ادخله خزانة القراطيس فراى يعقوب
فيها شيئا كثيرا فقال يا بنى ما اعقك لابيك كان عندك كل هذا من
من القراطيس وكنت منى على ثمانى مراحل اربعين سنة فما الذى منعك
من مكاتبتى قال امرنى بذلك جبرائيل قال افلا تسأله قال يا ابت انت
اشد انبساطا اليه منى فجاء جبرئيل فسأله يعقوب انت نهيت
ابنى عن مكاتبتى قال نعم قال ولم قال لان الله تع امرنى بذلك قال
افلا تسأله قال نعم فمضى وسأل الله تعالى فقال قل لعبدى يعقوب
انسيت يوم قلت انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب
فهلا خفتنى يا يعقوب ذكره الامام النسفى وقال الفقيه ابو الليث مدح
الله تعالى يوسف فى هذه السورة فى ثمان مواضع احدها ان اخوته لما
فعلوا به ما فعلوا اصرف العداوة من اخوته الى الشيطان حيث قال من

اى لطيف التدبير واللطف هو ايصال البر الى الغير برفق وسهولة فالمعنى هو وصل جماعة بتدبير فيه بسهولة مثل ما فعل بنا فانه لما اراد الوصول الى الملك والعز اسباب شتى اسهلها ما وقع من نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وفعلهم كذا وكذا فانه لطيف التدبير والحكيم

بعد

بعد ان نزغ الشيطان الاية والثانى حين راودته المرأة قال انه ربى
احسن مثواى فعرف خدمة سيده ولم يهتك حرمته والثالث انه
قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه فاختار السجن على ارتكاب الحرام
والرابع انه قال وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء بعد ما ظهر ان
الذنب من غيره والخامس انه لما اعتذر اليه اخوته قال لهم لا تثريب
عليكم اليوم والسادس انه بعث القميص على يدى اخوته لما ادخلوا على
ابيهم الحزن فى الابتداء اراد ان يدخلوا عليه السرور فقال اذهبوا
بقميصى هذا والسابع انه لما لقى اباه لم يذكر عنده ما لقى من الشدة وانما
ذكر عنده المحاسن قال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى
حقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن الاية والثامن انه لما تم امره
تمنى الموت وترك الدنيا ومن الخصص ان العاقل اذا رأى تعظيم الناس
اياه يشكر الله لانه دليل كثرة النعم كما قيل من كثر نعم الله عليه كثر احتياج
الناس اليه ومنها ان النعمة بعد البلية اعظم واحق ان يشكر بها و
البلية بعد النعمة اصعب روى عن بلال بن سعيد انه قال رب
مسرور مغبون ويل وهو لا يعلم يأكل ويشرب ويضحك ويلعب
قد حق عليه فى قضاء الله تعالى انه من اهل النار ومنها ان الانتقال من
البادية والقرية الى المصر نعمة وسبب فضيلة ومنها ان اهل الجنة
يشكرون لله تع بان يقولوا الحمد لله الذى اخرجنا من سجن الدنيا و
احلنا دار المقامة ومنها ان الله تع لا يشكو يوم القيمة عن المؤمنين بل
عن الكافرين كما قال تعالى يوم يقوم الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم ومنها ان بلاء الدنيا قليل لمن ابتلى به ونجا من عذاب الآخرة
لا ينبغى له ان لا يشكر ومنها ان خروج المؤمن من الرحم حال كونه
فقيرا ومن القرابة كما ان خروج يوسف من البئر عبدا ومن السجن

ومنه الخصصا ان يعقوب ... وصل ... والفضل الغرابة ... ورضانه الرضاء انه تعالى فهو افضل الغرابة ... من اعلى نعمات تعالى كما قيل الرضاء عن الله تعالى ... بالرضاء عنه البقين بالله وقد قال تعالى جزاء الله بالرضاء عنه فمن حسن الرضاء عن الله ... بجزاء ونهاية وقال بل الرضاء بالرضاء ... للمؤمنين فيقول العطاء وفى الخبر ان الله تعالى ... الرضاء سلونى فيقولون رضاك ... الرضاء لان بالرضاء دام لهم بعد النظر تفضيل عظيم الرضاء موجب النظر ... ودوام النظر لما كان ... الرضاء عليهم يوم القرب والنظر فرع لوه تمام النعمة قال بعض المفسرين فى قوله تعالى ولدينا مزيد قال ... من عنده ياتى اهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله تعالى ليس ... فى الجنان مثلها وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك الهدية فهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى انى عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر ومن النعيم الذين هم فيه ومما يدل على فضل الرضاء ما روى عن انس بن مالك انه عليه السلام قال اذا كان يوم القيمة انبت الله لطائفة من امتى اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فيقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا الصراط فيقال هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فيقول الملائكة من اى امة انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون كنا اذا خلونا نستحيى ان نعصيه

فى قوله تعالى ...

عزيزا ومنها ان من ترك الشهوة واختار سجن الخلوة يجد عزة مصر
الاخرة يروى عن على بن الدقاق انه قال قدم على فقير زائر وعلى
رأسه قلنسوة مشبح من البسة الصوفية فقال بعض الاصحاب
بكم اشتريت هذه القلنسوة على وجه المطايبة فقال اشتريتها
بالدنيا فطلبت بالاخرة فلم ابعها واطلب الجمال ومنها الاية تدل
على سوء عيش اهل السجن فكذا عيش اهل الدنيا كما قال تعالى و
من اعرض عن ذكرى فانه له معيشة ضنكا ومنها ان يوسف
اسند الفساد الى الشيطان لا الى اخوته فكذا الله تعالى اسنده الى
الشيطان كما قال ان الشيطان لا ينزغ بينهم ومنها ان يوسف
اكرمهم بانواع النعم بما يريد والله تعالى يكرم فى الاخرة بما يشتهى المؤمنون
كما قال تعالى ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ومنها ان
يوسف لما افترق من ابيه ابتلى بالبلاء العظيم وحصل له الفرح بلقائه
فالمؤمن نقيم بفراق الله تعالى ويحصل له الفرح بوصوله روى عن
الشبلى قدس سره انه مر يوما ببعض المقابر فسمع امرأة تبكى وتقول
واويلاه من فراق الولد فوقف الشبلى وبكى بكاء شديدا وقال واويلاه
من فراق الاحد فقالت المرأة انت مجنون فقال لها بل انت مجنونة
قالت كيف ذلك قال انت تبكين على ولد مفقود افلا ابكى انا على
خالق موجود يا عجباه هذا فراق من له بدل فكيف فراق من لا
بدل له هذا فراق من له نظير فكيف فراق من لا نظير له ولا
شبيه له وهو السميع البصير ومنها ان الميت يعرف الزائر و
الاحباء ولا رخصة له فى الكلام كما ان يوسف كان يعرف اباه
ولم يكتب اليه كتابا لانه لا رخصة له فيه ومنها ان بلاء الدنيا
ينتهى ولا نهاية لبلاء الاخرة فعلى العاقل ان يكتب ما يدفعه عنه

ومنها

ومنها انه ينبغى للمؤمن ان لا يخاف الا الله تعالى فان يعقوب لما قال
اخاف ان يأكله الذئب ابتلى بما ابتلى واذا اريد التقرير الانفسى يراد
بتاويل رؤياه صورة ما تقرر فى استعداده الاول من قبول هذا
الكمال ومعنى قد جعلها ربى حقا اخرجها من القوة الى الفعل وقد
احسن بى بالبقاء بعد الفناء واذ اخرجنى من السجن من سجن الخلوة
الذى كنت فيها محجوبا عن شهود الكثرة فى عين الوحدة ومطالعة
الجمال فى صفة الجلال وجاء بكم من البدو اى من بدو خارج مصر الحضرة
الالهية من بعد ان نزغ الشيطان الوهم بينى اخوتى بتحريضه
اياهم على القائى فى قعر بئر الطبيعة بانها لهم وتهالكم على الذات البدنية
ان ربى لطيف يلطف باحبائه بتوفيقهم للكمال وتدبير امورهم بحسب
مشية الازلية وعنايته القديم انه هو العليم بما فى الاستعدادات
الحكيم بترتيب اسباب الكمال وتوفيق المستعد الوصول اليه يسرنا
الله تعالى اعلم ان وهب بن منبه قال لشامعه اخوته من يوم ورد واعليه
مصر الى يوم مات ابوه اربعا وعشرين سنة فى اغبطة واسر السرور
لا يأتى عليه يوم ولا ليلة الا والله يحدث فيه غبطة وهى افضل
مما قبلها ورخاء هو افضل مما قبله وعافية هى اوسع مما قبلها قد
جمع الله الفتهم واقر عيونهم ودحر الشيطان عنهم فلبثوا بذلك لا
يقدر قدر احسان الله اليهم ونعمة التى انعمها عليهم فلما حضر يعقوب
الوفات جمع ولده وولد ولده عليهم فلما حضر يعقوب الوفاة جمع
ولده وولد ولده فاوصاهم وعهد اليهم وقال يا بنى ان الله اصطفى
لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقال لبنيه ما تعبدون
من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك وقال يا بنى احفظوا عنى
خصلتين ما انتصرت من ظالم بقول ولا فعل ولا رأيت من احد

حسنة الا وافيتها ولا سيئة الا كتمتها وقال له يتوم يا ابانا انا
نخاف ان يحقد علينا يوسف بما صنعنا به بعدك فاستوهب
لنا ذلك منه واوصه بنا قال يعقوب ليوسف هب لى فعله اخوتك
بك ولا تحقدها عليهم فقال يوسف يا ابتاه قد عفوت عنهم و
وهبتهم لك واوصى يعقوب ليوسف اذا هو مات ان يحمل جسده
حتى يقبر مع ابويه ابرهيم واسحق فى الارض المقدسة فحمله يوسف
فى تابوت ساج على عجلة من ارض مصر حتى اورده الارض المقدسة
ثم وضعه الموضع الذى امره به فرجع الى مصر قال وهب ويقال انه
مات هو واخوه عيص فى يوم واحد فدفنا فى قبر واحد وكانا فى
بطن واحد وكان عمرهما مائة سنة واربعا واربعين سنة ثم عاد
يوسف الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما جمع الله
تعالى ليوسف شمله واقر عينه واتم له امر رؤياه وعلم يوسف
انه لا يدوم له هذا الملك كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا
اذا قيل تم طلب لنفسه الملك الدائم الخالد كما قيل اذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل فتمنى الموت ودعا به وذلك قوله **رب** اى يا رب نادا
الانبياء بهذا اللفظ قال آدم ومعه حوا ربنا ظلمنا انفسنا وقال
نوح رب لا تذر على الارض وقال موسى رب نجنى من القوم
الظالمين وقال محمد صلى الله عليه وسلم رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين وغيرهم **قد اتيتنى** اعطيتنى **من الملك** بعضه لانه
لم يملك الدنيا كلها وقيل من لبيان الجنس اعلم ان الاظهر لا
شهر انه ملك مصر وقيل هو ملك الجمال وقيل هو ملك النسب
فهو الكريم بن الكريم بن الكريم الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
بن ابرهيم وقيل هو ملك القلوب وكان يحبه الحاضر بالنظر والغايب

بالخبر

133

بالخير وقيل هو ملك الاحترام فقد نفرت الهوام كلها حين التقى فى البئر
احتراما له وقيل هو ملك القيمة حتى بلغت قيمته يوم دخوله مصر
وعرضه فى السوق للشراء اضعافا اضعاف زنة نفسه من كل
مال خطير وقيل هو ملك النفس حتى استعصم فلم يجب امراة
العزيز وقيل هو ملك الهمة حتى اختار السجن على العصيان وقيل
هو ملك النبوة فى ثمانى عشرة سنة من عمره وقيل هو ملك الهيبة
حتى هابته زليخا وذلت وانقادت مع ان ظاهر حالها انها ملكته
وقيل هو ملك الاخوة ملكهم وذلوا له ثم من عليهم وقيل هو ملك
الجود فما كان فى الدنيا اجود منه فى سنة القحط وقيل هو ملك الشفقة
وقد كان يجوع لئلا ينسى الجياع وقيل هو ملك العدل فقد سوى بين
اهل ولايته والغرباء كلهم فى سنة الجدب وقيل هو ملك القميص
اعاد به بصر ابيه وكان جميع قصته فى ثلثة من القمص وجاؤا على
قميصه بدم كذب وان كان قميصه قد من قبل اذهبوا بقميصى هذا
وقيل هو ملك الوصال فقد وجد وصال ابويه واخوته وقرابته
بعد اربعين او ثمانين سنة من غير ان نقص منهم احد وقيل هو ملك
العبرة فقد قال تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل
هو ملك السؤال وهو سؤال الوفاة على الاسلام ولم يكن مثله فى
غيره فى مثل حاله **وعلمتنى من تاويل الاحاديث** اى تعبير الرؤيا وفيه
اقاويل اخر مرت فى اول السورة **فاطر السموات والارض** يا خالق
السموات والارض من غير شئ مبتدئا خلقهما نصب على انه صفة
للمنادى او منادى آخر ووصفه تعالى به وصفه بالربوبية مبالغة فى
ترتيب مبادى ما يعقبه من قوله **انت وليى فى الدنيا والآخرة** اى
ناصرى ومتولى امورى وكافى معاشى ومعادى والوالى فى القرآن

لعشرة معان للرب قال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وللاله قال تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء اى الهة وللولو قال تعالى فهب
لى من لدنك وليا وللقريب قال تعالى فما لكم من دون الله من ولى وللصاحب
قال تعالى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وللعقيم قال تع فليملل
وليه بالعدل ولمتولى المصالح قال تعالى انت ولى وللموالى فى الكفر
قال تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وللموالى فى الاسلام
قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وللنصيح قال تعالى
لا تتخذوا الكافرين اولياء وقال الامام القشيرى قدس سره انت
الذى تتولانى فى دنياى بعرفانك وفى عقباى بغفرانك وليس لى فى
الدارين غيرك ولما انتظمت اسبابه واطردت احواله اشتاق
الى ربه وقال توفنى مسلما اى امتنى على الاسلام ومخلصا بتوحيدك
قيل هذا سؤال التوفى على الاسلام للحال وهو الظاهر وقيل هو سؤال
الختم على الاسلام متى كان وحكى عن الاستاذ ابى على الدقاق رح
انه قال قال يوسف ليعقوب علمت انا نلتقى فى الاخرة بعد الموت
فلم بكيت منى مدة فقال يا بنى ان هناك طريقين خفت ان
تسلك طريقا واسلك طريقا فقال عند ذلك توفنى مسلما و
قال الشيخ الامام ابو الحسين محمد بن يحيى الشاغرى فى كتاب عصمة
الانبياء ان من كملت حالته وصفت سريرته لاحت له معرفة
اقدار الاشياء على هيئاتها وكشف له من النظر الى عظمة الله و
وسلطانه ثم الى نفسه فى جوهرها وبنيتها فلا يترك شرط
العبودية فى مقامه وان عظمت نعمة الله عليه بل يقوم بوفاء
الشكر للمنعم لا للاعجاب بالنفس والامن على حالها والثانى
ان يوسف دعا به ليقتدى به قومه ومن بعده من ليس بآمن

قيل ان الانبياء مأمونون من الخاتمة فلم طلب الختم على الاسلام اجيب بان المراد بالاسلام غير ما هو ضد الكفر وهو الاستسلام للحكم والرضاء بالقضاء فطلب الختم على ذلك وبان المراد التواضع كاستغفارات الانبياء وبان المراد الامتثال لحكم ابيه وهو قوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون

او صل الملك الفانى بالملك الباقى والعادة الدنيوية الزائلة بالسعادة الاخروية الدائمة و ذلك لا يكون الا بالتوفى على الاسلام فذلك قوله توفنى اه بيع
والدى رحمه الله

كما قال يعقوب فلا تموتن الا وانتم مسلمون ثم طلب الوصول واللحوق الى الرفيق الاعلى كما طلب نبينا عند النزع وقال اللهم الحقنى بالرفيق الاعلى وذلك قوله والحقنى

بالصالحين مع

على

ختمه فلا يترك الدعاء امتثالا لانه لان ظواهر الانبياء كانت لنظر الامم
اليهم ليعلموا موضع الشكر من موضع الاستغفار والثالث معنى
الاسلام من مثله يحتمل الاسترسال فاحب ادامة العصمة عليه
باستعمال الخلق الحسن الى آخر عمره حسب ما جرى فى مختلف الاحوال
التى جرت عليه من المحن. والنعم اذ الاسلام قد يكون عبارة عن
العقد وهو الدين وعن التسليم وهو صفو الحال كذا فى التيسير
وقيل ما تمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا
فتخاصم اهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب ان يدفن فى محلتهم
حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأى ان عملوا له صندوقا من مرمر و
جعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء اى عند قسمة
بمباههم فى اعلى مصر ثم يصل الى مصر ويصيب بركته الى اهل مصر
ليكونوا كلهم سواء فيه ثم نقله موسى وكان عمره مائة وعشرين
سنة كما يجئ تفصيله ان شاء الله تعالى وقيل انما قال
توفنى مسلما لانه لما وقع فى البئر نودى اتخاف عاقبة امرك
فقال يا مولاى بلى فقال انا وليك فنادى اذا كنت وليى فتوفنى
مسلما اشتياقا منه وقيل انما تمنى الوفاة لان الخلاص من سجن
الدنيا احسن وقيل استقبل الامر قبل هجومه لانه علم يقينا انه
يموت لا محالة فقال توفنى لان الامر الذى لا يمكن الفرار
منه يستحسن استقباله على احسن الاحوال باعانة الملك
المتعال ومعنى قوله توفنى مسلما يعنى بيدك التغيير والتبديل
لا تغير قلبى ودينى كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم يا مقلب
القلوب ثبت قلبى على دينك والحقنى بالصالحين من
آبائى فى الجنة ابرهيم واسحق ويعقوب وقيل اراد به الحقنى

فى الدنيا بدرجات الصالحين المستمكين للصلاح المتنزهين عن
الفساد قيل لما شاهد يوسف الملك خاف ان يحشر مع السلاطين
وبعيدًا بعيدًا عن الانبياء قال والحقنى بالصالحين وفى ذلك
تنبيه لكل مسلم ان يدعو بهذا الدعاء وهو الختم على الاسلام
والالحاق بالصالحين لان مع الصالحين الامن والسكون و
الغبطة والحبور وهذه الكلمة فى القران لمعان منها المؤمن قال
تعالى والصالحين من عبادكم واماءكم ومنها العمل المرضى قال تعالى
وعمل صالحا ومنها المطيع قال تعالى وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين ومنها التائب قال تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين و
منها الامين قال تعالى وكان ابوهما صالحا اى يؤدى الامانة و
منها الولد السوى الاعضاء قال تعالى فلما اتاهما صالحا ومنها
الرفيق المنصف قال تع ستجدنى ان شاء الله من الصالحين و
منها الرفيع المنزلة قال تعالى وانه فى الاخرة لمن الصالحين ومنها
انه اسم للانبياء لكمال حالهم واجتماع خلال الخير فيهم قال تع
وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين روى انه بقى يوسف
عم فى مصر بعد موت ابيه ثلثا وعشرين سنة لم يضحك ولم
يفطر بالنهار ولا ينام بالليل الا قليلا ولا يلبس ثياب الملوك
ولا يجلس على السرير ولا يخالط الناس وكان يبكى ويذكر
اسلافه الماضية فنام ليلا ورأى خياما فى الصحراء وفى و
سطها خيمة فيها ابوه وامه يصيحان يا يوسف عجل عجل فانا فى
الانتظار فلما انتبه علم انه مطلوب فوقف فى المحراب وقال توفنى
مسلما والحقنى بالصالحين قال وهب فلما حضر يوسف الوفاة اوصى
اخوته بمثل ما اوصى به ابوه يعقوب ان يحملوه الى الارض

المقدسة فيدفنوه مع ابائه فحمل ودفن مع ابائه وقال ابن عباس
رض مات يوسف فى اهل مصر ودفن بها حتى بعث الله تعالى موسى
بن عمران فولى اخراج شخصه من مصر فانطلق به حتى دفنه عند قبر
ابيه هذا هو الاشهر على ما قيل من انه لما مات ارادوا ان يحملوه الى
الارض المقدسة فلم يتركهم اهل مصر واختلفوا فى دفنه كما سبق انفا
وكان يوسف اول نبى من انبياء بنى اسرائيل وقال وهب ثم الخلق
من بعده يهوذا ثم روبيل ثم لاوى ثم شمعون ثم يشجر ثم زبالون
ثم زبينا ثم دان ثم نفتال ثم جاد ثم اشير وولد ليوسف ابنان
افرابيم بن يوسف ومنشا بن يوسف فولد لافرابيم نون بن افرابيم
وولد لنون يوشع بن نون وهو فتى موسى وولد لمنشا بن يوسف
موسى بن منشا واهل التورية يقولون هو الذى طلب الخضر و
خرق السفينة وقتل الغلام وقال ابن عباس رضى هو موسى بن
عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وكان بين دخول يوسف
مصر الى يوم خروج موسى اربعمائة عام واوصى موسى ان يحمل
شخصه ويدفن ببيت المقدس كما اوصى يوسف وقال وهب
يقال ان الله تع لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة كما
هى فى القران لا يزيد ولا ينقص ومن الحصص ان ملك الدنيا فان
ومنها ان يوسف وصل الى الرفعة بعد المحنة ثم لما ظهر فناها طلب
الوفاة على الاسلام والسعادة الابدية والالحاق بالصالحين
فمن اراد العزة فى الاخرة لا زوال لها والوفات على الاسلام مطلب
اعلى والالحاق بالصالحين مقصدا اقصى فمن اراد ذلك لابد
ان يحبهم ويخالطهم كما قيل احب الصالحين ولست منهم لعل
الله يرزقنى الصلاحا ومنها ان الانبياء نادوه قائلين يا رب

روى ان زليخا كانت عند موت يوسف فجيت
منظلم قد كشف رأسها فلما صاحوا عند موته
غشى عليها ثلثة ايام فلما افاقت قالت اين
يوسف قالوا دفنوه فغشى عليها ثلثة ايام
اخر ولم تزل مواضبة على قبره الى ان ماتت

قيل ان يوسف عم لما حضره الوفاة اجتمع
عنده اولاده وقالوا نحب ان تعرفنا كيف
تنصرف الاحوال بعد خروجك من بين اظهرنا
ومن يؤول اليه امرنا وامر ديننا فقال ان امركم
يستقيم على ما انتم عليه ويستقيمون على دينكم
الى ان يبعث الله اليكم رجلا جبارا اعاشيا من القبط
يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم و
يستحيى نساءكم يسومونكم سوء العذاب
من فيمته اياه مدة مديدة ثم يخرج من
بنى اسرائيل ينسب الى لاوى بن يعقوب
اسمه موسى بن عمران رجل طويل جعد الشعر ادم اللون
فينجيكم الله تعالى من ايدى القبط على يديه كذا
فى العرائس

فاستجاب الله لهم ونحن نقول ربنا فنرجوا ان يستجاب دعاؤنا كما استجيب دعاؤهم روى ان رجلا مات ودفن فسمع من قبره انين فذهبت امرأته الى رجل صالح وعرضت حاله عليه فتوجه الى روحه فاخبره بانه اعترض على حكم من احكام الله تعالى فعذب به فامر هذا الرجل تلك المرأة ان تتصدق وتروح باتيامه الى قبره ويدعون الله قائلين ربنا ففعلوا فلم يسمع الانين بعده ومنها ان يوسف قال انت وليي في الدنيا والاخرة وكون الله تعالى ولي المرء اغر المطالب واشرف المقاصد وهذا حاصل للمؤمنين بوعده تعالى حيث قال عز وجل الله ولي الذين امنوا الاية ومنها ان المحنة اولى من النعمة عند الكملة اذ قيل ليوسف متى كنت في المحنة ما طلبت الموت فاذا صرت في النعمة لم طلبته قال كان جبرئيل ياتيني في المحنة وهو انيسي كما ورد في الخبر قال عز وجل انا عند المنكسرة قلوبهم روى ان موسى عم قال اين اجدك يا رب فاوحى الله اليه تجد ني عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم ومنها ان يوسف لما شاهد انتظام امره اراد الموت على احسن الاحوال فينبغي للمؤمن ان يطلب الموت على احسن الاحوال ويقول توفني مع الابرار ومنها ان تمني الموت في حال الصحة من علامات المشتاقين ومنها ان يوسف مع كونه نبيا تمنى الموت على الاسلام والالحاق بالصالحين فالعبد القاصي كيف يغفل عن ذلك مع عصيانه فالاهم لنا ان نقول ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ومنها ان مرتبة الصلاح اعلى واشرف اذ هي مطلب الانبياء ومنشاء سلام الله تع كما قال فخر الانبياء والمرسلين في المعراج علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن فوائد الصلاح ان من اتصف به يدعو له كل

من

قال وهب لما قال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين قيل فاوحى الله اليه كل حي يموت وقد بقي من عمرك ستون سنة او اربعون سنة او خمسة وعشرون سنة وقيل لما قال هذا القول لم يمض عليه سنة او شهرا و اسبوع حتى توفي قال تعالى له فاذ استوفيتها الحقتك بالصالحين فادع اهل مصر الى الايمان سرا وعلانية فدعاهم يوسف حتى امن به كثير من الناس وكانت الغلبة للمسلمين وصار المشركون قليلا وشكوا الى ملكهم ريان فدعا يوسف وقال ان القوم اجتمعوا والان ابغضوك فقال يوسف ان ابي قد دعاني الى الايمان مدة اقامته فينا وما سمعت فاعلم اني متحول عنك وعن قومك وراحل باهلي واتباعي فاني لا احب ان اكون مع عبدة الاوثان ثم رحل عم باهله واولاده وقومه واخوته والذين امنوا

من يصلي في الارض الى يوم القيمة اذ يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومنها ان يوسف طلب مقارنة الصالحين لا مقارنة السلاطين لان مقارنة الصلحاء والفقراء اعز واشرف عند الله تعالى ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرنا في زمرة المساكين ومنها ان فيه تنبيها لكل مسلم على ان يدعو بهذا الدعاء وهو الختم على الاسلام والالحاق بالصالحين لان مع الصلاح يوجد الفلاح ومنها ان يوسف كان صاحب جمال وكمال ومحبوب ابيه ومبغوض اخوته ورأى الالطاف من ابيه والمحن من اخوته والمراودة من زليخا ووصل الى الملك ومضى عمره وانقضى كما يمر السحاب حتى انتهى فتمنى الموت والالحاق بالصالحين وهكذا غاية رياسة الدنيا وسلطنتها فالعاقل من لا يغتر بها بل توجه الى الله تعالى بانواع القربات ايقظنا الله تعالى عن الغفلة ويسر لنا الوصلة بحرمة نبيه النبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقوله رب قد اتيتني من الملك انك اعطيتني من توحيد الملك الذي هو توحيد الافعال وعلمتني من تاويل الاحاديث اي معاني المغيبات وما يرجع اليه صور الغيب وهو من باب توحيد الصفات فاطر سموات الصفات في مقام القلب وارض توحيد الافعال في مقام النفس انت وليي في توحيد الذات في دنيا الملك واخرة الملكوت توفني مسلما امتني في حال كوني منقادا لامرك والحقني بالصالحين الثابتين في مقام الاستقامة بعد الفناء في التوحيد ثم ان الله تعالى بين ان اخبار هذه القصة لم يكن الا بوحي من عنده الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال عز وجل ذلك اشارة الى ما ذكر من نباء يوسف عم والخطاب

للرسول وهو مبتداء من انباء الغيب من اخبار خبر المبتداء
نوحيه اليك خبر بعد خبر اى ذلك من الاخبار التى يغيب علمها عن
العباد فلا يقف عليها الا من علمه الله تعالى فنحن نعلّمك ونوحيه
اليك وما كنت يا محمد لديهم عند اخوة يوسف ذكر هذا على سبيل
التهكم بهم لان كل واحد منهم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان معهم اذ اجمعوا امرهم احكموا الرأى والتدبير على طرحه فى
البئر وغير ذلك وهم يمكرون بيوسف اى يحتالون للتفريق بينه و
بين ابيه يعقوب ليخلو لكم وجه ابيهم فتعلم قصتهم بمشاهدتك
اياهم وبحضورك امرهم ولكن الله منّ عليك بتعريف قصتهم ولم
يكن ليفعل ذلك بك وهو يريد ان يخذلك وينصر اعداءك عليك
بل ينصرك ويعلى شانك كما فعل بيوسف واخوته فاسكن الى
هذا وليهن عليك اعراض قومك عنك ذكره النسفى وقال بعضهم
ليس المراد مجرد نفى حضوره فى مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل
فى سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع
القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب
وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين
والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك
اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك من الغير وعدم مطالعتك
للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين اظهرهم
عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار
فكانهم يشكون فى ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان
بان ما ذكر من النباء هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب
ليس على ما هو عليه يعنى ان مثل هذا التحقيق بلا وحى لا يتصور

(حاشية فوق السطرين: عند يوسف واخوته — حين عزموا على القاء يوسف فى الجب)

(حاشية: اى من اخبار ما غاب عنك علمه يا محمد ع‍ بجبرائيل لانك لم تحضره ولا قرأته من كتاب وقد اخبرت به كما جرى فى الواقع عيون
قوله تعالى وما كنت لديهم عطف على محذوف هو علة ما ذكر للحكاية المذكورة اعنى كون ما ذكر من قصة يوسف من انباء الغيب وكونه وحيا من الله تعالى تقديم الكلام ما سمعت من احد من الاخبار من اهل الكتاب واصحاب التواريخ وذلك معلوم لقريش لا يشك فيه احد منهم لان قومك يعلمون انك ما خرجت للتعلم الى قوم آخرين وما كنت لديهم وارى)

(حاشية: الاوّل بصيغة المصدر)

الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحى
وما اكثر الناس عام او خاص باهل مكة اى ولو سمعوا منك هذه
الايات الدالة على صحة ما اوحينا اليك من الغيب ولو حرصت على
ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات عليهم بمؤمنين لا يؤمنون وان
اسند حرصك على ايمانهم لان هذا من افعال لا يقدر عليها
احد غيرى وفى الاخرة تقديم اذ المعنى وما اكثر الناس بمؤمنين
ولو حرصت والحرص طلب شئ باجتهاد فى اصابته وجه اتصال
قوله تعالى وما اكثر الناس الاية بما قبله ان كفار قريش وجماعة
من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة
يوسف على سبيل التعنت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاد
انه عليه السلام اذا ذكرها فربما امنوا فلما اصروا على كفرهم
حزن النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فعزاه الله تعالى بقوله وما
اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين لعلم الله السابق فيهم وما
تسئلهم عليه على الانبياء او القران او الارشاد والايمان
من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو ما هذا القران الا ذكر
عظة من الله للعالمين عامة الى يوم القيمة يقول تعالى لست
تطمع فى اموالهم ولا تسئل على تبليغ القران شيئا فينسبوك
الى الاستيكال فعل الطالبين العلو فى الارض والمال ولانت
ايضا رسول بهذا القران اليهم وحدهم بل القران تذكير وموعظة
لجميع العالمين الى قيام الساعة ويتضمن ما بهم الحاجة الى معرفته
من امر دينهم يتذكرون به ما ينسونه وقيل ان هو الا ذكر للعالمين
اى شرف لمن اتبعه من العالمين ذكره فى التيسير ومن الحسن ان
الله تعالى منّ على رسوله بتعريف قصته اذ العلم مما يمنّ به على

(حاشية بين السطور: الرشد — الجن والانس)

(حاشية: وما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصة يوسف ... الناس ...)

(حاشية: ان بعد القران موعظة للعالمين عامة وانه مع لسعادة لا يطلب الاجرة بعض عظة ... وان الا ذنب فلا يليق ... الانبياء ... ويطلب ... فانت لا تطلبه ... برهان قاطع على صدق نفاقك)

العبد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرًا كثيرًا قال على
رض انت عبد من علمك ولو حرفًا وفى رواية من علمنى حرفًا فقد
صيرنى عبدًا ان شآء باعنى وان شآء اعتقنى قال بعض العلمآء من
علمك حرفًا فقد استعبدك مدة العمر قيل لذى القرنين لم تكرم
استاذك فوق اكرام ابيك قال ان ابى كان سببا لنزولى من
العلو والحيوة الفانية واما استاذى فكان سببا لارتقائى الى
العلو والحيوة الباقية الابدية ومنها ان شرف العلم لا يخفى على
اولى الالباب ونصرة الله مع العلمآء فصاحب العلم عزيز ان لم
يذل نفسه قطعه عجبت لاهل العلم كيف تغافلوا عن الحق و
استغشوا ثياب المهالك يطوفون حول الظالمين كانما يطوفون
حول البيت وقت المناسك وفى الخبر العلمآء ورثة الانبيآء ومعلوم
انه لا رتبة فوق النبوة فلا اشرف فوق الوارثة لتلك الرتبة وورد فى
الخبر يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودم الشهداء ومنها انه تعالى
ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى ان يقتدى به فى الصبر على
الاذى ليظفر على الاعداء ومنها انى اقويك واجعلك غالبا
على اعدائك كما فعلت بيوسف ومنها ان الوعظ مثل المطر
والنبات انما يخرج بحسب الاستعداد اى استعداد الارض ومنها
ان ابرهيم ع م طلب اجر الدنيا اذ قال واجعل لى لسان صدق فى
الاخرين فاتاه الله اجره اذ يحبه ويثنى عليه كل اهل الملل ويصلى
عليه كل مصل ورسول الله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
لم يسئل اجرا اصلا فاجره العظيم على الله الكريم الرؤف الرحيم واذا
اريد التفسير الانفسى يراد انبأ يوسف القلب من الاسرار
الحفية نوحيه الى رسولنا الالهام وما كا حاضرا عند مكر الحواس

به

138

به وبالقلب وما اكثر القوى بمؤمنين الايمان العلمى والعملى اعلم
ان الله تعالى سلى رسوله بان بين ان اصرارهم على الكفر بعد ما
شاهدوا منك هذه المعجزة الباهرة ليس بعجب لانه نشاء من
عدم تاملهم فى الدلائل الدالة على نبوتك كما هو دابهم وعادتهم
فان العالم مملو بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته
وحكمته كما قيل فى هذا المعنى المنيف وفى كل شئ له آية تدل على انه
واحد وهم يمرون عليها ويشاهدونها ولا يتفكرون فيها ولا
يعتبرون بها كما قال سبحانه وتعالى وكأين من اية وكم من اية
دالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده فى السموات
من الشمس والقمر والنجوم والارض من الامم الماضية والجبال و
البحار والانهار والنباة والاشجار يمرون عليها على الايات و
يشاهدونها وجملة يمرون صفة آية او حال منها لتخصيصها
بالوصف بالجار وقيل ضمير عليها للارض ويمرون حال منها وهم
عنها معرضون غافلون لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها
ولا يتعظون بما قال الله تعالى الاولين قال الامام النسفى رح المعنى
وكم من دلالة على وحدانية فى السموات وهو سقوف الارض
على طبقات ها من علو بعضها على بعض وفى الارض وهى قرار
الخلق ووجه الاعتبار بالايات التفكر فيما يقتضى من ان مدبرا دبرها
قادرا عليها عالما بها لا يشبهها وقال الامام القشيرى قدس
سره الايات ظاهرة والبراهين زاهرة وكل جزء من المخلوقات
شاهد على انه اله واحد ولكن من غمض عينه لم يستمتع بضوء
نهاره وكذلك من قصر فى نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه و
استبصاره ولما سمع المشركون قوله وكاين من اية الخ قالوا

انا نؤمن بالله الذى خلق هذه الاشياء فانزل الله تعالى **وما يؤمن**
اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده خالقية تهديد لمتابح اولئك المشركين
وتبعيد لايمانهم بالقران قال ابن عباس رض اراد انهم حين سئلوا
من خلقكم ومن نزل من السماء ماءً ليقولن الله فهذا ايمانهم
الا وهم مشركون وهم فى غير اقرارهم مشركون بعبادة الاوثان و
يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى او باتخاذ الاحبار اربابا او بنسبة النبى اليه او القول بالنور
والظلمة ونحو ذلك قيل الاية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين و
قيل فى اهل الكتاب وقال مجاهد هذا فى التلبية يقولون لبيك لا
شريك لك الا شريك هو تملكه وما ملك وقال عطاء هذا فى
الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا اصابهم البلاء
اخلصوا فى الدعاء قال تعالى واذا غشيتهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية
وقال الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وقال الامام ابو
منصور ويحتمل وما يؤمن اكثرهم بالله بالسنتهم الا وهم مشركون
بقلوبهم ويحتمل وما يؤمن اكثرهم بالله فى النعمة انها من الله الا
وهم مشركون فى الشكر له وقال الامام القشيرى قدس سره
الشرك نوعان جلى وخفى فالجلى ان يتخذ من دونه سبحانه معبودا
والخفى ان يتخذ بقلبه عند حوايجه من دونه مقصودا وقيل
شرك العارفين ان يتخذوا من دونه مشهودا او يطالعوا سواه
موجودا ثم ان الله تعالى خوفهم بقوله **افامنوا** يعنى المشركين
هذا وعيد لهم اخرج مخرج التعجب اى عجبا من غفلتهم اما
يخافون **ان تاتيهم غاشية** اى تجاءهم عقوبة من الله تغشيهم

وتشملهم

وتشملهم وتعمهم كما جاءت من قبلهم من الامم العاصية **من عذاب**
الله فى الدنيا **او تاتيهم الساعة بغتة** او تاتيهم القيمة فجاءة من
غير سابقة علامة **وهم لا يشعرون** باتيانها يعنى لا علم لهم بها غير
مستعدين لها فماذا يصنعون وبماذا يعتصمون ولا ايمان لهم
ومن الحصص ان الله تعالى كان يحب رسوله ولهذا كان يسليه و
كلمه وعرج به الى السماء وعظمه باشرف الاسماء كما قيل فى هذا المعنى
بيت موسى بطور كوه سخن كفت با خدا بالاى عرش پايه طور
ست **بيت** اى خواجه كه عاقبت كار امتت محمود ازان شدست كه
نامت محمد ست **ومنها** ان من له عين ولا ينظر بعين العبرة لا يستفيد
قال عيسى عم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها والناس فى الدنيا
اصناف صنف اشتغلوا بالدنيا عن الاخرة فهؤلاء من الهالكين
وصنف اشتغلوا بالدنيا لكى يستعينوا بها على طاعة الله فهؤلاء
من الفائزين وصنف اشتغلوا بالاخرة عن الدنيا فهؤلاء من المقر
بين **ومنها** ان الاستدلال من الاثار على المؤثر ومن الحاضر على
الغائب من صنايع اولى الالباب فقس عليه ان الظاهر عنوان الباطن
روى عن عطاء انه قال من تأدب الصالحين فانه يصلح لبساط
الكرامة ومن تأدب باداب الاولياء فانه يصلح لبساط المشاهدة
ومن تأدب باداب الانبياء فانه ليصلح لبساط الانس والانبساط
ومنها ان الايمان مع المنافى له غير مقبول روى ان الله تعالى اوحى
الى نبى من الانبياء ان قل لقومك ما بالكم تخفون الذنوب من
المخلوقين وتظهرونها الى فان كنتم تعلمون انى اراكم فلم جعلتمونى
اهون الناظرين **ومنها** ان الشرك الخفى مما يخفى على كثير من الناس
فالاجتناب عنه احق واحرى ومنه الرياء ورد فى الخبر ان الشهيد

يؤمر به يوم القيمة الى النار فيقول يا رب استشهدت فى
سبيلك فيقول اردت ان يقال انك شجاع وقد قيل ذلك
وذلك اجرك وكذلك يقال للعالم والحاج والقارى والقادى
وغيرهم ومنها ان المكذبين يستحقون العذاب وان تعالى
يجازيهم كما قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله و
جوههم مسودة ومنها ان المكذبين يتمنون ان يرجعوا الى
الدنيا بعد ما عاينوا العذاب ويندمون على تقصيرهم ولا
يستجاب لهم كما حكى الله تعالى او تقول حين ترى العذاب
لو ان لى كرة فاكون من المحسنين فاجبت بلى قد جاءك اياتى
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ومنها ان عذاب
الاخرة اليم شديد ولهذا قال الله عز وجل يوم يود المجرم لو يفتدى
من عذاب يومئذ ومنها ان الموت فجاءة مع عدم الاستعداد
به مما يجب ان يخاف منه فيجب تعجيل التوبة والعبادة فان
وقت الموت غير معلوم وان قيامة الرجل تقوم يوم فوته كما
ورد من مات فقد قامت قيامته قيل الناس فى التوبة على اربعة
اوجه فرجل مسوف بالتوبة مواقع بها قد اغتر بطول الامل
ومنى قرب الاجل فهذا ان ادركه الموت على هذه الحالة فهو
من الهالكين ورجل تائب ما لم يجد شهوة فاذا وجد شهوة
ركب هواه فضيع المحاسبة لنفسه فهذا مستحق بعقوبة
الله تعالى ورجل تائب بقلبه الا ان نفسه تدعوه الى ما لا يرضاه
الله تعالى فهذا يجب عليه ان يؤدب نفسه بالقيام والصيام
وترك الشهوات وقبضه من الله تعالى على قدر صدقه فى مجاهدته
لنفسه ورجل تائب دائم فى المحاسبة قد قام على نفسه حوفا

ان

140

ان ترجع الى طبعها الاول فهذا اعز واشرف واذا اريد التغير
الا نفسى بارادات الحواس والقوى يمرون على الآيات وهم لا
يتفكرون فيها وما يؤمن اكثرهم بالله الايمان العلمى الا وهم مشركون
باثبات موجود غيره او الايمان الغيبى الا وهم مشركون باصحابهم
بامانيهم افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اى حجاب
يحجب استعدادهم عن قبول الكمال من هيئة راسخة ظلمانية
او تاتيهم القيمة الصغرى بغتة وهم لا يشعرون بنور الكشف
والتوحيد فلا يرتفع حجابهم اعلم ان الله تعالى لما ذكر حال
المعاندين تسلية لحبيبه امره بما هو وظيفته فقال سبحانه
قل يا محمد هذه اى الدعوة الى التوحيد او الملة الاسلامية
سبيلى طريقتى التى اسلكها اسعى بها الجنة فى الاخرة ثم فسر
سبيله بطريق الاستيناف بقوله ادعوا اى الخلق كلهم الى الله
وحده دون الشركاء والانداد التى يجعلها المشركون على بصيرة
على بيان وحجة واضحة انا تاكيد للمستتر فى ادعوا او مبتداء خبره
على بصيرة ومن اتبعنى عطف على انا اى وكل من آمن بى لا على
تقليد والف عادة فهو ايضا يدعوا على بصيرة او هو عليها ايضا
وسبحان الله عطف على ادعوا اى وانزهه تنزيها او على هذه
سبيلى اى قل سبحان الله اى تنزيها له عن ان يكون معه اله
غيره نصب على المصدر قيل الفرق بين التسبيح والتقديس
ان التسبيح نفى ما لا يليق بذاته تعالى والتقديس اثبات ما يليق
بذاته وما انا من المشركين جملة حالية اى انزهه تنزيها والحال
انى لم اكن من المشركين ومن الخصوصات التسلية من اخلاق
الله تعالى فلا بد للمؤمن ان يتخلق باخلاق الله تعالى ومنها ان

تنبيه لهم على وجه الحق ونفى الشرك عنهم

الى دينه من الاصول والفروع مستقرا كاستقرار
الراكب على المركوب ع
مع يقين وحجة وهو نصب على الحال وعاملها
ادعوا عيون
وهى القرآن الدال باعجاز نظمه على صدقى فى دعوة
النبوة وباعتبار معاينة اللغوية على الحكم و
الاحكام حال من فاعل ادعو منه
وقيل تم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استانف
على بصيرة انا ومن اتبعنى على نية التأخير اى انا
ومن آمن بى على بصيرة من الايمان قبل هم اصحابه
رسول الله عم لانهم كانوا على احسن الطريقة
وافضل الهداية وكانوا معدن العلم وكنز الايمان
وجند الرحمن قال ابن عباس رضهما فكذا من ابتغى
ليس من المشركين عيون
تخصيص بعد التعميم منه

المرآء يجب عليه اداء وظيفته من التبليغ والنصح وان لم يقبل قوله ومنها ان الدعوة الى الله تعالى من اعمال الانبياء واتباعهم ومنها ان المرآء يجب عليه ان يكون على بصيرة ويقين لا على تقليد لانه مذموم ومنها ان تنزيه الله تعالى من وظائف النبى وكذا تنزيه المراء نفسه من الشرك واذا اريد التقرير الانفى يراد ان سبيل توحيد الذات سبيلى ادعو الى الذات الاحدية انا ومن اتبعنى فى هذه السبيل على بصيرة ومشاهدة فى امر المبدأ والمعاد وانزهه عن مشاركة الغير وما انا من المشركين المثبتين للغير فى مقام التوحيد الذاتى ثم ان الله تعالى ماجرى حكمه فى ارسال الانبياء على وفق ارادته تعالى واعلم نبيه محاجة المشركين فيما قالوا لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك فقال وما ارسلنا وما بعثنا بالرسالة من قبلك قبل زمانك الا رجالا لا ملئكة فكذا انت منهم فلا يهولنك قولهم لولا انزل عليه ملك وقولهم لو شاء ربنا لانزل ملئكة يعنى ان الانبياء كانوا من الادميين ولم يكونوا من الملئكة والمعاندون المعارضون يجهلون سبل النبوات ولا عذر لهم فى تكذيبك وان كنت بشرا كما لم يكن للذين كانوا من قبلك فى تكذيب رسلهم بل كان عاقبتهم البوار والدمار نوحى اليهم كما اوحى اليك ونميز وابذلك عن غيرهم من اهل القرى اى الامصار لان اهلها اعلم واعقل من اهل البدو قال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية قط ولا من الجن ولا من النساء للجهل ونقصان العقل وقال الامام ابو منصور انما بعث الرسل من الامصار لا من البوادى لان اهل

فقد بين سبيله بانه هو الدعوة الى دين الله مع حجة واضحة وعلم بقين ومعرفة وهى تكميل النفوس الناقصة والتنزيه لله تعالى عن كل ما لا يليق به اعتقادا وقولا وفعلا وهو الكمال فى نفسه وهو ان كان مقدما على التكميل لكن قدم التكميل عليه لكون نفعه عاما كانه مقصود بالذات عن وجود الانبياء فدل الكلام على ان الداعى الى الله يجب ان يكون على بصيرة ويقين وحجة حتى يكون هاديا غير مضل ويجب ان يكون منزها لله تعالى عن كل نقص وشرك حتى يكون مهتديا غير ضال كذا فى العرائس

معللين بان الرسول يجب ان يكون مناسب للمرسل فانه تعالى فى غاية التجرد والبشر فى غاية التعلق فلا مناسبة بينهما فرده تعالى بقوله الناس لان عادة الله جرت بارسال الذكور من الناس لان مقتضى الحكمة رعاية المناسبة بين الرسول والمرسل اليهم لتستفيد وا من كلام الرسول لانهم لا يستطيعون الاستفادة من الملائكة فلا يرسل الله الا رجالا من الناس ولا النساء ولا الجن غ من الملئكة ولا انثى اى لا بدويا كنح قوله تعالى من اجل القرى صفة اخرى فان سكن فى بعض فى جميع السنة فى البادية فان حل المواشى كان بعقوب فى البادية لاجل المواشى نسخة فلا يضر عيونه

الامصار

141

الامصار لهم اختلاط باصناف الناس وتجارب فهم اعقل واعلم واهل البوادى لهم اختلاط بالبهايم فهم عن العلم ابعد ويغلب عليهم القسوة والجفاء والان الرسل لهم اعلام تتقدم على وقت الرسالة يحتاج الى ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك اسرع الى الاجابة لهم فاذا كانوا من اهل البوادى لا يظهر ذلك للخلق والثالث انه يراد من الرسالة اظهارها للخلق فى الافاق ثم الامصار هى الامكنة التى ينتابها الناس فى التجارات وانواع الحاجات من الاطراف واما البوادى والبرارى فليس يدخلها ولا ينتابها الا الشاذ من الناس ولا يقضى فيها الحوايج فلا يظهر للخلق الرسالة وما يراد بها ثم ان الله تعالى امرهم بان يعتبروا من الامم السالفة كيف كان احوالهم حيث قال سبحانه افلم يسيروا اى المكذبون فى الارض بالمسافرة فيها فينظروا فيعتبروا كيف كان عاقبة آخر الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك فانهم يعلمون ذلك من مشاهدة ديار الكفار كمدينة قوم لوط والقرى المهلكة وكيف ماتوا وغرقوا وخلفوا الممالك وجنات وزروعا وغيرها فان اهل مكة سافروا منها الى الشام فشاهدوا بالادعاء وقوم لوط ونحوها فالاية تاكيد لقوله آفامنوا ان تاتيهم الخ او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فينقلبوا عن حبها فالاية تحريض على ازالة ماهو السبب لاعراضهم عن الايات وانهماكهم فى الشهوات ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الاخرة وهى الجنة او ولدار النشأة الاخرة خير مما متعنا به الكفار فى الدنيا للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون افما لهؤلاء المشركين عقول يتدبرون بها هذه

ابحج والمواعظ فينجوا من الهلاك ومن الحصص ان محاجة المعاندين
مما امر الله تعالى به نبيه عليه السلام ولذا قال وجادلهم بالتي هي
احسن ومنها ان للرجال فضيلة على النساء لكون الانبياء منهم
لكن للرجال نقص من وجه لان ادعاء الالوهية وقع منهم كما حكى
ان بعض الزهاد زار رابعة العدوية فقال ان الله تعالى لم يبعث رسولا
من النساء واراد به الطعن عليها قالت نعم ولكن لم يدع الربوبية
الا الرجال ومنها انه لا عذر للعصاة يوم القيمة لان الله تعالى ارسل
الايات والدلائل على السنة انبيائه عليهم السلام ومنها ان الصحبة
مؤثرة فمن صحب العلماء والعقلاء يحصل له العلم والعقل ومن
صحب الجهال والسفهاء يحصل له الجهل والغفول ومنها ان الله تعالى
لم يهلك قوما الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسول اليهم
قال عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومنها ان العاقل
ينبغي له يعتبر وينظر بعين العبرة ومنها ان دار الاخرة خير للمتقين
ولذا قيل من مات ونال رحمة لو رخص ان ياتي الى الدنيا لا يريد ان
ياتيها ومنها ان الله تعالى امهل الظالمين من الامم السالفة ثم
اخذهم اخذا اشد بدا فينبغي للعاصي ان لا يغتر بمهلة الله تعالى يمهل
ولا يهمل وهو عزيز ذو انتقام كما قال ان بطش ربك لشديد
واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقوله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا الخ ما ارسلنا للتبليغ والارشاد الا من كان فيه
رجولية يوحي اليه وتميز عن سائر الناس من اهل القرى اي
امصار الصفات افلم يسيروا في الارض استعدادهم فينظروا كيف
كان نهاية امر الذين من قبلهم من المضيعين استعداداتهم ولدار
الاخرة خير للذين اتقوا صفات نفوسهم افلا تعقلون ان هذا

المقام

142

المقام خير مما هم عليه من الدار الفانية وتمتعاتها قال بعض الصالحين
الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق الا في عسكر الموتى
نادما ولا ينفعه ولما بين الله تعالى ان من عادته القديمة الامهال
دون الاهمال فانه امهل الظالمين من الامم الماضية ثم اخذهم
بين طول امهاله بقوله حتى اذا استيئس الرسل غاية لمحذوف
دل عليه الكلام قدره الزمخشري وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا امثالك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم حتى
اذا استيئس هؤلاء الرسل من ايمان قومهم كذا فسره عائشة
وقتادة وجماعة وذلك يكون بظهور العناد او باخبار الله تعالى و
كذا في التيسير وقدره بعضهم وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعوتهم قومهم وتكذيب
قومهم اياهم حتى اذا استيئس الرسل الخ فالمعنى لا يغرهم تمادي
اوقاتهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من ايمانهم لانهما
كهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير مزيل او عن النصر عليهم
في الدنيا وظنوا انهم قد كذبوا قرا عاصم وحمزة والكسائي با
لتخفيف والباقون بالتشديد وللتشديد وجهان احدهما وظن
الرسل اي ايقنوا ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يؤمنون بعده وهو
قول الحسن وجماعة والظن بمعنى اليقين ههنا والثاني وظن الرسل
حقيقة الظن دون اليقين ان من آمن بهم كذبوهم ايضا حين
تأخر النصر عنهم وهو قول عائشة وقتادة وتقدير الاية حتى اذا
قنط المرسلون عن ايمان من كذبهم الى الآن وظنوا ايضا ان
الذين صدقوهم وامنوا بهم ثم امتد بهم البلاء وتأخر الفرج و
الرجاء كذبوهم ايضا وقراءة التخفيف لها وجهان ايضا وظن

القوم انهم اى القوم كذبوا اى كذبهم الرسل فيما اخبروهم به من
نصر الله لهم واهلاك اعدائهم وهو قول ابن عباس وابن مسعود
وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وقريب من هذا الوجه
قول بعضهم وظن القوم انهم اى الرسل كذبوا بالتخفيف اى كذبهم
من اخبرهم من الملئكه ونحوهم عن الله تعالى في وعد النصر على الكفار
ونحو ذلك ووجه اخر وظن الرسل اى ايقنوا انهم اى الرسل
كذبوا كذبهم من وعدهم من قومهم ان يؤمن بهم ويكون الكذب
فى معنى اخلاف الوعد كما يسمى المجاز الوعد صدقا كذا ذكره الشيخ
جاءهم نصرنا اى باهلاك المكذبين جواب اذا يقول تعالى لم نكن
نعاجل امم الرسل بالانتقام منهم على تكذيبهم بل كنا نمهلهم
حتى اذا وقع الناس وضاقت الاحوال اتاهم نصرنا ذكره النسفى رح
فنجى من نشاء من النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على
انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه
غيرهم وهو حكاية للحال الماضية ولما كان قد يفهم منه ان
النجاة بالمشية فقط لا من جهة الاستحقاق وكذلك الاهلاك
قال بعده ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين اى الكافرين
اى من الذى نجيهم من باسنا ومن الحصص ان فى الاية تسلية
لرسوله صلى الله عليه وسلم فان الامم الكثيرة كذبوا الانبياء
وهم صبروا وظفروا فاصبر انت كما صبر اولوا العزم من الرسل فالصبر
محمود وخلق محمد محمود وسبب للظفر موعود ولذا قيل الصبر
مطية الظفر ومنها ان يوسف اراد بالمسيئين خيرا وكذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اهد قومى
فانهم لا يعلمون ويعرف منه معنى ما روى المؤمن الذى لا يخا

فجاء في نسخة

فتبين تسليته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعده بانجاز وعده بنصره على الاعداء
فانجز بحمده تعالى اكمل انجاز

الناس ولا يصبر على اذاهم اذ تلخيصه مخالطة الانسان الكامل
المكمل مع اهل الطلب من المسلمين بفضل من الانفراد ومنها ان الله
تعالى ينصر اولياءه من المؤمنين كما قال تعالى فى سورة الروم وكان
حقا علينا نصر المؤمنين وفى الحديث القدسى من عادى لى وليا
فقد بارزنى فى الحرب اعلم ان الاسماء الالهية كلها متقابلة
متشاكلة كالرحيم والقهار وكذلك مظاهر الاسماء فالاولياء
مظاهر الاسماء الجمالية اللطفية اليمينية والاعداء مظاهر الاسماء
الجلالية القهرية اليسارية وبينهما تضاد وقوله فقد بارزنى
بالحرب اى اقام نفسه فى مقابلة نفسى وهو الباطل وانا الحق و
لا شك ان الحق اقوى من الباطل ومنها ان اخوة يوسف مع الاخوة
والاتفاق فى الدين هموا به فكيف ظنك بالذين لم يكن اخوتك ولا
يوافقونك فى الدين ومنها ان يوسف كان ينصح فى السجن لاهله
وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصح فى الدنيا لاهلها ليأتى
بهم الى المولى روى ان الله تعالى اوحى اليه موسى عم لان تأتينى بعبد
قد ابق احب الى ان تأتينى بسبعين صديقا ومنها ان البلاء
نصيب الانبياء والاولياء كما قيل خلق الله للحروب رجالا و
رجالا لقصعة وثريد روى عن فتح الموصلى انه راح الى منزله
بعد العتمة فى بعض الليالى وكان صائما فقال لاهله عشونى فقالوا
ما عندى شئ نعشيك قال فما بالكم جلوسا فى الظلمة قالوا ما
عندنا زيت فنسرج به فجلس يبكى من الفرح وقال الهى مثلى يترك
بلا عشاء وسراج باى يد كانت منى اليك ولم يزل يبكى الى الصباح
ومنها ان العاقبة للمتقين فالعبرة بالخاتمة ورب مترفه فى الدنيا
معذب فى الاخرة ومنها ان احدا لا يقدر على دفع العذاب عن احد

فلا بدّ من ترك اسباب العذاب رأسًا ولذا قال تعالى فاقم وجهك
للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذٍ يصّدّعون
ومنها ان الله تعالى لم ينصر الانبياء ابتداءً بل اخّر هكذا سنّة
القديمة لانّ الوجدان بعد الفقدان اعزّ ولذا لم يأذن الله
تعالى لجبريل في الاعلام ليعقوب بحال يوسف ليستوفي هوا
وابوه عليهما السلام بالحزن والشوق الى اللقاء وكذا اولياؤه
لا يصلون الى القرب الا بعد تعب كثير فانّ الوجدان بعد الطلب
والتعب اشرف روى انّ آدم عم ناجى ربّه يومًا فقال يا ربّ
اعلم انك عدل تحبّ العدل ولا يجوز فيما تقضي فما الحكمة فيما
قضيت عليّ من الهوان بعد ما اكرمتني بكرامةٍ لم تكرمها احدًا
قبلي فاوحى الله اليه يا آدم مَنْ لم يذق الم البعد لم يجد طعم القرب
ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بقربي ووصلي
فقد استوجب الحرمان واذا اريد التفسير الانفسيّ يراد بقوله
حتى اذا استيأس الرسل تراخي كشوف الذين هم اشراف القوم
من بلوغ الكمال فظنّوا انّهم قد كذبوا اي كذبوهم من اتباعهم
في استعدادهم الكمال وجاء نصرنا بالتأييد والتوفيق من امداد
انوار الملكوت والجبروت فنجّي من نشاء من اهل العناية من
الرسل والمرشدين واتباعهم ولا يردّ قهرنا بالحجب عن القوم
المجرمين باظهار صفات نفوسهم على قلوبهم اعلم انّ الله تعالى
لما قال في اول السورة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين
اشارة الى القصص والنكت كما بيّنا نبذًا منها قال في آخرها ايضا
لقد كان في قصصهم اي في قصص يوسف واخوته وابيه او
في قصص الانبياء واممهم عبرة دلالة يعبر بها عن الظاهر الى

البغية

البغية والباطن او دلالة لنبوة محمّد صلى الله عليه وسلم حيث
قصّ قصّة يوسف وغيرها على حسب ما يجدها اهل الكتب في
كتبهم من غير زيادة ولا نقصان مع معرفتهم انه لم يختلف الى
احد يتعلّم منه ولا نظر في كتب فتعلّقته فما هو الا عن الوحي و
لا وحي الا الى الرسل لاولي الالباب لذوي العقول الخالصة عن
شوائب الالف والركون الى الحسّ اذا كان ذلك حقًّا من الله تعالى
فيحق على العقلاء الاعتبار به قال الامام ابو منصور وفي هذه
القصّة تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذى قريش يقول
ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين والنسب عملوا بيوسف
ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع قومك وهم مخالفون
لك في الدين اَحْرى ان تصبر على اذاهم وقال الامام القشيري
وفيه دليل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قصّ
قصّة يوسف وغيرها على حسب ما يجدها اهل الكتاب من غير
تعلّم من احدٍ ولا نظر في كتب فما هو الا عن وحي وقال بعض المحققين
من العبر في هذه القصّة وتحمّل يوسف على صغره من المحن من
جهة اخوته من الطرح في البئر والبيع بالثمن البخس وما ابتلي به
من الاسترقاق والحبس الطويل من غير جرم ولا استحقاق فا
ليعرف به انّ الله تعالى يفعل ما يشاء لا اعتراض لاحدٍ عليه
ثم صبر يوسف على هذه المحن كلها الى ان ختم له بالملك والعلو
دليل على انّه لا يخسر احد على الصبر عند جريان المقادير عليه
ثم ما فيه من التنبيه على انّ من قدر على اعزاز يوسف بعد
القائه في الجبّ واعلائه بعد حبسه في السجن وتمليكه
مصر بعد ان كان هو لبعض اهلها في حكم العبد ثم جمع بينه

اعلم ان الله تعالى ذكر في اوائل هذه السورة
قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين
ثم شرع في القصة وربط بهذا القول قوله
وقال يوسف لابيه الى ان ختم القصة بقوله
توفني مسلما والحقني بالصالحين في تمام مائة
آية ثم اثبت قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن
بقوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
وما كنت لديهم الخ ويبين في ضمنه على طريق
الادماج قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين
بقوله وما كنت لديهم الخ ثم استدل على كونه
احسن القصص بقوله لقد كان الآية
كذا في العرائس

ويسمى هذا الاسلوب في علم البديع تشابه الاطراف
وهو ان يختم الكلام وان طال بما يناسب ابتداءه
ع

بع
فلا بدّ من الرضاء بالقضاء واطاعة المولى
فانّ الله قدير على كل شيء ولذا قالوا ان نسبة
قدرته الى البعوض الطيار والفلك الدوار
على السواء

وبين ابويه واخوته ما احب بعد المدة الطويلة لقادر ان يعز
محمدا صلى الله عليه ويعلي كلمته وينصره على من عاداه من قومه
ثم ما امتحن به ابوه من الوجد بفقده الى ان ابيضت عيناه من
البكاء عليه الى ان جمع الله شمله ورد عليه ابنه سلوة للممتحنين
واطماع لهم في تبديل الحال وتعريض المحنة للزوال ثم فيما جرى
على يوسف من جهة اخوته الذين هم اولى الناس بالشفقة عليه
والذب عنه ما سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عداوة
قومه واقاربه له ثم فيما فعله يوسف في السجن من دعاء
الفتيين الى الله واقامة الحجة عليهما للتوحيد وعلى بطلان
الشرك ما يوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوك
طريقته في الصبر على الدعاء الى الله والقيام به في كل وقت يمكن
وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثر منه ثم
ما كان من يوسف من بسط العدل في ملكه عبرة للملوك وفي
المن والاحسان الى الرعية لان يوسف لما ملكهم اعتقهم
كلهم ثم ما فيه من العبرة لارباب التقوى فان يوسف لما
ترك هواه رقاه الله تعالى الى ما رقاه ومنها العبرة لاهل الهوى
في اتباع الهوى من شدة البلاء كامراءة العزيز لما تبعت هواها
لقيت من الضر ومنها العبرة للمماليك في حفظ حرمة السادة
كيوسف لما حفظ حرمة العزيز في زليخا ملك ملك العزيز
وصارت زليخا امرأته حلالا ومنها العفو عند القدرة
كيوسف حيث تجاوز عن اخوته وغير ذلك من اشارات
سبقت في هذه النسخة وغيرها لاهل العلم والحكمة وقال بعض
الواعظين كان لله تعالى خليل يسمى ابرهيم فاعطاه ولدا يسمى

عدوك في صورة صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

ومن الخصصات ان عداوة اخوة يوسف له كانت للحسد ولذا لم يفد نفعه عندهم وقت القائهم في الجب ولذا قيل في حق المغني بكل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك عن حسد

فالمؤمن اذا اتقى يصير شريفا عند الله تعالى كما ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر

اسحاق

اسحاق ونافلة يسمى يعقوب فولد ليعقوب اولاد وخص الله
بعض اولاده بكمال الجمال ولطف وهو يوسف وآثره ابوه فحسده
اخوته فاحتالوا لواحة غيبوه عنه وطرحوه في البئر ثم باعوه بالثمن
البخس اليسير فقاسى يوسف شدائد الرق وابتليت به امراة العزيز
بلية العشق فراودته عن نفسه فاستعصم بعصمة الحق و
بدلهم حبسه في السجن فطال ذلك ثم بعد بضع سنين زال
ذلك ثم افضى به علم التعبير الى ملك مصر والجلوس على السرير
ثم جاءه اخوته مرات وامتاروا منه كرات ثم جمع الله بين
يعقوب ويوسف وازال التاسي والتاسف وجمع الشمل وبسط
يوسف على اخوته الفضل فتنعموا اياما او شهورا او اعواما
ثم ماتوا وبانوا فكانهم ما كانوا فلا يعقوب ولا بكاء ولا اخوة
ولا جفاء ولا سجن ولا سجان ولا عزيز ولا ريان ولا يوسف
ولا اصحاب ولا اخول ولا اخياب ولا مملكة ولا اسباب ولا امراء
ولا حجاب وهذه عبرة لاولى الالباب وقيل هذه القصة مرآة
كل مؤمن كان ليوسف جمال الظاهر فنظرت اليه زليخا وللمؤمن
جمال الباطن فينظر اليه المولى وكان ليوسف حسن الصورة
فاشتراه العزيز وللمؤمن حسن السيرة فاشتراه القوي العزيز
ولما اشتراه العزيز ادخله دار زليخا ولما اشترى الله تعالى المؤمن
ادخله الدنيا فاوقعت زليخا يوسف في التهمة واوقع الشيطان
المؤمن في المعصية فنقل يوسف الى السجن والمؤمن الى القبر
فسئل يوسف في السجن عن تاويل الرؤيا يسئل المؤمن في
القبر عن الله والرسول والهدى فاجاب يوسف على الصواب
فاكرمه الريان ويجيب المؤمن على الصواب فيكرمه الديان وصل

كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم

يوسف الى ملك مصر والمؤمن الى ملك الجنة وقيل ليوسف انك
اليوم لدينا مكين امين ويقال للمؤمن ان المتقين فى مقام امين
وختم قصته يوسف بقوله هدى ورحمة لقوم يؤمنون ويقال
للمؤمن لمثل هذا فليعمل العاملون الى هنا من كلام الامام النسفى
وقد تم ما يتعلق بهذه السورة وقال بعض اهل الاشارات و
من الحصص ان يوسف رأى رؤيا وامتحنه وتمنى ان يصل
الى موجبه من العزة والرفعة فالله تعالى اخره طويلة وابتلاه
بانواع المحن لمن اراد وقت العبودية رفعة كذلك يمتحن ويبتلى
بمثله وهذا تاديب منه تعالى الى عباده ومنها ان الله تعالى اراد
ان يجعل اهل مصر كلهم عبيده فجعله اولا عبدا للغير ليعرف
احوال العبيد ويعدل فيهم ويعرف قدر العز وليشكر لربه فالله تعالى
يبتلى عباده فى الدنيا ليعرفوا قدر النعمة فى العقبى ويشكروا له
بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وبقولهم الحمد لله
الذى احلنا دار المقامة ومنها ان النسوة لما رأين يوسف
قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وزليخا كانت
ساكتة لان المبتدى ينطق والكامل يسكت كما روى
من عرف الحق طال لسانه هذا فى الابتداء ومن عرف الحق كل
لسانه هذا فى الانتهاء روى ان محبا وجد حبيبه ليلة ولم
يتكلم فقال الحبيب لم لا تكلم قال اجد طعم محبتك بجميع اعضائى
حتى لم يبق السمع والبصر والكلام ومنها ان زليخا كانت تحب
يوسف فلما رات مراودة النسوة حبسته غيرة ليصير بعيدا
منهن ولم تدر انه يبعد عنها ايضا ومنها ان الله تعالى كان
يحب يوسف فاذا احبته النسوة حبسه بتبعيدا عنهن لانه

تعالى غيور روى عن ابن عباس رض قال آدم عم يا رب لم
اخرجتنى من الجنة وانما اكلت من الشجرة طمعا للخلود فقال
تعالى طلبت الخلود من الشجرة والخلود بيدى فاخرجتك من
الجنة حتى لا تنسانى ومنها ان يوسف كان فى دار زليخا وهى
مكرت بالصور لتخدعه والله تعالى عصمه فالحق سبحانه
يعصم المخلصين من زخارف الدنيا ومكر الشيطان قال
بعض المشايخ فى النصيحة لاحد الدنيا قليل وما بقى من القليل
الا القليل فخذ من القليل للكثير فينبغى للعاقل ان يعرض عن
الدنيا وزخارفها ويتوجه الى الله تعالى ومنها ان يوسف لم
يظهر بغضه لاخوته اولا ولم يعاقبهم بل لم يعاتبهم ليستحيوا حا
جتهم فالله تعالى يمهل العصاة ليستحيوا حاجاتهم ويغفر لهم
ومنها ان الصبى الذى شهد ليوسف حال الامر على القميص
ولم يصرح بذنب زليخا لان الله تعالى يحب الستر ومنها ان يوسف
لم يذكر عند ابيه اساءة اخوته لان شان الكريم العفو فمن باب
يغفر الله له ولا يفضحه يوم القيمة لان عز وجل اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين وقيل لم يذكر لان ذكر الجفاء وقت الوفاء جفاء
كما قيل ذكر الوحشة وحشة ومنها ان يوسف طلب السجن
فرارا من الذنب فالله تعالى اعطاه ملك مصر فمن ترك الذنب
واختار العزلة يجعله الله عزيزا فى الدنيا والاخرة ومنها ان
يوسف بعد ما نال الرفعة والسلطنة والسعادة فقد تركها
ولم يبق فيها فهذا عبرة للامراء والاغنياء واولى النعمة ومنها
ان يوسف لم يبق فى المحنة فالمبتلى لا يبقى فى البلاء وهو كفارة
لذنوبه وباعث لرفعة منزلته وهكذا غاية من ابتلى بشىء

من المكارم ومنها انه تعالى عرّف انه لايجوز للرجل ان يدخل بيته
رجالا ولوكان صالحا واتخذه ولدًا فانه ان لم يخف منه على زو
جته يجب ان يخاف عليه من زوجته ومنها ان الانسان اذا
وقعت له واقعة لاينبغى ان يعجل بل يسمع الكلام الدال على حقيقة
الحال ومنها انّ المرأة لاتخفى امرها عن الاخرى ولا تكتم ما
عندها من قبح ومنها انّ النسآء اذا راين من الرّجال من لهنّ
فيه يبادرن اليه ومنها انّ مكر النسآء لايؤمن منه وكانت
صالحة فعلى العاقل ان يتضرّع الى الله تعالى ليصرف عنك كيدهنّ
قيل انّ اقل الشهوات زمانا لذّة الجماع ولا ينبغى للعاقل ان يميل
اليه خصوصًا اذكان حرامًا قال بعض الحكمآء السرور ستّة
سرور ساعة وهو الجماعة وسرور يوم وهو الاستحمام و
سرور اسبوع وهو غسل الثوب وسرور شهر وهو تجديد الثواب
وسرور سنةٍ وهو نكاح البكر وسرور الابد وهو لقاء الاخوان
ومنها انّ انيس يوسف كان جبرئيل فى الجبّ وانيس السّالك
فى الخلوة الرّبّ الجليل تعالى ومنها ان اخوة يوسف اعتذروا
فوقع لهم الخطاب لا تثريب عليكم اليوم فعلى العصاة ان
يعتذروا ويستغفروا حتى يقع لهم الجواب لاخوف عليهم
اليوم ولا انتم تحزنون ومنها انّ يوسف ادخل مصر مغلولًا
ثم حبس ثم صار عزيز مصر فالمؤمن يلفّ بالكفن ويشدّ بالحبل
ويحبس فى القبر ثم يصير سلطان الاخرة ومنها انّ يوسف
زرع زمان السعة فحصل له الغلاّت الكثيرة فى زمان القحط
فعلى العاقل ان يزرع فى الدنيا لانها مزرعة الاخرة روى
الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال ومنها انّ سلطنة

يوسف وسعيه فى امر الرعايا لمّا كانت لله تعالى كانت عبادة
روى انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان جالسًا ومعه
اصحابه فنظروا الى شاب ذى جلدٍ وقوّة قد بكّر وسعى فقالوا ويح
هذا لوكان شبابه وقوته فى سبيل الله فقال عليه السّلام لاتقولوا
هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفّها عن المسئلة ويغنيها
عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين
اوذريّة ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى
تفاخرًا وتكاثرًا فهو فى سبيل الشيطان ومنها ان يوسف لمّا
كان احسن واعلم حسدوه فكلّ ذى نعمة وفضل محسود ومنها
انّه قدّم قوله قد اتيتنى من الملك على قوله وعلّمتنى من تأويل الاحاديث
للتنبيه على انّ قدر العلم موقوف ظهورا على الملك كما قيل حيوة
بلا مال حيوة ذميمة وعلم بلا جاه كلام مضيّع بيت فر بتجربه
معلوم كشت اخر كار كه قدر مرد بعلمست قدر علم بمال ومنها
انّ اخوة يوسف لم يجدوا هديّة لايقة بحضرة الله تعالى الّا الدعاء
والسّوال وانّ اخوته لم يجدوا شيئا لدفع العتاب والعذاب
فى الدنيا والاخرة الّا الاعتذار والاستغفار ومالنا لدفع عذاب
الله تعالى وسيلة سوى الاعتذار والاستغفار ومنها انّ الدعاء
والسّوال والتضرّع سبب النجاة والمغفرة روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلّم رأى رجلا فى السجدة وهو يقول الهى
خلقتنى ولم اك شيئا ظلمت انفسى وارتكبت المعاصى وانا مقرّ بذ
نوبى الهى ان غفرتنى فلا ينقص من ملكك شئ وان عذّبتنى
فلا يزيد فى ملكك شئ الهى انت تجد من تعذّب غيرى وانا
لا اجد من يرحمنى غيرك اسئلك بعزّتك ان تغفر لى وترحمنى

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى نفس محمد بيده
مارفع رأسه حتى غفرله ومنها انه من لا عقل له لا يستفد من
قصصهم ومنها ان من يقرأ ويسمع الواعظ ولا يتعظ بها يرى
عالما ومتعلما وليس كذلك فى الحقيقة روى اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لا ينفعه الله تعالى بعلمه ومنها ان العالم العاقل من
يعرف الحق ويتبعه ومنها ان فى افراد العبرة وتنكيرها وجمع اولى
الالباب وتعريفها اشارة الى ان العبرة الواحدة تليق ان يتخذها
ويتعظ بها العقلاء الكثيرون ومن لم يفهم العبرة لا يعد من جنس
اولى الالباب فكيف اذا لم يفهم العبر الكثيرة ولم يعمل بموجبها ومنها
ان الانس والركون الى الحس يستران العقل عن فهم العبرة ومن
لم يألف الا بالله ولم يقع ركونه الى الحس لا يمتنع عن الفيضات
الالهية كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
ومنها انه كما كان فى قصة يوسف واخوته وابيه عبرة لاولى
الالباب كذلك فى كل قصة من قصص الانبياء عبرة وانها
اخبار صادقة اعلم ان فى هذه الآية اعنى قوله لقد كان فى قصصهم
عبرة لاولى الالباب ايماء الى الحصص المذكورة التى ذكرها اهل
التفسير فى بيان هذه السورة والى ما اورده الفقير فى هذه الموعظة
وفى تنكير عبرة اشارة الى كثرتها فان القران العظيم بحر عميق بحيث
لا يمكن اخراج درره للبشر فما ذكره المفسرون ذرة من الشمس
وقطرة من البحر وقد كان بعض الكبار لا يقوى ان يستمع القران
من شدة خوفه وكثرة فهمه معانيه ولما كان القران كلاما
صادقا وما فيه صحيحا بين الله سبحانه وتعالى هذا المضمون بقوله
ماكان اى القران حديثا يفترى لم يكن خبرا يختلق به حتى

ای کلاما ... يبتنى

ينبغى للعقلاء ان يرفضوه ولم يصنعوا عنه ولكن كان ذلك القران
تصديق نصب عطفا على خبر كان الذى بين يديه اى قبله من
الكتب الالهية من التورية والانجيل وسائر الكتب المنزلة وانما
قال بين يديه لانه قد وجد فصار كانه حاضر له وقيل لانه قريب
منه كقرب ما كان بين يدى الانسان قيل اذا اريد قصة يوسف
يخص الذى بين يديه بالتورية اى فيها هذه القصة مبينة
وقد تقدم انه ما من كتاب من الكتب الالهية الا وفيه قصة
يوسف وتفصيل كل شئ يحتاج اليه العباد فى الدين من الحلال والحرام والامر والنهى اذ ما من امر دينى
الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال
الى الحق والصراط المستقيم ارشادهم من الضلالة ورحمة من الله رحم بها المؤمنين و
هم بها ينالون خير الدارين والامان من العذاب لقوم يؤمنون يصدقون القران لانهم
المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون ويعلمون بما فيه
بجدواه وفى ختم السورة تنبيه على ان المؤمنين ينبغى لهم ان يعملوا
بما فيه وما عمل يوسف فان يوسف نال ما نال بتحمل الاذى و
بالصبر على البلاء ثم شكر له فكذا حال المؤمنين فى الدنيا والاخرة
اذا اجتمعوا فى الجنة يقولون الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا
لنهتدى لولا ان هدانا الله واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان
قصصهم عبرة اى ما يعبر بها عن ظاهرها الى باطنها كما عرفت
فى تفسير كل آية لاولى العقول المجردة عن قشور الوهميات
الخالصة عن غشاوة الحسيات ما كان هذا القران حديثا
مفترى من عند النفس ولكن تصديق الذى بين يديه كان ثابتا
قبله فى اللوح وتفصيل كل شئ اجمل فى عالم القضاء وهداية
الى التوحيد ورحمة بالتجليات من وراء استار اياته لقوم يؤمنون

وما ذكر فيه ...
كانه ... القصص عين النهاية لا فضائه اليه ...

قال محمد بن سهل من علامة الايمان حب الله ومن
علامة حب الله حب القران ومن علامة حب القران
حب النبى عليه السلام ومن علامة حب النبى اتباعه
ومن علامة اتباعه الزهد فى الدنيا ومن بعض المريدين قال كنت فى جده
اراد فى قد لهجت بتلاوة القران ثم شغلنى عنه
فنمت ليلة فاتانى ات فى المنام فقال ان كنت تحبنى فلم جفوت كتابى اما تدرى
عز وجل ... فيه من لطيف عتابى كذا فى قوت القلوب
لابى طالب المكى فعلى المؤمن ان يكون كثير التعاهد
للقران حتى يحصل له السعادة الابدية وينجو
عن شكواه عند مولاه روى عنه عليه السلام
من تعلم القران وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم
ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول
يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا
اقض بينى وبينه